

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

أسس نظرية ودراسات ميدانية

نظام ساعات معتمدة

2025



أ.د/ عبد الحميد يونس زيد

أستاذ علم الاجتماع – جامعة الفيوم

رؤية كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الفيوم

تسعى كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم
أن تكون مؤسسة تعليمية معتمدة و متميزة محلياً وإقليمياً.

رسالة كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الفيوم

تلتزم كلية الخدمة الاجتماعية جامعة الفيوم بإعداد خريج مكتسباً
للمهارات المعرفية والذهنية والمهنية والعامة طبقاً للمعايير القومية الأكاديمية
القياسية، قارواً على المنافسة محلياً وإقليمياً، مواكباً التطور التكنولوجي،
متفرداً في إجراء البحث العلمي لمواجهة المشكلات والأزمات المجتمعية في إطار
من القيم والأخلاقيات، مشركاً في تحقيق التنمية المستدامة.

الخريطة الزمنية الدراسية لمقرر (الأنثروبولوجيا الاجتماعية)

م	الأسبوع	خلال الفترة		رقم المحاضرة	محتوى المحاضرات
		من	إلى		
١	الأول	٢٠٢٤/٩/٢٨	٢٠٢٤/١٠/٣	المحاضرة الأولى	علم الإنسان المفهوم والخصائص
٢	الثاني	٢٠٢٤/١٠/٥	٢٠٢٤/١٠/١٠	المحاضرة الثانية	علم الإنسان الخليفة التاريخية
٣	الثالث	٢٠٢٤/١٠/١٢	٢٠٢٤/١٠/١٧	المحاضرة الثالثة	مجالات الأنثروبولوجيا الأنثروبولوجيا الطبيعية
٤	الرابع	٢٠٢٤/١٠/١٩	٢٠٢٤/١٠/٢٤	المحاضرة الرابعة	الأنثروبولوجيا الاجتماعية
٥	الخامس	٢٠٢٤/١٠/٢٦	٢٠٢٤/١٠/٣١	المحاضرة الخامسة	الأنثروبولوجيا الاقتصادية
٦	السادس	٢٠٢٤/١١/٢	٢٠٢٤/١١/٧	المحاضرة السادسة	الأنثروبولوجيا السياسية
٧	السابع	٢٠٢٤/١١/٩	٢٠٢٤/١١/١٤	المحاضرة السابعة	الأنثروبولوجيا الحضرية
٨	الثامن	٢٠٢٤/١١/١٦	٢٠٢٤/١١/٢١	المحاضرة الثامنة	ميد ترم ١
٩	التاسع	٢٠٢٤/١١/٢٣	٢٠٢٤/١١/٢٨	المحاضرة التاسعة	الأنثروبولوجيا الدينية
١٠	العاشر	٢٠٢٤/١١/٣٠	٢٠٢٤/١٢/٥	المحاضرة العاشرة	الأنثروبولوجيا الثقافية
١١	الحادي عشر	٢٠٢٤/١٢/٧	٢٠٢٤/١٢/١٢	المحاضرة الحادية عشر	الاتجاهات والمدارس الأنثروبولوجية
١٢	الثاني عشر	٢٠٢٤/١٢/١٤	٢٠٢٤/١٢/١٩	المحاضرة الثانية عشر	مناهج البحث الأنثروبولوجي والدراسات الحقلية
١٣	الثالث عشر	٢٠٢٤/١٢/٢١	٢٠٢٤/١٢/٢٦	المحاضرة الثالثة عشر	الثقافة
١٤	الرابع عشر	٢٠٢٤/١٢/٢٨	٢٠٢٥/١/٢	المحاضرة الرابعة عشر	الإسكان العشوائي امتحان ميد ترم ٢

بدء إمتحانات الفصل الدراسي الأول ٢٠٢٤ / ٢٠٢٥ اعتباراً من السبت ٢٠٢٥/١/٤ حتى الخميس ٢٠٢٥/١/٢٣

إجازة نصف العام الدراسي ابتداءً من السبت ٢٠٢٥/١/٢٥ حتى الخميس ٢٠٢٥/٢/٦

الفهرس

رقم الصفحة	المحتويات	
٦	علم الإنسان المفهوم والخصائص	الفصل الأول
١٤	علم الإنسان الخليفة التاريخية	
٢٩	مجالات الأنثروبولوجيا	الفصل الثاني
٣٠	الأنثروبولوجيا الطبيعية	
٣٧	الأنثروبولوجيا الاجتماعية	الفصل الثالث
٤٨	الأنثروبولوجيا الاقتصادية	الفصل الرابع
٦٠	الأنثروبولوجيا السياسية	الفصل الخامس
٦٩	الأنثروبولوجيا الحضرية	
٧٥	الأنثروبولوجيا الدينية	الفصل السادس
٩٢	الأنثروبولوجيا الثقافية	
٩٥	أ- الأركيولوجيا	
٩٧	ب- الأثنولوجيا	
١٠١	ج- الأثنوجرافيا	
١٠٢	د- اللغويات	

١٠٦	الاتجاهات والمدارس الأنثروبولوجية	الفصل السابع
١٠٦	- الاتجاه التطوري	
١١٣	- الانتشارية	
١٢٣	- البنائية الوظيفية	
١٤٤	- المدرسة السيكلوجية	
١٥٢	مناهج البحث الأنثروبولوجي والدراسات الحقلية	الفصل الثامن
١٥٣	- مفهومات أساسية	
١٦١	- الدراسة الحقلية	
١٧٥	- أدوات البحث في المنهج الأنثروبولوجي	
١٧٥	أ- المقابلة	
١٥٦	ب- الملاحظة	
١٩٧	ج- دراسة الحالة	
٢٠١	د- أدوات أخرى في البحث الحقلية	
٢١٠	الثقافة	
٢٤٠	الإسكان العشوائي	الفصل العاشر

الفصل الأول

علم الإنسان، المفهوم والخصائص

علم الإنسان، الخلفية التاريخية

علم الإنسان المفهوم والخصائص

إن الإنسان خلافاً لكل الكائنات الحية الأخرى يمتلك قدرات هائلة على التخيل والتفكير وقد وجه الإنسان تلك القدرات في كل المراحل التاريخية التي مر بها لمحاولة فهم العوامل المحيطة به وكذلك فهم ذاته الإنسانية المتميزة، وقد اهتم الإنسان أيضاً بمعرفة الطبيعة الإنسانية وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة وأنماطها.

وفي سياق هذا الاهتمام بمحاولة فهم الطبيعة الإنسانية وفي إطار تطور الفكر الاجتماعي وتراكم الخبرات تبلورت في العقود الأخيرة موضوعات وقضايا أصطلح على تسميتها ووصفها في إطار فرع جديد من فروع المعرفة هو الأنثروبولوجيا Anthropology ويشق من الكلمة الإغريقية Athropo أي الإنسان واللفظ Logy ويعني المعرفة المنتظمة أو العلم، وعليه تعني هذه التركيبة اللفظية دراسة الإنسان أو المعرفة العلمية للإنسان أو بمعنى آخر يطلق على مصطلح الأنثروبولوجيا لفظياً علم الإنسان.

وجدير بالاعتبار في هذا السياق أن الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان ليست العلم الوحيد الذي يقوم بدراسة الإنسان دراسة علمية منظمة حيث العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية الأخرى تلك التي تقوم بدراسة الإنسان أيضاً.

ولكن علم الإنسان يجمع بين نظريتي العلوم البيولوجية والاجتماعية في علم واحد وذلك لأنه يركز على الإنسان باعتباره عضواً في المملكة الحيوانية ومن ناحية أخرى يركز على سلوك الإنسان كعضو في المجتمع.

وفي سبيل ذلك لا تخسر اهتمامات علم الإنسان على دراسة مجموعة معينة من الناس أو التمحوّر حول حقبة من الحقب التاريخية بل يهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بنفس درجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة، ومن هذا المنطلق يدرس التطور البنائي للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها سجلات أو بقايا تدل على نمط معيشتها وثقافتها وكذلك يوجه اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة.

وترى مارجريت ميد Margret mead أن الأنثروبولوجي يحاول وصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية والثقافية للجنس البشري عبر الأزمان وفي مختلف المناطق، كما يحلل الصفات البيولوجية والثقافية والمحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة ويحلل النظم الاجتماعية والتكنولوجية ويبحث الإدراك الفعلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته^(١).

(١) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٦م، ص ١٣.

كما أن الأمريكي فرانز بواس فيذهب إلى أن الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً حيث يتضمن موضوع الدراسة هنا جميع ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية ومن تحديد زمني أو مكاني^(١).

وفي تحديده لمفهوم علم الإنسان يرى رالف بيلر، هاري هويجر، أنه العلم الذي يدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً حياً يتميز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى بأن له ثقافة وتاريخ طويل، كما يستطيع الإنسان أيضاً بما وصل إليه من اكتشافات التوافق ثقافياً مع البيئات المختلفة في ظروفها الجغرافية وفي اختيار الأدوات والأشياء المادية التي يستخدمها الإنسان من أجل تحقيق التحسينات المطلوبة لزيادة مقدرته على التكيف مع أي تغيرات جديدة في هذه البيئات^(٢).

ويقدم شاكر سليم تعريفاً يذهب فيه إلى أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً فالإنسان إذن هو المحور والإطار الذي يحدد موضوعات هذا العلم بغض النظر عن الزمان والمكان.

(١) زكي إسماعيل: الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، شركة عكاظ للنشر، ١٩٨٢.

(٢) رالف بيلر، هاري هويجر: مقدمة في الأنثروبولوجيا، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٦م، ص ١٦.

وفي ذات السياق يذهب أحمد زكي إلى أن الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي وعيله يتفرع من هذا العلم مجموعة من العلوم المتخصصة في دراسة الإنسان كالأنثروبولوجيا الفيزيكية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية^(١).

وإن كانت تلك التعريفات السابقة تختلف في صياغتها لتحديد مفهوم علم الإنسان إلا أنها تتفق في كثير من الأمور التي تتعلق بطبيعة العلم وأهم مجالاته والقضايا المحورية التي تشغل أذهان المتخصصين فيه.

وإذا كان علم الإنسان ليس العلم الوحيد الذي يدرس الإنسان حيث يشترك معه العلوم الإنسانية والاجتماعية في ذلك إلا أن علم الإنسان وفق ما عرضناه من مفهومات له خصوصية فريدة تميزه عن غيره من العلوم الاجتماعية حيث أن القضايا والإشكاليات التي يطرحها علم الإنسان ومناهج وطرق الإجابة عليها من واقع الحياة الإنسانية تعطيها سمة متميزة بين سائر العلوم الاجتماعية.

وفي ذات المعنى يمكن تحديد أهم تلك الخصائص الأساسية التي يتميز بها علم الإنسان عن غيره من العلوم والتي تظهر في الموضوع والمنهج والهدف العام نرصد بعضاً منهم فيما يلي:-

(١) أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢١.

١- تتمثل أولى خصائص علم الإنسان في موضوعه واهتمامه حيث النظرية الشمولية في دراسة الإنسان لأنه يشتمل على كل شيء له صلة بالإنسان سواء جانبه البيولوجي المادي أو المعنوي الثقافي أو بالنسبة لماضيه وحاضره وعليه تحدد الموضوعات التي تحكم تطور الإنسان فيزيقياً وثقافياً وفي هذا الإطار يتطرق للعديد من التساؤلات التي يتعين الإجابة عليها مثال^(١):-

- لماذا تغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟
- لماذا توجد أنماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة رغم أصلها المشترك جميعاً؟
- إذا لم يكن التنوع الثقافي واللغوي عند الإنسان نتيجة فروق متوازنة بيولوجياً في السلوك فما هو السبب في تلك الفروق الواسعة المتعددة في اللغات والثقافات؟
- ما هي طبيعة الثقافة وكيف تتغير الثقافات؟
- ما هي العلاقة المنهجية المنظمة بين مختلف جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي للإنسان؟
- كيف يستجيب الأفراد للمثل العليا والأهداف التي تحددها لهم الثقافات؟
- ما هي العلاقات بين الثقافة والشخصية؟

(١) علياء شكري وآخرون: الحياة اليومية لفقراء المدينة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص٦.

ويرتبط بتلك التساؤلات الأساسية كثير من المشكلات تلك التي تتطلب تطوير أساليب ومناهج فنية دقيقة ومتخصصة وانطلاقاً من ذلك تنقسم الأنثروبولوجيا إلى فروع جديدة يتناول كل منها أحد الجوانب الخاصة من الميدان العام.

ويتلاحظ هنا أن موضوع علم الإنسان متسع جداً حيث يشتمل على كل شيء له صلة بالإنسان سواء جانبه البيولوجي المادي أو المعنوي الثقافي أو بالنسبة لماضيه وحاضره، واهتمام علماء الإنسان بتلك القضايا تنطلق من منظور شمولي فبينما يختص الأنثروبولوجيون الثقافيون بدراسة السلوك الإنساني وأنماطه ونظمه الاجتماعية نرى أن الأنثروبولوجيين الطبيعيين يختصوا بدراسة بني الإنسان ككائنات بيولوجية وهناك ارتباط بين هذان التخصصان إذ أن السلوك الإنساني والبيولوجيا متداخلان ويؤثران ببعضهما في صور وأشكال هامة وواضحة.

٢- تتسم الأنثروبولوجيا باصطناع الاتجاه التكاملية الكلي The holistic approach عند دراستهم لأسلوب حياة مجتمع معين حيث ينظرون إلى ثقافة المجتمع ككل متكامل أي الربط بين الجانبين المعنوي والمادي لما يدور في الحياة اليومية للناس وفهم الكيفية التي ينظم بها الأفراد والجماعات وسائل معيشتهم والمحافظة على بقائهم وتعتبر عملية الكشف التحليلي لأنماط ومستويات الترابط والتكامل بين النظم والخصائص الثقافية من أهم أهداف البحث الميداني في الأنثروبولوجيا

تلك الأهداف هي التي تدفع الباحث بأن يمكث فترة طويلة في دراسته الحقلية حتى يتسنى له الوصول إلى معرفة دقيقة تكشف عن أشكال وأساليب الترابط والتساند بين عناصر الثقافة أو النظم والظواهر أو العادات الاجتماعية المتعددة.

٣- من السمات الأساسية التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم إنها تستخدم المنهج المقارن The comparative approach وذلك لأن القضايا والإشكاليات التي تهتم بها الأنثروبولوجيا تتطلب إجراء دراسات ومقارنات مركزة لكثير من الثقافات البشرية مستخدمة في ذلك المنهج المقارن لاستحالة استخدام المنهج التجريبي.

وترتبط تلك الخاصة بالنظرة الشمولية لدراسة الثقافة الإنسانية ورغم أن العلوم الاجتماعية الأخرى تجري الدراسات المقارنة إلا أن علم الإنسان يركز على المقارنات بين الثقافات عبر الزمان والمكان للوقوف على العموميات والمجالات التي تختلف وتتنوع فيها الثقافات الإنسانية وتلك الأخرى التي تتشابه فيها والنتائج المترتبة على ذلك وتتم تلك المقارنة على أساس دراسة الإنسان ومظاهر سلوكه باعتبارها أنساقاً اجتماعية وثقافية مترابطة^(١).

(١) سليمان خلف: علم الإنسان، مقدمة عامة، جامعة الإمارات العربية، مكتبة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص ٥٥.

والمقارنة المنهجية التي نقصدها هنا تتم في سياق نماذج متعددة من المجتمعات المختلفة في أبنيتها وأنساقها وثقافتها حتى يكون التعميم قائماً على مستوى عالي من التجريد، وأن تتناول العديد من النماذج البشرية قديمها وحديثها ليتم التأكد من الخصائص الجسمانية (الفيزيائية) العامة لأنواع البشر القديم والحديث والبدائي والمتحضر وذلك للوقوف على الخصائص الفريدة التي يتميز بها نموذج إنساني عن النماذج الأخرى من الناحية البيولوجية.

٤- تعتمد الأنثروبولوجيا أساساً على الدراسة العقلية لتجميع المادة العلمية Fieldwork لأن قضايا وتساؤلات علم الإنسان تتلم بالشمولية وتتطلب قدرًا كبيراً من المادة الوصفية الأنثروجرافية والتي تتعلق بالجوانب المختلفة للثقافات الإنسانية.

وقد أصبح من أهم خصائص الأنثروبولوجيا المعاصرة اعتمادها على البحث الميداني أي المعيشة الميدانية داخل المجتمع الذي يختاره الباحث للدراسة وفي إطار نتائج تلك الدراسات العقلية يتمكن علماء الإنسان من اختبار صحة الفرضيات والنظريات المتداولة وكذلك تطوير المعرفة النظرية في المجالات المختلفة.

٥- تركيز علم الإنسان في بداياته الأولى على دراسة ما يسمى بالمجتمعات البدائية أو المجتمعات القبلية البسيطة وتلك السمة دعت كثير من الأنثروبولوجيين لإقرار يقوله أن دراسة المجتمعات البدائية هي أهم ما يميز علم الإنسان عن العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى^(١).

(١) سليمان خلف: علم الإنسان، مقدمة عامة، مرجع سبق ذكره، ص ٧.

٦- يتميز علم الإنسان بأنه علم تركيبى حيث يهدف إلى تجميع وتنسيق المعرفة حول الشعوب وثقافتها والسعي للربط والتأليف بين المعارف حول الإنسان حيث يركز اهتمامه على كائن واحد هو الإنسان ويحاول فهم جميع الظواهر التي تؤثر فيه على حين تركز العلوم الأخرى اهتماماتها على أنواع محددة من الظواهر أينما وجدت في الطبيعة^(١).

إن الفارق الرئيسي بين الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية التي تعني بالإنسان هو أنها تتناول مجالاً أوسع من الاهتمامات وتظهر ميلاً أكثر نحو استعارة الحقائق من أي مصدر ووضعها في نظام معرفي متكامل.

علم الإنسان الخلفية التاريخية

يبدو أن هناك تصور غالب في تراث العلوم الاجتماعية للدول الغربية يذهب إلى أن الأصول النظرية الأولية لعلم الإنسان قد ظهرت في عصر النهضة الأوروبية وأن علم الإنسان هو أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق وأنها في كل الحالات ما زالت في مرحلة التطور بل أن البعض يؤكد على أن نشأتها كعلم مستقل بدأت منذ ١٢٠ عام تقريباً، ومنذ ذلك تبلورت كدراسة متخصصة لها كيائها المستقل في مقابل تلك الرؤية يذهب هارس M Harris إلى تحديد مغاير لانطلاق هذا العلم حيث

(١) محمد علي محمد: دراسات تمهيدية في علم الإنسان، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٤٨ - ٥٠.

يشير إلى أن ربط الأدبيات الأنثروبولوجية بداية ظهور العلم ببداية تدريسه على يد الرواد الأوائل فيه مغالطة كبيرة، فإذا كان إدوارد تيلور E.Tylor قد بدأ في جامعة أكسفورد عام ١٨٨٤م، فرانز بواس F.Boas في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٦م، هادون A.Haddon في جامعة كامبردج عام ١٩٠٠م، و جيمس فريزر J.Frazer في جامعة ليفربول ١٩٠٧م، فهذا لا يعني أن الأنثروبولوجيا قد نشأت كعلم منذ ذلك التاريخ بل يمكن القول أن الفكر الأنثروبولوجي في مراحل ما قبل النضج ظهر قبل ذلك بفترات طويلة^(١).

ويمكننا أن ننسب بواكير الفكر الأنثروبولوجي إلى العصور القديمة حيث يمكن اعتبار الحروب والرحلات التجارية منذ عصور ما قبل الميلاد وما نجم عنها من اتصالات بين الشعوب واكتساب المعرفة بعضها عن الآخر من ناحية اللغة والعادات والتقاليد بمثابة الجذوب الأولية لدراسات علم الإنسان، وهناك شواهد أخرى لبواكير المادة الوصفية لشعوب المجتمعات القديمة حيث جاءت تلك المحاولات في كتابات عدد من الكتاب الإغريق مثل كتابات هيروdotس الذي يعتبرونه أول باحث أنثروبولوجي في التاريخ الذي اشتهر بمعلوماته الوصفية الدقيقة التي كتبها عن الشعوب غير الأوروبية وقد تناول هيروdotس تقاليد وعادات والملامح الجسمانية والأصول السلالية لتلك الشعوب وفي السياق ذاته يمكن اعتبار

(١) Harris, M: The Rise of Anthropological Theory N. Y, Crowel 1968, 1(p77).

العديد من الكتابات العربية تنضري تحت بند الدراسات الأنثروبولوجية مثل كتاب البيرولي عند الهند والمعاجم الجغرافية العديدة التي وضعها الرحالة المسلمين مثل المقدسي والمسعودي وابن بطوطة وكذلك كتابات ابن خلدون حول طبيعة العمران البشري^(١).

وعلى الرغم من أن بداية القرن التاسع عشر شهدت تبلور مفهوم الأنثروبولوجيا كعلم إلا أنه يمكن تحديد عدد من العوامل أو الحركات التاريخية الكبرى التي جرت في تاريخ الشعوب الإنسانية بعامّة والحضارة الغربية الحديثة بخاصة على أنها أوجدت جملة من التأثيرات المباشرة تلك التي أسهمت في ظهور علم الإنسان كنوع جديد من أنواع المعرفة.

أولاً: الرحلات الكبيرة التي قام بها عدد من الرحالة المشهورين في الشرق والغرب والتي امتدت من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادي ومن أمثلة أولئك الرحالة رحلة مراكز بولو الإيطالي في الصين ومناطق أخرى في آسيات حيث امتدت لمدة تزيد عن عشرين عاماً (١٢٧١ - ١٢٩٥) ورحلات ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٨) حيث امتدت لفترة ٢٨ عاماً زار فيها بلدان كثيرة في آسيات وأفريقيا ورحلات البيروني ووصفه للمجتمع الهندي وصفاً أنثروبولوجياً دقيقاً اشتمل على دراسة نظمه الدينية والاجتماعية وأنماطه الثقافية وقدم مقارنة تفصيلية بين الثقافة الهندية وثقافات العرب والفرس والإغريق وأشار في شروحه هذه إلى ظاهرة انغلاق المجتمع الهندي وأرجعها إلى أسباب العزلة واختلاف اللغة الهندية عن اللغة العربية.

(١) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ٥٥.

وفي القرن الرابع عشر كانت أسفار وتنقلات عبد الرحمن بن خلدون عبر بلدان المغرب العربي تلك التي زودته بملاحظات ومعارف دقيقة خاصة بأنماط الحياة والمعيشة المتنوعة للناس في المجتمعات التي شملتها رحلاته، وقد أرسى ابن خلدون قواعد المنهج لدراسة المجتمع وطبيعة العمران البشري ودورة الحضارات في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وقد وصفت بأنها عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية ونظمهم الاجتماعية آنذاك وقد درس ابن خلدون في مقدمته العلاقة بين البيئة الجغرافية وشئون الاجتماع وبلور نظريته التي أسماها بدورة العمران بين البداوة والحضارة على أساس المشابهة بين الجماعة البشرية وبين الكائن الحي^(١).

ثانياً: عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حيث لعبت دوراً هاماً في تنمية الحس الاثنوجرافي الوصفي في الكتابة عن الشعوب والثقافات غير الأوروبية التي تم التعرف عليها خلال هذه الرحلات.

(١) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي ١٩٦٦م، ص ٢٥٢ - ٢٥٥.

ومن أمثلة تلك الرحلات رحلة فاسكر دي جاما البرتغالي (١٤٦٠-١٥٢٤) حول أفريقيا واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ورحلة فردينادر ماجلان البرتغالي حول جنوب أمريكا^(١).

ثالثاً: كان لظهور الاتجاه العلمي في الغرب الذي ظل ينمو باستمرار منذ القرن السابع عشر وخاصة بعد ما أرت دعائمه كتابات فرنسيس بيكون (انجلترا) وديكارت (فرنسا) تأثير بدرجات مختلفة في تشكيل منطلقات الفكر الاجتماعي الحديث كما أدى التقدم العلمي في العلوم الطبيعية والرياضيات إلى تنامي البحث التجريبي وبروز الاتجاه العلمي وأصبح من المسلمات أن كل الوقائع الطبيعية والإنسانية قابلة للكشف عنها عن طريق منهج واحد هو المنهج العلمي وقد مهد ذلك الطريق إلى بلورة البدايات النظرية للأنثروبولوجيا خلال عصر التنوير.

إن أبرز الأعمال الأوروبية في بواكير التطور تلك التي ظهرت في إنتاج مونتسيكو و جان جاك روسو فقد قدم مونتسيكو عمله الشهير روح القوانين في عام ١٧٤٨م حيث رأى أن الفروق في النظم القانونية يمكن تفسيرها بربطها بالفروق الموجودة في الصفات الأخرى التي تتصف بها دولها من السكان والطباع والمعتقدات الدينية والنظم الاقتصادية والعادات والبيئة وهكذا يستحق مونتسيكو أن يوصف بأنه أول الوظيفيين حيث تبلورت فيمات بعد فكرة التساند الوظيفي بين الأنساق والنظم الاجتماعية للمجتمع في أعمال الأنثروبولوجيا البريطانية في مطلع القرن العشرين^(٢).

(١) حسين فهميم: أدب الرحلات، سلسلة علم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

(٢) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٤١.

وفي السياق ذاته تعتبر كتابات روسو حول العقد الاجتماعي من أوائل الكتابات الأنثروبولوجية الرائدة حيث استطاع أن يتخلص من الانحياز الثقافي لمجتمعه وأن ينتقد قيم مجتمعه عندما قارن بينها وبين طرق حياة الشعوب الأخرى، كما تناول المادة الأثنوجرافية عن الشعوب المستكشفة في إطار المقارنة بينها وبين المجتمعات الأوروبية، أما في ألمانيا فقد تمحور الفكر الألماني حول فكرة التفوق العنصري للسلالة الجرمانية على ما عداها من السلالات وتلك الفكرة التي رفضها الفكر الأنثروبولوجي الحديث فيما بعد وأثبتت عدم صحتها وإن كانت قد أدت فيما بعد إلى توجيه الاهتمام لمزيد من البحوث الأنثروبولوجية حول مفاهيم السلالة واللغة والحضارة^(١).

إضافة إلى ما سبق من أعمال فكرية أولية ظهرت في بريطانيا كتابات دافيد هوم وآدم سميث عن المجتمع وفكرة التقدم كذلك فكرة فيرجسون A. ferguson عن نظام الملكية في المجتمعات البدائية وانطلاقاً من ذلك يمكن اعتبار تلك الأفكار والرؤى التي سادت عصر النهضة وما بعدها أساساً علمياً لبلورة البدايات الفكرية لعلم الإنسان.

(١) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤.

رابعاً: كان للثورة التجارية التي بدأها الأسبان مبكراً ثم رسخت أهميتها كل من هولندا وبريطانيا وفرنسا فيما بعد دوراً هاماً في تطوير صناعية السفن وفنون الملاحة واكتشاف الشعوب والتعرف عليها ودخولها بهدف تحقيق المكاسب التجارية المالية^(١).

خامساً: لقد رسخت الثورة الصناعية منذ أواخر القرن الثامن عشر مبادئ ومنطلقات الثورة العلمية والفكرية كما مدت المجتمعات الأوروبية بإمكانيات اقتصادية وسياسية جديدة بالإضافة إلى أنها أفرزت قوى وطبقات اجتماعية جديدة مثل الطبقة البرجوازية الصناعية تلك التي دفعت الدول الأوروبية لتتطرق خارج حدودها لتحقيق مزيد من المكاسب والتراكم الرأسمالي لصالحها.

سادساً: أن الظروف والمعطيات الجديدة في المجتمعات الأوروبية التي نتجت عن الثورة الصناعية والعلمية خلقت توجهات جديدة لدى تلك المجتمعات وتبنيها للحركة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وقد أدت حركة الامتداد والتوسع الاستعماري إلى وقوف أوروبا أمام تنوع هائل من الشعوب والثقافات المختلفة، وقد عانيت الإدارات الاستعمارية في مناطق متباينة من العالم لدراسة ثقافات تلك الشعوب وعاداتها ونظامها السياسي حتى تستطيع إحكام سيطرتها ويسهل عليها حكم تلك المستعمرات، وقد أدى ذلك بطريق ما إلى تزايد الدراسات الأنثروبولوجية لتلك الشعوب الغربية عنها.

(١) سليمان خلف: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٢.

سابعاً: وفق التطور الفكري السابق يميل كثير من الدارسين إلى اعتبار القرن التاسع عشر هو عصر نشأة الأنثروبولوجيا كعلم له أصوله وقواعده ومناهجه المتميزة حيث صدرت في هذا القرن كثير من الكتب والدراسات تلك التي بلورت العلم، ومن أمثلة تلك الدراسات محاولة الرحالة باستيان Bastian (١٨٢٦-١٩٠٥) والذي اهتم بالأفكار والآراء المتعلقة بالمعتقدات الدينية وأرجع أوجه الشبه التي استخلصها من زيارته لمجتمعات كثيرة إلى صفات سيكولوجية مشتركة في جميع البشر أي الوحدة النفسية للبشرية تلك التي تجعل الناس يفكرون بشكل مستقل عن بعضهم البعض في طقوس وأساطير متشابهة، كذلك راتزل Ratzel (١٨٤٤-١٩٠٤) الذي اهتم بانتشار المعدات حول العالم عن طريق الهجرة ولهذا السبب اهتم كثيراً بالبحث عن التشابه بين الأشياء التي توجد في أماكن بعيدة عن بعضها ويطلق على نظريته اسم الانتشارية.

وفي عام ١٨٧١م نشر لويس مورجان L.morgan كتاب أنساق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية وقد وضع نظرية يقترح فيها سلسلة من مراحل تطور الأسرة من الإباحية الجنسية المطلقة إلى الزواج الواحدي، وقد سبق ذلك بنشر كتابه في عام ١٨٥١م عن عصبية الإيروكوا، وهو أول وصف لنظام سياسي مبني على العلاقات الموجودة بين البدنات المستقلة ذاتياً، مثل تلك التي حلها فيما بعد إيفانز بريتشارد وفي سياق الدراسات التطورية ظهرت نظرية السويسري باخوفين Bachofen (١٨١٥-١٨٨٧) عن مجتمعات الانتساب إلى الأم، حيث

افتراض أنها تتألف من أناس لم يعترفوا بأبوة الذكر، كما ظهرت أيضاً أعمال ماك لينان J.F. Mc.Lenan (١٨٢٧ - ١٨٨١) حول دراسات في التاريخ القديم، حيث ذهب إلى أن بعض التصرفات الاجتماعية الشاذة يمكن تفسيرها على أنها رمز لأفعال كان يقوم بها الناس في العهود الأولى للتطور الاجتماعي، وقد ابتكر ماك لينان مصطلحي الزواج الخارجي Exogamu والزواج الداخلي Endogamy أي الزواج من خارج أو من داخل جماعة معينة^(١).

ثامناً: كانت كتابات كل من هنري سمنر مين Henry sumner Maine (١٨٤٢ - ١٨٨٨) وإداورد بيرلت تايلور Edward Burnett Tylor (١٨٣٢ - ١٩١٧) نقطة تحول في الدراسات الأنثروبولوجية، حيث بلورت كثير من مفاهيم علم الإنسان المستخدمة حتى الآن، فقد اهتم سمنر مين بصفة خاصة بتطور القواعد القانونية منذ نشأتها وركز على التغيير من مجتمعات مبنية على المكانة تلك التي يحصل الفرد فيها على حقوق وواجبات بفضل مكانته، وخاصة مكانته بالنسبة لحسبه ونسبه بين الجماعة، وهي مكانة تؤهله للدخول في علاقات مع الناس لأغراض معينة ويدين له علم الإنسان بمصطلح قرابة العصب وتعني الاعتراف بالعلاقة التي تأتي عن طريق السلالة من الذكور ومصطلح قرابة النسب وتعني الاعتراف بالعلاقة بين جميع الأفراد المنحدرين من سلالة أم واحدة وأب واحد.

(١) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠ - ٤٤.

أما تايلور فيوصف بأنه أبو الأنثروبولوجيا البريطانية بالرغم من أن تأثيره أقوى بين الأنثروبولوجيين الأمريكيين فقد كان شديد الاهتمام بالديانة وقد قدم تعريفاً مبسطاً للديانة حيث أشار إلى أنها الإيمان بكائنات روحانية.

وقد حاول تايلور إضفاء الصبغة العلمية على الدراسات الأنثروبولوجية عن طريق استخدام ما أسماها بالرياضيات الاجتماعية أي تبويب العادات لكي يرى طريقة علاقتها وارتباطها ببعض ويعتبر بذلك مؤسس المنهج المقارن، واصطاح مفهوم زواج أولاد العمومة أو الخؤولة لوصف عمليات الارتباط الناتجة عن زواج أبناء الأخ والأخت والذي يكثر في المجتمعات البسيطة وأكد أن زواج الاغتراب يدعم الشعوب غير المثقفة ويحكم ترابطهم ليصبحوا دولاً قادرة على التعايش في سلام حتى يصلوا إلى درجة أعلى من التنظيم العسكري والسياسي، وأشار إلى روابط النسب والقرباة يقلل من عمليات الثأر ويؤدي إلى تماسك القبيلة، وقد أدخل تايلور مصطلح الرواسب الثقافية تلك التي عرفها بأنها عمليات وعادات وآراء... الخ، انتقلت بفعل العادة إلى وضع جديد للمجتمع يختلف عن ذلك الذي نشأت فيه وقد عرفت تايلور موضوع دراسة علم الإنسان بأنه دراسة الثقافة فأصبح بذلك مؤسس مدرسة بأكملها داخل علم الأنثروبولوجيا^(١).

(١) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٨، ٤٩.

وقد أضاف كل من جيمس فريزر وفرانس بواس للأعمال السابقة اهتمامات جديدة وساعدا على بلورة مجالات علم الإنسان حيث يعد فريزر أبرز ممثلي التراث القديم في الأنثروبولوجيا التي تعتمد على التأمل والتحليل المكتبي والذي حاول من خلال أعماله أن يؤلف بين المعلومات المتباينة والمتنوعة التي جمعها علماء آخرون من شتى أنحاء العالم ويصيغ من خلالها نظرية تخمينية أو افتراضية حول أصول الثقافة^(١).

تاسعاً: استفادت الأنثروبولوجيا كثيراً من الدراسات الميدانية سواء على مستوى بلورة مجالاتها وتحديد كثير من مفوماتها ووضع العديد من المقولات السابقة موضع الاختبار بمقارنتها بالمعلومات الميدانية وكذلك في تطوير منهجية البحث وطريقة صياغة الفروض والتأكد منها حيث أصبحت فكرة خروج الأنثروبولوجيين للحصول على بياناتهم بأنفسهم بدلاً من الاعتماد على ما يقصه عليهم الرحالة سائدة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

وبدأت تلك الدراسات الميدانية بأعمال فرانز بواس لقبائل الأسكيمو في كندا وكذلك زار تشارلز سليجمان (١٨٧٣ - ١٩٤٠) غينيا الجديدة وقد تم جمع البيانات من خلال مقابلات مقننة وبمساعدة معاونين، كما كانت لرحلة مالينوفسكي إلى جزر التروبرياند، حيث مكنته إقامته الطويلة في تلك الجزيرة أن يرى الحياة الطبيعية والعمليات الاجتماعية وأن يلاحظ الفروق بين المعايير الاجتماعية الموضوعة وبين السلوك العادي وأنواع الضغط الاجتماعي الذي فرض على المتمردين على تلك المعايير.

(١) جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٨.

وهنا يحسب لمالينوفسكي ما حققه من تحول جذري في المنهج فمنذ منتصف العشرينات بدأ الأنثروبولوجيون متأثرين بمالينوفسكي يتشجعون على الإقامة لمدة سنة كاملة أو أكثر بين السكان الذين كان عليهم أن يتعلموا لغتهم وقد تم التركيز على علاقات التفاعل بين الجوانب المختلفة للثقافة أو البناء الاجتماعي وبالتالي الابتعاد عن التاريخ التخميني أو الظني وساد أيضاً الاتجاه نحو التحليل الكلي الشامل لثقافة واحدة بواسطة المباحث المتخصص الذي يجمع البيانات بنفسه من الميدان.

عاشراً: لقد تأثرت الدراسات الأنثروبولوجية بأعمال علماء الاجتماع الفرنسيين خاصة أعمال إميل دوركايم بالرغم من أن معظم اهتماماته تركزت حول المجتمعات الأوروبية باستثناء دراسته حول تقسيم العمل الاجتماعي تلك التي قارن فيها بين الفروق الموجودة في أنواع التضامن بالمجتمعات ذات النظم البسيطة وتلك ذات النظم المركبة في تقسيم العمل، ونتيجة لذلك اصطلح مفهوم التضامن الآلي الذي يحدث في المجتمعات البسيطة في مقابل مفهوم التضامن العضوي حينما يكون تقسيم العمل مركباً، وكذلك مؤلفه حول الأشكال الأولية للحياة الدينية، حيث أشار إلى أن الطقوس تعكس نظام المجتمع وأن الآلهة التي تعبدها الناس هي فعلاً المجتمع أي تجسيد القيم وقواعد السلوك التي يعتز بها المجتمع، ويذهب إلى أن الطقوس والشعائر الموسمية تساعد على تقريب أفراد المجتمع وتشعرهم باعتمادهم على بعضهم البعض وبضرورة التماسك بتلك القواعد التي تساعد على بقائهم^(١).

(١) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

وقد تأثر بدوركايم كل من مالينوسكي وراذكليف براون اللذين تعتبر نظريتهما جزءاً هاماً من فكر الأنثروبولوجيين المعاصرين، وتأثر كذلك بأعمال دوركايم كثير من معاصريه مثل مارسيل موس Marcel Mauss في دراسته حول تبادل الهدايا ومبدأ العلاقات الاجتماعية تلك التي تطلق عليها الدراسات الحديثة عملية التبادل.

وكذلك فان جنب Van Gennep في دراسته عن أنماط مختلفة من الطقوس والشعائر ومن بعده ليفي شتراوس Levi Strauss والذي طور فكرة التبادل لتكون المبدأ الأساسي للبناء الاجتماعي وقد تأثرت أيضاً الدراسات الأنثروبولوجية بأعمال عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر Max Weber (١٨٦٤ - ١٩٢٠) وكانت لتلك الأعمال الأنثروبولوجية المتأثرة بالنزعة الميدانية وبأعمال علماء الاجتماع الفرنسيين والألمان أهمية واضحة على تطور علم الإنسان وإعادة صياغة بعض مجالاته ومستقبل العلم ذاته وذلك كما أوضح إيفانز برينشارد للاعتبارات التالية^(١):-

- اعتبار البحث الحقلي الأنثروبولوجي ركيزة أساسية يقوم عليها علم الأنثروبولوجيا ويحتاج البحث الحقلي إلى فترة مناسبة لفهم ثقافة المجتمع السائدة وتوفير الثقة بين الأهالي والباحثين.
- النظر إلى الأنثروبولوجيا كعلم يحتاج إلى التخصص والتفرغ الكاملين.

(١) لوسي ماير: المرجع السابق، ص ٥٢.

الحادي عشر: وقد طورت الأنثروبولوجيا المعاصرة مدخلاً يصلح لدراسة أي منطقة سواء كانت غربية أو غربية وذلك بطريقة متميزة لها قواعدها الواضحة فهي ترفض نزعة التمرکز حول السلالة باستعدادها إجراء مقارنات بين الثقافات، مع إشارتها إلى إمكانية وجود عموميات متشابهة في كل الثقافات، وتؤكد على تطبيق الملاحظة بالمشاركة على امتداد فترة زمنية طويلة أصبح أمراً مقنناً، وقد ابتعدت الأنثروبولوجية عن التركيز على المجتمعات الأمية إلى دراسة المجتمعات المتعلمة، ودراسة المناطق التي تنتشر فيها الديانات العالمية، كما وسعت من نطاقها حيث تدرس الجماعات الريفية والحضرية وتهتم بالجماعات والفئات المحرومة من القوة وتلك التي تمتك القوة وتدرس المجتمعات الرأسمالية بشتى أنواعها^(١).

ويتلاحظ من العرض السابق كيف تطورت البدايات الفكرية الأنثروبولوجية ومرت بمراحل تطويرية متعددة حتى أصبحت علماً راسخاً له صياغات محددة لموضوعاته ومنهجه ووسائل جميع بياناته.

(١) جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٠.

الفصل الثاني

مجالات الدراسة الأنثروبولوجية
الأنثروبولوجيا الطبيعية (البيولوجية)

مجالات الدراسة الأنثروبولوجية

إن تحديد مجالات العلم تعتبر نقطة البداية في توجيه دراساته وصياغة التساؤلات التي يحاول تقديم إجابات لها إلا أن تحديد المجالات في الأنثروبولوجيا ظل لفترات تاريخية طويلة لا يحظى باتفاق عام وظهر التباين في شكل مدرستين تقسم علم الإنسان إلى فروع فالمدرسة الأمريكية تقسم علم الإنسان إلى فرعين رئيسيين هما:-

- الأنثروبولوجيا البيولوجية Physical Anthropology

- الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية Socio-cultural Anthropology

أما المدرسة الإنجليزية فهي تقسم علم الإنسان إلى ثلاثة فروع

أو مجالات رئيسية وهي:

- الأنثروبولوجيا البيولوجية

- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

- الأنثروبولوجيا الثقافية

ويتلاحظ من هذا التقسيم أن المدرسة الأمريكية تركز بصفة خاصة على دراسة الثقافة من خلال فرع الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية في حين أن المدرسة الإنجليزية تعطي أولوية لدراسة البناء الاجتماعي للمجتمع من خلال فرع مستقل يعرف بالأنثروبولوجيا الاجتماعية إضافة إلى الأنثروبولوجيا الثقافية والبيولوجية^(١).

(١) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، دار العلم بالفيوم، ٢٠٠١م، ص ٦.

ورغم هذا التباين إلا أن هناك اتفاق بين علماء الإنسان على أن

العلم ينقسم بصورة أساسية إلى فرعين أو مجالين رئيسيين هما:

- المجال الأول ويهتم بدراسة الجانب الطبيعي البيولوجي (الفيزيقي) للإنسان

ويعرف بالأنثروبولوجيا الطبيعية أو البيولوجية Physical anthropology.

- والمجال الثاني ويهتم بدراسة الإنسان ككائن ثقافي اجتماعي ويعرف باسم

الأنثروبولوجيا الثقافية Cultural anthropology ويطلق على هذا الفرع في

بعض البلدان مثل إنجلترا باسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

في كل الحالات يتناول كل فرع من تلك الفروع أو المجالات لعلم

الإنسان عدداً من القضايا والموضوعات والتساؤلات التي ترتبط ارتباطاً

وثيقاً ببعضها ويمكن تقديم عرض موجز لأهم الموضوعات التي تندرج

تحت المجالات الأساسية.

الأنثروبولوجيا الطبيعية (البيولوجية) Physical anthropology

تعني الأنثروبولوجيا الطبيعية كما يذهب أحمد زكي بدراسة

وتشريح البناء الجسماني والهيكل الفيزيقي للنوع الإنساني وتتبع التطور

التاريخي للتكوين العضوي والخصائص المميزة للسلاسل البشرية والتي

بمقتضاها يصنف العلماء الأجناس إلى سلاسل وعائلات بشرية

مختلفة^(١).

(١) أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٨.

وقد ظهرت الأنثروبولوجيا الطبيعية كأحد فروع المعرفة يختص بدراسة الإنسان ككائن بيولوجي أو طبيعي ولهذا السبب فإن اهتماماتها ترتبط بالعلوم الطبيعية الأخرى مثل علم الأحياء والتشريح والوراثة ودراسات التاريخ الطبيعي بالإضافة إلى استخدامها الوسائل العلمية والمعملية والأركيولوجية في البحوث ويمكن طرح أهم اختصاصات الأنثروبولوجيا الطبيعية في التالي^(١):

١- يهتم بدراسة خصائص الإنسان البيولوجية ومميزاته الجسمانية التي منحتها مكانة متميزة بين كل المخلوقات وهيأت له قدراته فائقة تجعله كائن ثقافي واع بمكانته وإمكانياته.

٢- كما تهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بدراسة التطور البشري من خلال دراسة وتحليل الحفريات المتصلة بالإنسان وآثاره.

٣- ويعتبر التباين والتنوع بين الجماعات والسلالات البشرية أحد أهم الموضوعات التي توليها الأنثروبولوجيا الطبيعية اهتمامها وذلك بهدف تحديد ودراسة أهم تلك الخصائص والاختلافات بين السلالات والجماعات السكانية وذلك مثل شكل الجسم ولون البشرة وفصائل الدم والموروثات الجينية ووظائف الأعضاء الداخلية المختلفة.

(١) سليمان خلف: علم الإنسان مقدمة عام، مرجع سبق ذكره، ص ١٤.

٤- وتوضح أيضاً أهم موضوعات الأنثروبولوجيا الطبيعية في دراسة علاقات الإنسان بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها ويمثل جزء منها وتتضمن أيضاً مسألة التلائم والتوافق مع البيئة الطبيعية والإنسان.

٥- وتولي الأنثروبولوجيا الطبيعية أهمية خاصة بدراسة موضوعات الوراثة والتغذية والاختلافات بين الجنسين وما يتصل بها من موضوعات وقضايا متعددة.

وفي هذا السياق تتضح حقيقة يجب الإشارة إليها من خلال الدراسات الأنثروبولوجيا الحديثة حيث تعرضت الأنثروبولوجيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين لقدرة كبير من التغير والتخصص سواء من حيث درجة تعقد المشكلات التي تدرسها وتنوعها أو دقة أساليب البحث التي تستخدمها، لقد تحولت من الاعتماد على الملاحظات المورفولوجية والقياسية الموحدة عن الهياكل العظمية والشعوب المعاصرة وكذلك التحليلات الإحصائية البسيطة نسبياً وتصنيف الشعوب وفقاً لقامات الأفراد وأحجام الجمجمة والأبعاد الجسمية المختلفة في مقابل الدراسات المعاصرة التي تعتمد على البيولوجيا الجزيئية وعلى بعض الأساليب الحديثة مثل المعالجات الرياضية المعقدة لعلم الوراثة ودراسة الهيموجلوبين^(١).

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجيا معاصرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص ٢٨.

ونتيجة لهذا التطور الهائل الذي عكسته الدراسات الأنثروبولوجية تبلورت العديد من التخصصات والقضايا التي لم تتطرق لها من قبل في الأنثروبولوجيا البيولوجية ومنها على سبيل المثال:

- الدراسات الأيكولوجية تلك التي تتناول العلاقات بين بعض العوامل المؤثرة مثل المناخ، والارتفاع، وتوزيع الموارد وتوزيع السكان وكثافتهم ومدى تأثير العوامل التكيفية والانتخابية والتي تتدخل في تشكيل الوعاء الوراثي العام للسكان.

وتتداخل تلك العوامل بدورها تداخلاً معقداً مع الظواهر الثقافية والاجتماعية ومن أمثلة تلك الموضوعات آثار التغذية والعلاقات بين شكل الجسم وشكل الأداء الوظيفي البيولوجي والثقافي ودور الوراثة في التأثير في المرض وعلاجه^(١).

وفي الإطار ذاته يتلاحظ أن فهم الإنسان كنتاج لعملية التطور يتطلب قدراً من فهم تطور كافة أشكال الحياة وكذلك فهم طبيعة الحياة نفسها ووفقاً لذلك نجد أن الباحثين في الأنثروبولوجيا البيولوجية يركزون على فهم تاريخ السمات الفيزيائية للإنسان القديم سواء بدراسة الآثار القديمة للإنسان أو بإجراء مقارنات دقيقة بين بعض هذه الأشكال الأولى للإنسان وبعضها الآخر من ناحية، وبينها وبين الإنسان الحديث من ناحية أخرى.

(١) محمد الجوهري، المرجع السابق، ص ٢٩.

وبذلك يمكن تعقب سمة جماعية بنائية معينة أو مجموعة بأكملها من السمات من أقدم الجماعات البشرية وحتى الآن والأنثروبولوجي بذلك يحاول إعادة رسم التسلسل التاريخي للإجابة على تساؤلات مثل: متى وأين ظهرت أقدم الكائنات البشرية لأول مرة؟ وكيف كانت هيئة تلك الكائنات البشرية وكيف تتشابه أو تختلف بعضها عن بعض؟ وكيف تغيرت السمات الفيزيكية للإنسان خلال الفترة التي عاشها على الأرض^(١).

ومن الدراسات الحديثة في الأنثروبولوجيا تتبلور في دراسة سبل تفاعل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها سواء كانت الأرض والهواء والبحر بالإضافة إلى الكائنات الحية العديدة المتنوعة التي تشارك الإنسان في عالمه، وآثار هذا التفاعل على طبيعته البيولوجية، كما أن الأنثروبولوجيا البيولوجية تهتم بالتغيرات التي تطرأ على الشعوب في البناء الجسمي نتيجة للاتصال بشعوب أخرى، ويهدف إلى تقديم إجابات لتساؤلات تطرح في هذا المجال مثل: ماذا يحدث عندما تتزوج جماعات مختلفة بعضها عن البعض؟ وهل تتميز بعض أنواع البشر بأنها أرقى فطرياً من الأنواع الأخرى؟ هل هنالك علاقة بين نمط الإنسان الفيزيقي ومزاجه؟ أو ذكائه؟ واتجاهاته الخاصة أو سلوكه بوجه عام؟

(١) محمد الجوهري، المرجع السابق، ص ٣١

يضاف إلى ما سبق فإن هناك فرع حديث لدراسة الأنثروبولوجيا البيولوجية يتمحور اهتمامه حول دراسة سلوك الإنسان، حيث تعمل الدراسات المقارنة لسلوك الرئيسيات وهي المجموعة التي ينتمي إليها الإنسان من الناحية البيولوجية وتعتمد الدراسات من ذلك إلى إلقاء الضوء على أصول الحياة الاجتماعية عند الإنسان والبدائيات الأولى للثقافة^(١).

وإذا كانت الموضوعات والتساؤلات التي تتدرج تحت الأنثروبولوجيا البيولوجية كثيرة ومتشعبة ولا يمكن أن يتم حصرها هنا في تلك المقدمة السريعة إلا أنها إشارة لتؤكد فقط على مدى التطور الهائل الذي حققته الأنثروبولوجيا البيولوجية في العقود الماضية سواء في تحديد التخصص ودقة الأدوات المنهجية المستخدمة أو ما توصلت إليه من رؤى وتعميمات نظرية.

(١) علياء شكري وآخرون: الحياة اليومية لفقراء المدينة، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥م، ص ١١.

الفصل الثالث

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

Social anthropology

الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social anthropology

أن ثمة حقيقة يجب الإشارة إليها وتتمثل في اختلاف الأنثروبولوجيين فيما بينهم حول وضع الحدود الفاصلة بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية إلا أنه على الرغم من ذلك الخلاف ومع وجود التداخل بين هذه العلوم فإن ما بينها من فروق يزداد وضوحاً ويظهر ذلك في إنشاء كثير من الأقسام المشتركة للأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع حتى أن بعض الباحثين مثل ريموند فيرث Ramond Firth أطلق عليها علم اجتماع الوحدات الصغرى Microsociology^(١).

إن مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية يتم إطلاقه على التراث المهيمن في الأنثروبولوجيا البريطانية وفقاً لتأكيد العلماء البريطانيين في دراساتهم على مفاهيم مثل المجتمع والبناء الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي كما أن تلك السيطرة لكل ما هو اجتماعي ترتبط في الواقع بمفكري النظرية البنائية الوظيفية مثل رادكليف براون وقورتنس اللذان اعتمدا على نظريات دوركايم عن الظواهر الاجتماعية وعن الاستقلال الذاتي للمجال الاجتماعي، بعكس التوجهات النظرية

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٣م، ص ٣٤.

والبحثية المتزامنة معها في أمريكا حيث سيطرت مفهومات الثقافة تلك التي مثلت معارضة فكرية للحتمية الاجتماعية البريطانية^(١).

وتذهب لوسي مير في هذا السياق إلى أن علم الاجتماع هو أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلا أن الآراء تختلف حول تكييف طبيعة هذه العلاقة فكل منهما يدعي لنفسه دراسة المجتمع كله وليس جانباً واحداً منه مثل الاقتصاد أو السياسة^(٢).

ووفقاً للتعريف الكلاسيكي للأنثروبولوجيا الاجتماعية يمكن فهمها على أنها دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات واهتمام الأنثروبولوجيا الاجتماعية بداء البناء الاجتماعي للمجتمع والنظم الاجتماعية والظواهر الاجتماعية إضافة إلى اهتمامها بدراسة المجتمعات المحلية دراسة كلية شاملة وفقاً لمناهج البحث الأنثروبولوجي جعلها تبلور محاور بحثية أقرب ما تكون إلى دراسة علم الاجتماع إلا أن التمييز أو التقسيم بينها يرجع إلى الممارسة ذاتها وليس إلى مبدأ أو أساس نظري معين، ذلك أن كلا منهما

(١) سارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٨م، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) لوس مير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: علياء شكري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

يتناول موضوعاً مختلفاً، كما أنهما يستخدمان مناهج متباينة إلى حد كبير ويمكن القول بأنهما فروع لدراسة المجتمع^(١).

ويذهب محمد الجوهري إلى أن موضوع دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية الآن هو المجتمعات في أثناء عملية النمو الاقتصادي والتغير الاجتماعي وهذا الموضوع الذي يدرسه عالم الاجتماع وعالم الأنثروبولوجيا على السواء كما وضحت من كثرت أعمالهم حول هذه المشكلات في آسيا وأفريقيا يضاف إلى ذلك أن المجتمعات البدائية أخذت تختفي بصورة واضحة تلك التي كانت موضوعاً للأنثروبولوجيا الاجتماعية كما أنه لا يمكن التسليم بانفراد علم الاجتماع بدراسة المجتمعات المتقدمة، حيث تدرس الأنثروبولوجيا المجتمعات المحلية الصغيرة وجماعات القرابة ومع هذا التقارب الشديد يرى الجوهري أن التفرقة قائمة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية في ضوء اختلاف المصطلحات والمدخل والمنهج لكن الانتقاء بين العلمين واضح برغم كل ذلك.

وفي بلاد العالم الثالث توجد الفرصة الحقيقية للقضاء على التفرقة بين العلمين وبصفة خاصة في مصر حيث يتناول علماء

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجيا معاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

الأنثروبولوجيا والاجتماع موضوعات مشتركة وإن كان هناك تفاوت وتباين وفقاً للموضوع أو القضية المدروسة والمنهج المستخدم.

وتستخدم الأنثروبولوجيا الاجتماعية مفهوماً محورياً وهو البناء الاجتماعي وذلك كما يذهب رداكليف براون في تحديده لمجالات الأنثروبولوجيا حيث يراه في أي مكان ملائم بحج مناسب وهذا يعني أن الأنثروبولوجي الاجتماعي يفكر في المجتمع وليس في الثقافة كتكوين منظم لأجزاء متعددة وأن واجبه هو اكتشاف هذا النظام وتفسيره وذلك الذي يتكون من العلاقات القائمة بين الأفراد وهي علاقات ينظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترف بها^(١).

والبناء الاجتماعي كما يعرفه أحمد زكي هو النمط المقرر لأي نظام داخلي لجماعة ما ويتضمن مجموع العلاقات الموجودة بين أعضاء الجماعة وبعضهم البعض وبينهم وبين الجماعة نفسها بعبارة أخرى يعني البناء الاجتماعي إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة التجمعات القائمة على القرابة والجنس والسن والمصلحة المشتركة والمكانة والمنزلة أو كنموذج قائم تبعاً لهذه العلاقة.

وفي السياق ذاته يرى أحمد أبو زيد بأن البناء الاجتماعي الكلي لأي مجتمع من المجتمعات عبارة عن نسق من الأبنية المنفصلة المتميزة

(١) لوسي مير: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، ص ٦٦-٦٧.

التي يقوم بينها رغم تمايزها وانفصالها علاقات متبادلة مثل البناء القرابي والبناء السياسي والبناء الاقتصادي ويضم كل هذه الأبنية الجزئية عدد من النظم الاجتماعية التي تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متكاملة ولا يتم فهم البناء الاجتماعي بدون فهم ودراسة هذه الأبنية الجزئية التي تتداخل وتتفاعل بعضها مع بعض^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوما المكانة والدور تستخدم بشكل مكثف في الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في مجال البناء الاجتماعية وتعتبر المكانة عن مركز الشخص بالنسبة لمركز غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية وقد يشغل الإنسان عدة مكانات وله مكانة كلية، وقد تكون المكانة موروثية مثل التشريعات التي تنص على تنصيب ولي العهد وقد تكون مكتسبة مثل وصول أحد الأشخاص لرئاسة الجمهورية عن طريق الانتخابات^(٢).

ويشيع استخدام مفهوم المكانة كمرادف لمصطلح هيبية ولكنها تستخدم في بحوث علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية بمعنى وضع Position في بناء اجتماعي معين والواقع أن تنظيم تلك الأوضاع يتم بطريقة تدريجية هرمية يربط بين المعنيين المشار إليهما، وفي سياق نظرية

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٥٥.

(٢) لوسي مير: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م، ص ٦٧.

الدور يكون التمييز بين المكانة والدور هو التمييز بين وضع اجتماعي معين والسلوك المتوقع من شاغل هذا الوضع^(١).

ويهتم الباحث في علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية أيضاً بالطريقة التي يصوغ بها المجتمع الأدوار التي يقوم بها الناس ومستوى أداء تلك الأدوار ونتائج عدم أدائها كما ينبغي وتتضمن الأدوار مسئوليات القيادة والأمر والحماية والطاعة والتعاون....الخ.

ويذهب لينتون ١٩٣٦م في تعريفه الكلاسيكي للدور إلى أنه الجانب الدينامي للمكانة فإذا كانت المكانة تمثل وصفاً اجتماعياً معيناً له مجموعة محددة من الحقوق والواجبات المرتبطة به فإن الدور يعني تنفيذ توقعات المكانة وقد أضاف ميرتون ١٩٤٩م مفهوم مجموعة الأدوار ويقصد به مجموعة علاقات الدور المرتبطة بمكانة اجتماعية معينة، وكذلك مفهوم صراع الأدوار والذي يتمظهر حين تفرض على الفرد توقعات أو متطلبات غير متوافقة^(٢).

ويذهب محمد الجوهري إلى أنه عندما تتكون لدى الناس أفكار جديدة عن أداء أدوارهم يتحقق التغيير الاجتماعي كما أن القواعد التي تحدد الأدوار تسمى توقعات الدور أما الضبط الاجتماعي فيتضمن جميع درجات

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤٩.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: المرجع السابق، ص ٣٦٦.

الضغط الاجتماعي الذي يهدف إلى حمل الناس على القيام بأدوارهم وفقاً لهذه التوقعات^(١).

ويستخدم مصطلح الضبط الاجتماعي على نطاق واسع ليشير إلى كل أنماط القسر والقيود التي تفرض الامتثال للمعايير والعادات في المجتمع البشري وهو ذلك يعد مرادفاً لكل من النظام الاجتماعي أو التنظيم الاجتماعي.

وتستخدم الدراسات الأنثروبولوجية مصطلح الضبط الاجتماعي بمعنى أوسع بوصفه يمثل جانباً من أنواع كثيرة مختلفة للنظم الاجتماعية والمواثيق الثقافية وتتضمن دراسته بالتالي تحليل النظم الدينية والأيدولوجية ودراسة النظم القرابية والمجالات الأخرى للتنظيم الاجتماعي كالنظام التربوي من حيث تأثيرها القهري والرادع الذي تمارسه على أعضاء الجماعة، وتذهب النظريات الوظيفية إلى التأكيد على الضغط لكي يتحقق الامتثال كتعبير عن المصالح الجمعية، يعكس نظريات الصراع والفعل الاجتماعي والماركسية التي تذهب إلى أن آليات الضغط وال ضبط الاجتماعي تستهدف غالباً مصالح إحدى جماعات الصفوة^(٢).

وتعتبر الجماعة من المفهومات التي تستخدم بشكل مكثف وبمدلول خاص في الدراسات الأنثروبولوجية حيث لا توجد مكانات أو

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجية معاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧٦.

أدوار أو ممارسة ضغط اجتماعي إلا في داخل جماعة، ويعني مفهوم الجماعة مجموعة مشتركة لها وجود دائم أي مجموعة من الناس تجمعوا معاً حسب مبادئ معترف بها ولهم مصالح وقواعد مشتركة تسمى بالمعايير وهي التي تحدد حقوق أفراد هذه الجماعة وواجباتها بالنسبة إلى بعضهم البعض وبالنسبة لهذه المصالح^(١).

وتهتم الدراسات الأنثروبولوجية في هذا السياق بالوحدات الرئيسية المكونة للبناء الاجتماعي ويقصد بها النظم الرئيسية في البناء، حيث مجموعة العلاقات والروابط والقواعد المتصلة بجانب من جوانب حياة المجتمع فمثلاً النظام الأسري أو العائلي يضم مجموعة العلاقات التي تتعلق بتكوين الأسرة والقرابة وتربية الأطفال وشبكة العلاقات بين الزوجين وبينهما وبين الأولاد، وكذلك بالنسبة لمجموعة العلاقات والقواعد التي تدور حول الإنتاج والاستهلاك والتوزيع تتمحور حول النظام الاقتصادي والنظام السياسي الذي يتمظهر في شكل توزيع القوة في المجتمع ونتائج هذا التوزيع وهناك النظام الديني.

وتدرس الأنثروبولوجيا الاجتماعية بشكل خاص عملية تنظيم استخدام القوة حيث يعتبرونها عملية اجتماعية بالأساس لأنه لا وجود لمجتمع ولا استمرار للحياة دون هذه الظاهرة تلك التي تتطلب قواعد ومعايير وتنظيمات للتحكم فيها.

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجية معاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.

وإذا كان النظام إحدى المكونات الرئيسية للبناء الاجتماعي فهو يستخدم بشكل واسع في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ويعني كما أوضح ليدر ١٩٧٦م أشكالاً من الفعل أو السلوك المقننة التي تربط بين مجموعة معقدة متداخلة من المعايير والأدوار وتخص مجموعة كبيرة نسبياً من الأشخاص الذي يعيشون داخل مجتمع أو منطقة معينة.

بمعنى آخر فالنظام الاجتماعي شبكة منظمة للعلاقات الاجتماعية في مجال معين من مجالات الحياة ويرتبط مفهومه لدى النظرية الوظيفية بمفهوم الحاجات الإنسانية أو المتطلبات الوظيفية للنظم الاجتماعية وعليه تتعدد وتتوسع النظم الاجتماعية بتغير وتنوع الحياة الاجتماعية.

وإذا كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد ركزت في دراستها العقلية في البدايات على المجتمعات البدائية وتحليل بنائها ونظمها الاجتماعية إلا أنها توسعت وانتشرت دراساتها ومجال اهتماماتها لتتضمن إضافة إلى المجتمعات البدائية، المجتمعات التقليدية والمعاصرة في البادية والريف والحضر وقد تفرع عن الأنثروبولوجيا الاجتماعية العديد من المجالات والتخصصات منها على سبيل المثال:

١- الأنثروبولوجيا الاقتصادية

٢- الأنثروبولوجيا السياسية

٣- الأثنروبولوجيا الحضرية

٤- الأثنروبولوجيا الدينية

ويمكن أن نعرض موجزاً لبعض من تلك الفروع والمجالات.

الفصل الرابع

الأنثروبولوجيا الاقتصادية

الأنثروبولوجيا الاقتصادية

يعرف علم الاقتصاد بأنه دراسة العمليات الاقتصادية وتعرف العمليات الاقتصادية بأنها توزيع الموارد النادرة على الأهداف المختلفة والموارد بشكل عام تتضمن أشياء كالطاقة الإنسانية والزمن والمهارات والمعرفة كما أن الأهداف تعرف بأنها أي شيء يشبع الرغبة الإنسانية^(١) ورغم الاعتراضات أو عدم الاتفاق حول عمومية هذا التعريف لعلم الاقتصاد إلا أن المجال لا يتسع لتفاصيل الجدل حول تلك القضية، ويجب الإشارة هنا إلى أن مجال الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتناول بالدراسة الإنتاج والتوزيع والتبادل الودي من منظور مقارن إضافة إلى الوصف الأثنوجرافي لنظم اقتصادية معينة وتحليل التكوينات الاقتصادية قبل الرأسمالية أو المختلطة وتحليل النظم الاقتصادية القومية والدولية والعالمية وتأثيرها على المجتمعات الصغيرة أو الريفية^(٢).

وفي هذا السياق يذهب محمد الجوهري إلى أن الأنثروبولوجيا في هذا المجال تهتم ببعض القضايا التي يوليها علم الاقتصاد الاهتمام ذاته مثل إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها حينما يتخذان طابعاً نظامياً أو صورياً داخل الأنساق الفرعية الاجتماعية الثقافية، فضلاً عن ذلك فإن عالم الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة العلاقة بين النظم والأنساق الفرعية من ناحية والجوانب الأخرى للنسق الاجتماعي الثقافي الكلي من ناحية أخرى^(٣).

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجيا معاصرة، ص ١٤٥.

(٢) شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٦.

(٣) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجيا معاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٦.

وقد يعني ما طرحناه سابقاً إن الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي العلم الذي يربط بن علمي الأنثروبولوجيا من ناحية وعلم الاقتصاد من ناحية أخرى، ويشير التراث العلمي في هذا السياق إلى أن بداية الاهتمام بالقضايا الاقتصادية وتقديم معالجة لها لم تبدأ إلا في عشرينات القرن العشرين وبدأت كمحاولات لمعرفة ما إذا كانت النظريات الاقتصادية التقليدية ذات فائدة في التحليل الأنثروبولوجي وهل تمثل نتائج الدراسات الأنثروبولوجيا إسهاماً حقيقياً لعلم الاقتصاد؟

ويعود الفصل لظهور مفهوم الأنثروبولوجيا الاقتصادية Economic Anthropolgy للمؤرخ الاقتصادي جراس عام ١٩٢٧م حيث عرف الأنثروبولوجيا الاقتصادية بأنها عبارة عن عملية الجمع بين الدراسات الأنثروبولوجية والاقتصادية التي استلزمت دراسة طرق كسب العيش عند الشعوب البدائية وبصفة خاصة كيفية الحصول على القوت^(١).

ويذهب ما ننج ناش Manning Nash إلى أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية تعني تحليل للحياة الاقتصادي كنسق فرعي للمجتمع بينما يرى جورج دالتون George Dalton أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي العلم الذي ينصب أساساً على دراسة الجوانب الاقتصادية في العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأشخاص^(٢).

(١) فاروق محمد العادلي: الأنثروبولوجيا الاقتصادية، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٨٠م، ص ١٩.

(2) Dalton George: Economic Development and social change the natural history press, New York 1971, p2.

نقلاً عن السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٣.

وتجدر الإشارة إلى تزامن ظهور الأنثروبولوجيا الاقتصادية كعلم فرعي مع ظهور أساليب العمل الميداني الحديثة التي أجبرت الأنثروبولوجيين على مقارنة النظريات الاقتصادية والأنثروبولوجيا بواقع الإنتاج والتوزيع والتبادل في الاقتصاديات القبلية أو القروية الصغيرة التي درسوها، ومن خلال أعمال مالينوفسكي وفيرث وبريتشارد في بريطانيا وأعمال هيرسكوفيتشي وتاكسي في الولايات المتحدة الأمريكية، اتخذت الاقتصاديات القبلية والقروية إطاراً لتحليل الاقتصاد كجزء من النظم الاجتماعية أو الثقافية الكلية وكانت تلك الدراسات تركز على نظم التوزيع والتبادل في مقابل اهتمام ضئيل بدراسة تصنيف نظم الإنتاج^(١).

أن أحد أهم العقبات التي حانت دون تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي تلك الفجوة الإميريكية النظرية الشاسعة بين التكوينات الاقتصادية الرأسمالية وقبل الرأسمالية تلك التي تسببت في جدل حرور وتعثر التبادل المعرفي بين علمي الاقتصاد والأنثروبولوجيا وانعكست تلك الحالة على التوجهات النظرية داخل الأنثروبولوجيا الاقتصادية ذاتها حيث تحولت المناظرات لتركز حول مدى انطباق أو ملائمة المفاهيم التي وضعت لتقييم الرأسمالية عندما تستخدم في سياق النظم قبل الرأسمالية أو المختلطة التي يوليها الأنثروبولوجيين الاهتمام والدراسة.

(١) شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٧.

وكان من نتيجة ما آلت إليه تلك التوجيهات أن اقتصرت اهتمامات الأنثروبولوجيا الاقتصادية على دراسة الاقتصاديات القروية أو القبلية الصغيرة في مقابل علم الاقتصاد والذي ينطلق فكراً من التكوين الاقتصادي الرأسمالي ولا يهتم بالاقتصاديات القبلية البدائية ولا بتحليل الاقتصاديات القروية والإقطاعية لتكوينات انتقالية نحو الرأسمالية حتى أن الماركسية لم تبد اهتماماً مركزاً بتلك التكوينات بل اقتصرت على تقديم بعض التوجيهات العامة.

والحقيقة أن النظرية الاقتصادية التقليدية التي قامت دعائمها على مفهومات تحقيق أعلى ربح ممكن والترشيد والعرض والطلب لم تسلم من التعرض لنقد كثير من علماء الاقتصاد والأنثروبولوجيا على السواء حيث أدت تلك النظرية إلى وقوع بعض علماء الاقتصاد في خطأ التبسيط الشديد لسلوك الإنسان مثلما فعل آدم سميث في تعريفه لعلم الاقتصاد بأنه علم الثروة بينما هو في الحقيقة لا يبحث عن الثروة لذاتها وإنما هو البحث في الجهود التي يبذلها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع بشري لإشباع حاجاته المادية^(١).

وفي مقابل علماء الاقتصاد يرى علماء الأنثروبولوجيا أنه لا توجد ظواهر اقتصادية خالصة في المجتمعات قبل الرأسمالية منعزلة عن سياقاتها الاجتماعية وذلك لتشابك وتداخل الظواهر وتساندها وظيفياً إضافة

(١) فاروق محمد العادلي: الأنثروبولوجيا الاقتصادية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

إلى أن سلوك الأفراد وقراراتهم الاقتصادية تستند إلى أطر من القيم والثقافة والعلاقات الاجتماعية التي تربطهم بأفراد المجتمع، والمثال الواضح هنا على تلك الفجوة هو تفسير بعض الاقتصاديين لنظام المهر في المجتمعات التقليدية إذ يطلقون عليه ثمن العروس Bride Price بينما ينظر إليه علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية على أنه سلوك اجتماعي يحدد حقوقاً وواجبات معينة في نظام الزواج ونسق القرابة لحماية هذا الزواج من الانهيار ووضع الضوابط لضمان استقرار الأسرة^(١).

وفي سياق الطرح السابق يتلاحظ وجود تباين في وجهات النظر بين علماء الاقتصاد والأنثروبولوجيا فيما يتعلق بمدى صلاحية النظرية الاقتصادية الكلاسيكية لتطبيقها على كافة أشكال المجتمعات البدائية والتقليدية الحديثة.

ويتبنى ريموند فيرث وجهة نظر ومقولات في هذا الصدد حيث يرى صلاحيته النظرية الاقتصادية لكافة أنواع المجتمعات ويعني هذا أن يتم تطبيق مفاهيم الاقتصاد الكلاسيكي على اقتصاديات مجتمعات ما قبل الرأسمالية.

(١) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦.

وفي مقابل تلك الرؤية يتبنى بولاني Polany وجهة نظر مؤداها عدم صلاحية النظرية الاقتصادية لدراسة المجتمعات البدائية والقروية إذ يرى أن هناك اختلافات جوهرية في الدرجة وفي النوع بين الاقتصاديات الرأسمالية التي يسودها التبادل السوقي والاقتصاديات قبل الرأسمالية التي تسودها الهدايا أو التبادل الطقوسي وذهب إلى أنه يجب استخدام مجموعة مستقلة من مفاهيم التحليل لدراسة كل نوع من هذه الأنواع.

وفي العقود الماضية تم إجراء عدد من الدراسات التي تناولت النظم الاقتصادية والتي انتهت إلى الكشف عن وجود ارتباطات وثيقة بين النشاطات الاقتصادية وعدد من العوامل يأتي في مقدمتها العنصر القرابي والرئاسي والقبلي في المجتمع، وقد ركزت تلك الدراسات على عمليتي الإنتاج والتبادل^(١) وانطلاقاً من تلك الرؤى انتقل التركيز من وضع مجموعة مستقلة للمبادئ التحليلية لكل نمط من أنماط الاقتصاد إلى تطوير مجموعة مفاهيم لتفسير العلاقات بين الاقتصاد والنظام الاجتماعي في مختلف السياقات، وعليه يصبح التمييز المفترض للاقتصاد الرأسمالي مصطنع حيث يتمثل الفرق بين المجتمع الحديث والمجتمع التقليدي في أنه بينما تعطي المجتمعات التقليدية أولوية لبعض المجالات مثل القرابة أو الدين حيث تعبر من خلالها عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، ونجد أن المجتمعات الحديثة تفضل المجال الاقتصادي للتعبير عن العلاقات التي تعتبر اقتصادية جزئياً ولكنها اجتماعية أساساً^(٢).

(١) محمد الجوهري وآخرون: الاقتصاد والمجتمع، وجهة نظر علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ٣٠.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩.

وفي مقابل تلك التوجيهات النظرية التي تسيطر على بحوث ودراسات الأنثروبولوجيا الاقتصادية رفضت النظريات الماركسية التقسيم الكلاسيكي الجديد للإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وفضلت المفهوم المتكامل الكلي لنمط الإنتاج حيث تجمع كل العناصر التي تدخل عملية الإنتاج (الأرض، المواد، الأدوات، رأس المال، المعرفة، الخبرة) تحت مفهوم وسائل الإنتاج وتملكها والسيطرة عليها نتيجة علاقات الإنتاج الاجتماعية، وتكون وسائل الإنتاج مع علاقات الإنتاج الاجتماعية نمط الإنتاج والذي يحدد بدوره طبيعة التكوين الاقتصادي والاجتماعي العام في المجتمع^(١).

يتضح من سياق الطرح النظري السابق وما يتضمنه التراث العلمي في الأنثروبولوجيا الاقتصادية أن هناك تركيز على جملة من القضايا والتساؤلات تتمحور حولها اهتمامات الباحثين في هذا التخصص، وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الحياة الاقتصادية في أي مجتمع لا يجب أن تتم في معزل عن السياق الاقتصادي والثقافي للبناء الاجتماعي للمجتمع حيث لا يمكن تجاهل الاعتماد المتبادل والتساند الوظيفي بين الأنساق الاقتصادية والأيكولوجية والقرايية والسياسية وما يتصل بها من نظم اجتماعية مختلفة داخل البناء الاجتماعي للمجتمع.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

ويعرض محمد الجوهري لعدد من القضايا والتساؤلات التي تثيرها الأنثروبولوجيا الاقتصادية منها^(١): إلى أي مدى تتصف الافتراضات الأساسية التي تتناول السلوك الإنساني (تلك التي يقوم بصياغتها عالم الاقتصاد) بالشمول.

- هل تحتل البيانات المتعلقة بالمجتمعات غير الصناعية أهمية بالنسبة لتطور وتقدم النظرية؟
- إلى أي مدى تعد النظرية الاقتصادية الصورية ذات فائدة في فهم اقتصاديات المجتمعات غير الصناعية؟
- ما هي الأساليب والوسائل المختلفة التي من خلالها ترتبط الأنساق الاقتصادية ارتباطاً متبادلاً بالجوانب الأخرى للأنساق الاجتماعية؟
- هل تختلف الأنساق الاقتصادية للمجتمعات غير الصناعية اختلافاً أساسياً عن تلك التي تميز المجتمعات الصناعية؟ وهل يتمثل هذا الاختلاف أساساً في النطاق أو التعقد أم في درجات التأكيد؟

وتلك التساؤلات التي طرحها الجوهري تتضمن أغلب ما يهتم به الأنثروبولوجيين الآن وتؤكد على قضية تقييم مقولات النظرية الاقتصادية ومدى إمكانية اختبارها وهو ما يفسر اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية بدراسة كثير من مقولات وفروض ومبادئ النظرية الاقتصادية

(١) محمد الجوهري: دراسات أنثروبولوجيا معاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٧.

ووضعها موضع الاختبار وما سببته من جدل بين مؤيد ومعارض لها ومن تلك المفاهيم مقولات الندرة والحاجات غير المحدودة والرشد والاستجابة للدواعث الاقتصادية وتعظيم المنفعة ومدى ملائمة تلك المقولات لأنماط المجتمعات المختلفة الصناعية والتقليدية والبدائية.

وتأتي ثاني تلك القضايا المستنبطة من التساؤلات السابقة متمثلة في الاهتمام بالدراسات التنظيمية فقد أبدى المتخصصون في الأنثروبولوجيا الاقتصادية اهتماماً ملفتاً بدراسة أنماط التبادل والتسويق في مختلف المجتمعات، وآليات ونظم الزراعة وعمليات اتخاذ القرارات الاقتصادية ورأس المال وتراكمه، ودراسة التنظيم وأهميته في الاستثمار، وقد عرف هذا المجال باسم الدراسات التنظيمية⁽¹⁾.

وتتمظهر ثالث تلك القضايا والذي يشكل مجالاً خصباً في الدراسات الأنثروبولوجيا الاقتصادية في دراسة التنمية الاقتصادية وعمليات التغيير الاجتماعي في المجتمعات خاصة بعد أن حصلت معظم الدول النامية على استقلالها وأصبحت التوجهات الرئيسية في تلك المجتمعات هي إحداث عملية تغيير مقصود ومخطط بهدف تحقيق التنمية والتحديث، وجاءت الفرصة للباحثين في هذا المجال لمساعدة تلك المجتمعات على تحقيق التنمية المأمولة.

(1) Salisbury, R: Anthropology and Economic, in leclair schreider, london1968, p481,

نقلاً عن السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٢.

وأصبح التحديث مجالاً رئيسياً للدراسات الأنثروبولوجية حيث تضمنت تلك الدراسات رصد التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تحدث في أنماط المجتمعات المختلفة وتأثير ذلك على البناءات الاجتماعية لتلك المجتمعات بالإضافة إلى تحليل عوامل التغير الموجه وانعكاساتها على مختلفة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع^(١).

وتعتبر جدلية العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع أحد المحاور الهامة في هذا المجال حيث تركز الدراسات الأنثروبولوجية عليها لتفسير وفهم كيفية ارتباط النظم الاقتصادية بالنظام الاجتماعي الكلي، وقد أولى تلك القضية بارسونز اهتماماً خاصاً حيث ذهب في فهمه لتلك العلاقة بأن الاقتصاد ما هو إلا نظام ضمن مجموعة من النظم التي تؤلف البناء الاجتماعي للمجتمع، بمعنى أن الاقتصاد جزء من كل يؤثر فيه ويتأثر به ويرجع الاعتماد الوظيفي بين الاقتصاد وبقية مكونات البناء الاجتماعي العام إلى حقيقة أن الأشخاص الذين يشاركون في المجال الاقتصادي هم أنفسهم المشاركين في المجال القرابي والسياسي والديني^(٢).

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي - مدخل لدراسة المجتمع، ط٢، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص١٧٨.

(2) Parsons & Smelser: Economy and society, London, free press paperback Macmillan 1965, p40.

نقلًا عن السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص١٤٠.

وتبدي الدراسات الأنثروبولوجية اهتماماً واضحاً ومركزاً على دراسة أنماط اقتصاديات المجتمع المختلفة سواء كانت بدائية أو تقليدية أو صناعية حديثة وإظهار الفروق بينها وسمات الحياة الاقتصادية في كل منها وتفسير الاختلاف القائم بينها، حيث يتلاحظ أن المجتمعات البدائية والريفية تقوم على المبادلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويظهر أثر العوامل غير الاقتصادية بشكل أكثر وضوحاً في مجال التبادل حيث حدد مالينوفسكي أشكالاً معينة مثل الهبة الخالصة بما في ذلك الهدايا التي يقدمها أحد الزوجي للآخر أو الآباء للأبناء وذلك دون انتظار رد الهدية بل أن تحديد الأجور وكذلك السلع التجارية لا يتم على أسس اقتصادية بقدر ما يحقق للجماعة مزيداً من ألقاب التقدير الاجتماعي والهيبة^(١) في مقابل ذلك يعتمد المجتمع الصناعي على التبادل الذي يحكمه السوق بمعناه الاقتصادي حيث تعتبر النقود هي وسيلة التبادل الوحيدة.

(١) محمد الجوهري وآخرون: الاقتصاد والمجتمع، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

الفصل الخامس

الأنثروبولوجيا السياسية

Political Anthropology

الأنثروبولوجيا السياسية Political Anthropology

الأنثروبولوجيا السياسية أحد فروع علم الإنسان ومجالاته الهامة، تلك التي تربط بين علمي الإنسان والسياسية ولذلك تهتم بدراسة أنماط الوحدة السياسية في المجتمعات البدائية والتقليدية والحديثة والتنظيمات السياسية ومصدر السلطة السياسية والجزاءات السياسية وأنماط العلاقات بين الحكام والمحكومين.

وقد حدد بالاندييه Balandier 1970 أربع طرق رئيسية لتعريف المجال السياسي وهي التي تحاول تناول المشكلة الأنثروبولوجية الخاصة بالغياب الظاهري للأبنية السياسية الرسمية في كثير من المجتمعات البسيطة أو التقليدية.

وتختلف رؤى الباحثين حول تعريف المجال السياسي أو التنظيمي السياسي بصفة عامة حيث يرى بعض الباحثين أولئك الذين تأثروا بكل من مين Maine ومورجان Morgan إن التصورات الإقليمية هي أصل ومركز الأنساق السياسية التي تحدد وتعمل داخل نطاق إقليمي معين.

وفي مقابل تلك الرؤية يذهب آخرون إلى تعريفات وظيفية للمجال السياسي تلك التي تؤكد على اكتمال وتماسك المجتمع ومهمة صنع القرار وتوجيه الشؤون العامة وفي ذات السياق تذهب نظريات أخرى في تعريفها للمجال السياسي تركز على السمات الصورية للأنساق السياسية على المستوى المثالي وليس الواقعي (تعريف بنيوي).

ويقدم إيفانز بريتشارد وماير فورس تعريفاً للتنظيم السياسي حيث يذهب إلى أنه ذلك الجزء من التنظيم الكلي الذي يهتم بحفظ وتوكيد النظام الاجتماعي ضمن إطار إقليمي محدد وذلك بفضل الممارسة المنظمة لسلطة القهر عن طريق اللجوء إلى القوة الفيزيائية^(١) ووفقاً لذلك يفهم أن النظام السياسي هو الذي يساند نظام الحقوق والواجبات الذي يوجد في أي مجتمع يطلق عليه اسم مجتمع حيث يعرف المجتمع بأنه جماعة من الناس تربطهم حقوق وواجبات مشتركة متفق عليها ومعترف بها من جانبهم.

في مقابل ذلك يرفض شابيرا تعريف التنظيم السياسي الذي يجعل استخدام القوة هو الشرط الوحيد للنظام السياسي حيث يذهب في دراسته لجماعات البوشمان والبرجداما Bushman and Bergdama أن زعمائهم لا يفرضون القوة في عقاب المذنبين، ومع ذلك سلطتهم مفروضة ومعترف بها وإذا كنت خلاصة هذا الرأي تذهب بعدم اشتراط قيام النظم السياسية على سيطرة القوة إلا أن ذلك يمكن إدراكه فقط في حالة المجتمعات الصغيرة تلك التي يمكن أن تعيش بدون قوة^(٢).

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ط٣، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٤٦١.

(٢) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة علياء شكري وآخرون: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م، ص ١٤٥.

ويستطرد شابيرا في هذا السياق بأن تنظيم الأنشطة العامة واتخاذ القرارات باسم المجتمع كله هي أنشطة سياسية حيث يرى أنها تحافظ على النظام الاجتماعي أكثر من استخدام القوة لمجرد مساندة الحقوق وعليه فإن كل مجتمع يعترف بأدوار معينه يمكن وصفها بأنها حكومية وهناك بعض الأشخاص يقومون بأنشطة منتظمة محددة وهي تصريف الشون العامة أما الذين لا يعترفون بأي سلطة أعلى منهم فيسميهم الجماعة السياسية وهم جماعة من الناس منتظمون في درجة واحدة ويديرون شئونها مستقلين عن أي سيطرة خارجية⁽¹⁾.

ويمكن القول أن مجال الأنثروبولوجيا السياسية بسبب حداثة عهده يعاني من عدم اكتمال نمو نماذجه المنهجية ومقولاته التي تلائم اهتماماته الخاصة والعلم يمر بمرحلة استيعاب نظريات كل من الفلسفة السياسية وعلم السياسة تلك التي يعتمد عليها في استخلاص اتجاهاته في دراسة الأنساق السياسية ومشكلة القوة من المنظور الأنثروبولوجي.

وإذا كان مجال الأنثروبولوجيا السياسية اهتم كثيراً بتحليل البعد السياسي ومثل جزءاً مهماً من غالبية الدراسات الأنثروبولوجية إلا أن تلك التحليلات كانت تفسر على أنها جانب من مجالات أهرى مثل القرابة والدين والاقتصاد وغيرها ويتلاحظ هنا على الدراسات الأنثروبولوجية أن

1) (L.P. Mair: Primitive Government 1962, Chap2.

نقلاً عن لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، المرجع السابق، ص ١٢٥

تعريف الجانب السياسي في المجتمعات التي لا تعرف حكومة رسمية أو دولة مركزية أو قيادة وزعامة واضحة كانت موضوعاتها الأساسية التي تتناولها^(١).

ولقد ساق الفلاسفة العديد من المبررات المتباينة لوجود النظام السياسي منذ حقب تاريخية بعيدة وتتركز تلك المبررات في أنه إذا كان الإنسان اجتماعي بطبعه لكنه أيضاً قد يميل أحياناً نحو التنافس والصراع وعليه يحتاج لوجود وازع والوازع يتمثل في وجود حاكم وما أشارت إليه الدراسات الأنثروبولوجية للحياة السياسية في المجتمعات البسيطة أن الوازع قد يكون أسلوباً أو أداة ضبط وليس بالضرورة أن يكون فرداً أو جماعة، وقد اتجه علماء الإنسان في تعريفهم للنظام السياسي اتجاهاتٍ يختلف عن فلاسفة الفكر السياسي بحيث يتوافق مع التأكيد على أن النظام السياسي ظاهرة إنسانية عامة تعرفها جميع المجتمعات الإنسانية حتى أكثرها بساطة ولا تختص بها مجتمعات معينة (المجتمعات التي تعرف النظم والأجهزة السياسية الحكومية)^(٢).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، ص ١٤٣.

(٢) عباس أحمد محمد: النظم والسلوك الاجتماعي للإنسان، جامعة الإمارات، كلية الآداب، أبريل ١٩٩٤م، ص ١٤٨.

وتعريف النظام السياسي حتى ينطبق على جميع المجتمعات الإنسانية يجب أن يشير إلى غايات النظام السياسي والتي تتفق عليها جميع المجتمعات وليست الوسائل المتبعة في تحقيق هذه الغايات والتي يختلف فيها المجتمعات الإنسانية وعليه جاء تعريفه في رؤية رادكليف براون السابق الإشارة إليه على أنه الجزء من النظام الاجتماعي الذي يحفظ الوضع الاجتماعي في حدود إقليمية، وقد تختلف الوسائل التي تتبعها المجتمعات الإنسانية في حفظ الوضع الاجتماعي، فالمجتمعات المتقدمة قد تستخدم وسائل مثل الشرطة والجيش والقضاة وأجهزة الحكم والإدارة، أما المجتمعات البسيطة فقد تستخدم وسائل خاصة بها قد لا تشمل هذه الأمور فهي وسائل غاية في البساطة مثل القوانين والأحكام العرفية غير المكتوبة ومثل الجزاءات الاجتماعية والأخلاقية والدينية والتي تمثل وسائل هامة من وسائل الضبط الاجتماعي^(١).

يظهر تراث البحوث والدراسات الأنثروبولوجية في المجال السياسي أنها تصنف المجتمعات الإنسانية من حيث نظمها السياسية إلى مجتمعات مركزية ومجتمعات لا مركزية.

والمجتمعات المركزية Centralizes societies تلك التي تسمى مجتمعات الدولة أو الحكومة وتمتلك أجهزة الحكم المعروفة وهي الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية.

(١) عباس أحمد محمد: المرجع السابق، ص ١٥٩.

أما المجتمعات اللامركزية Non-centralized societies فهي المجتمعات التي تفتقر إلى سلطات أو أجهزة تشريعية وتنفيذية وقضائية.

وحول التساؤل الذي يطرحه علماء الإنسان والمتعلق بكيفية استتباب الوضع الاجتماعي في المجتمعات التي تفتقر إلى سلطات أو أجهزة حكم مركزية يذهب عباس أحمد إلى أن تلك المجتمعات تمتلك بالفعل أساليب قد تكون غاية في البساطة ولكنها في منتهى الفاعلية بالنسبة لتحقيق استقرار الوضع الاجتماعي فيها وحدد مجموعة وسائل منها^(١):-

١- **الجزاء الأخلاقية:** كجزاء الاستهجان والاستنكار أو المقاطعة بالنسبة لمن يخالف عرف المجموعة

٢- **الجزاء الطقوسية:** وهي جزاءات تمارس في العديد من المجتمعات الصغيرة كاللعنة بواسطة الجميع أو بواسطة أشخاص معينين يعتقد أن لهم قدرة خاصة أو قوة طقوسية تستطيع إنزال العقاب على من يخالف عرف المجموعة أو يعمل على إيذائها ويعتقد أن مثل هذه القوة تسبب المرض أو العلم أو الفشل أو الموت وبالتالي يمثل هذا الاعتقاد عنصر ردع هام يعمل له أفراد المجموعة كل حساب.

(١) عباس أحمد محمد: المرجع السابق، ص ١٥٩، ١٦٠.

٣- **الرأي العام:** حيث يشير إلى اتجاهات المجموعة بصفة خاصة في حالة معينة مثل النزاع بين اثنين يشعر أحدهما أن الرأي الغالب للمجموعة يناصر الآخر مما يجعله يسعى لمصالحته وهنا لم تعقد محكمة ولم يكن هناك قاض يحكم ولم تعبر المجموعة عن رأيها في شكل رسمي ولكن الفرد يمكن أن يعرف رأي المجموعة عن طريق الإحساس أو التعبير أو السلوك.

٤- **الجزءات الجمعية:** إن عدم وجود شخص أو أشخاص تتمثل فيهم السلطة القضائية أو التنفيذية في بعض المجتمعات الإنسانية لا يحرّمها من أن تتمكن من إصدار القرارات وتنفيذها وذلك بأن تتحول المجموعة كلها إلى محكمة وإلى منفذ للحكم، ففي حالة ارتكاب ما يعتقد بأنه جريمة خطيرة تهدد المجموعة كالزنا مثلاً تجتمع المجموعة تلقائياً وتصدر حكمها بالقتل أو النفي وتنفذه في نفس الوقت.

٥- **الوساطة:** وتعد الوساطة بين الأفراد أو المجموعات المتنازعة من أهم وسائل حفظ النظام الاجتماعي وفي بعض المجتمعات يحق لأناس معينين أن يقوموا بهذه المهمة بحكم وضعهم التقليدي وعادة ما تكون لهم مكانة دينية خاصة كالمطوعة والوساطة كأسلوب للمصالحة وبالتالي حفظ الوضع الاجتماعي مستقراً مستتباً تتم في كثير من المجتمعات البسيطة في إطار نظام اجتماعي شامل يعرف بالنظام العشائري التقسيمي أو الانقسام.

٦- النظام العشائري الانقسامى: يشير هذا النظام إلى حركة أقسام العشيرة في اتحادها أو انقسامها حسب مستوى الخلاف أو النزاع الذي ينتج في حالة محددة فأقسام العشيرة تحدد مع أقرب الأقسام القرابية إليها ضد الأقسام القرابية الأبعد نسبياً، والعشيرة في النهاية تمثل وحدة متضامنة ضد أي عشيرة أخرى وعليه فاتحاد أقسام العشيرة وانقسامها يتمان على أساس درجة القرب أو البعد القرابي والذي يحدده العمق الجينايولوجي للأقسام القرابية المختلفة.

وتلك الرؤية تقوم على التطابق بين النظام السياسي والنظام القرابي أي أن العمل والقرار السياسي تقرره القيم القرابية والتي مفادها التزام الأقرب قرابياً بالمساندة السياسية ضد الأبعد قرابياً، وهي قيم يعكسها المثل العربي: أنا وأخويا على ابن عمسي وأنا وابن عمي على الغريب، إلا أن الدراسات الأنثروبولوجية اللاحقة تشير إلى أن السلوك السياسي للجماعات القبلية المختلفة قد لا يقوم بالضرورة على المبادئ القرابية أو العشائرية، وأن المعطيات البيئية والمصالح الاقتصادية والسياسية كثيراً ما تسوق الناس بعيداً عن الالتزام الآلي بالمبادئ القرابية والعشائرية.

في الحقيقة أن التعريف الوظيفي للتنظيم السياسي والذي يربط بين التنظيم والمعايير والأدوار المستخدمة في المجتمع للحفاظ على النظام والاستقرار الداخلي والحدود الإقليمية وتوزيع القوة وصنع القرار بشأن نشاط الجماعة يجب ألا يجعلنا نتجاهل العمليات السياسية الكبرى تلك التي تأخذ

في اعتبارها ارتباط المجتمع المحلي أو القروي أو القبلي ببناء القوة السياسي الإقليمي والقومي والدولي وعليه حتى يتم فهم تلك العمليات في إطار التكامل الواسع النطاق يجب استخدام التحليل التاريخي والعمليات والاعتماد على مقولات نظرية أكثر دقة من مقولات النموذج الوظيفي الذي يفترض وجود تشابه جوهرى في الحاجات البشرية والسياسية وأن هذا التشابه هو أساس تطور الأدوار والوظائف السياسية في المجتمعات البسيطة.

إن اتجاه تفسير الأنساق السياسية وفقاً لإطار المقولات الوظيفية والتأكيد على وظيفة التماسك التي تضطلع بها السلطة السياسية وأن احترام القوة السياسية تحد من الصراعات والمنافسة وعليه تعمل على حفظ النظام لم يعد متفقاً عليه يقابل بمقولات مغايرة وتوجهات نقدية متباينة.

ومن أمثلة تلك التوجهات المغايرة نظرية الفعل الاجتماعي والأنثروبولوجيا الماركسية حيث ينتقدان الطابع المثالي للأنساق السياسية في المجتمعات التقليدية كما جاء في تصور الوظيفة، حيث أكدت دراستهم وجود صراعات المصالح سواء على المستوى الفردي أو الطبقي وعليه أصبحت العلاقة بين القوة والقسر والشرعة تمثل نقطة جوهرية في ميدان الأنثروبولوجيا السياسية وميدان الدراسة المقارنة للأنساق السياسية ويتلاحظ هنا أن معظم الأنثروبولوجيين يلجأون ضمناً أو صراحة إلى استخدام تتميط لتطور الأنساق السياسية وأبرز تلك التتميطات ذلك المستخدم في

الولايات المتحدة الأمريكية والذي وضعه ستيفارد وفيه قسم المجتمعات أو الأنساق السياسية إلى مراحل أربعة: العصابة، والقبيلة والكيان الرئاسي والدولة^(١).

الأنثروبولوجيا الحضرية Urban Anthropology

يشير مفهوم الحضرية إلى أنماط الحياة الاجتماعية التي يعتقد أنها مميزة لسكان المناطق الحضرية تلك التي تتضمن مستوى عالي من التخصص وتقسيم العمل ونمو الذرائعية في العلاقات الاجتماعية وضعف العلاقات القرابية ونمو المنظمات الطوعية والتعددية في المعايير وزيادة الصراع الاجتماعي وتعاضم أهمية وسائل الاتصال الجماهيري وقد أرجع لويس ويرث تلك النماذج السلوكية إلى ثلاث سمات عامة مميزة للمدينة هي الحجم، الكثافة وعدم التجانس الاجتماعي وإن كانت البحوث التي أجريت بصدد ذلك أثبتت قصور محاولات ربط السمات الاجتماعية والثقافية ربطاً حتمياً بالظروف الفيزيائية^(٢).

وإذا كان مفهوم الحضرية يشري كما سبق عرضه إلى بروز المراكز الحضرية في المجتمع ونموها ولكنه كبعض مفاهيم الحضارة والتنمية ملئ بالتحيز الناشئ عن التمرکز حوق السلالة بل إن تعريف المدينة نفسها محل خلاق وجدل

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٤.

(٢) جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة مجموعة أساتذة بإشراف محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٦٥٣.

كبيرين، فالبعض يركز على الجوانب الأيكولوجية للمدينة بينما يركز الآخرون على الجوانب الديموجرافية أو الاقتصادية أو السياسية، ويرتبط ذلك بطبيعة الحال بالتوجه النظري لكل باحث.

وفي كل الحالات يجب أن نفرق بين دراسة ظاهرة الحضارة وآثارها على النسق الاجتماعي الكلي ودراسة المدن، فالحضرية تعمل على تحول الحياة الريفية أو الشعبية وتخلق حياة حضرية جديدة وعلى ذلك فأثار الحضرية تشمل الأنماط المتغيرة للتركيب السكاني والتنظيم السياسي والاقتصادي للمجتمعات المحلية الريفية نتيجة تزايد الاعتماد المتبادل بينها وبين المراكز الحضرية^(١).

لقد أبدى الأنثروبولوجيين منذ أمد بعيد اهتماماً بدراسة أصول الحضرية حيث يركز هذا الاهتمام على البيانات الأركيولوجية أو أن يمثل جزءاً من صياغات نظرية عامة من التغير الثقافي غالباً ما تكون ذات وجهة تطويرية واضحة ثم تزايدت الاهتمامات بدراسة الحضرية والمجتمعات المركبة زيادة كبيرة في العقود الماضية، وتعد الدراسات التي أجراها هوارس مانير في عام ١٩٤٠م لمدينة تمبكتو من أقدم الدراسات الأنثروبولوجية الحضرية وهي في جمهورية مالي وتلك الدراسة حاولت اختبار نظرية روبرت ردفيلد عن ثنائية المجتمع الشعبي والمجتمع الحضري في إطار مدينة قديمة سابقة في وجودها على عهد الاستعمار وكان التأثير الأوروبي فيها حديثاً بحيث يمكن معرفته وتحديده^(٢).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٧.

(٢) محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا - أسس نظرية وتطبيقات عملية، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م، ص ٣١٣.

وقد أبدى العديد من الأنثروبولوجيين اهتماماً بالمشكلات الحضارية في مدن غرب وشرق أفريقيا وتمحورت حول مشكلات مثل تكيف المهاجرين إليها أو الاتحادات الطوعية أو نظام الأسرة والقرابة أو المشاركة في الحياة السياسية واتجهت اهتمامات الدارسين في أمريكا اللاتينية على دراسة الأحياء الفقيرة، أو أحياء الحيثو أو المناطق التي يتركز فيها السكان بوضع اليد، أو بعض الملامح الخاصة كالاتحادات أو الانخراط في النشاط السياسي أو بعض عناصر عملية التحضر مثل مدى تكيف المهاجرين من الريف مع ظروف الحياة في المدينة، وقد كانت دراسة روبرت ليند عن الميدلتون من الدراسات الرائدة في الأنثروبولوجيا الحضرية، حيث اهتمت بتناول الثقافة الكلية والبناء الاجتماعي للمجتمع المحلي، كما استخدمت المناهج الإثنوجرافية بتركيز شديد مثل الإقامة لمدة طويلة والملاحظة المشاركة وأساليب المقابلة المركزة^(١).

في الواقع تثير الدراسة المقارنة للمدن تساؤلات مهمة في الأنثروبولوجيا خاصة فيما يتصل بعمومية أو خصوصية الفروق الريفية الحضرية التي تسلم بوجودها تلك الدراسات الأنثروبولوجية، وفي هذا السياق تم التمييز بين المدينة قبل الصناعية والمدينة الغربية الصناعية والمدينة الصناعية غير الغربية والمدينة الاستعمارية ومدينة ما بعد الاستعمار ووفقاً لنتائج الدراسات تعرضت كثير من التعميمات للنقد الشديد

(١) محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٥.

حيث تعتمد على واقع المدن الغربية فمثلاً المقولة التي تذهب بأن العلاقات القرابية لا بد أن تتراجع في المدن هي فكرة غير دقيقة إذا ما تم اختبارها في مدن ما قبل الصناعة أو مدن العالم الثالث، وفي ذات السياق تعرضت نماذج زيوبيرج G.Sjoberg للمدينة للنقد، حيث أن مدن ما بعد الاستعمار بما فيها من سكان مهمشين أو ساكني أحياء وأشعي اليد وما ورثه هذه المدن من ميراث استعماري في شكل صيغ اجتماعية وثقافية تقدم حالات مثيرة للدراسة مثل المدن اليابانية التي طورت بعيداً عن النموذج الغربي^(١).

وتركز دراسات الأنثروبولوجيا الحضرية الحديثة على العلاقات بين الجماعات الإثنية في المدينة وعلى الخصائص الاجتماعية الثقافية للمناطق المتخلفة أو الهامشية وعلى عمليات الهجرة الريفية الحضرية وعلى آليات العزل والتكامل الجغرافي الاجتماعي والتي تؤدي إلى المحافظة على الطابع المميز لكل مركز حضري.

ومن الموضوعات التي توليها الأنثروبولوجيا الحضرية في تلك الآونة اهتماماً ملحوظاً مدن العشش (الأكواخ) تلك التي تتمثل في الأحياء المتخلفة أو أحياء واضعي اليد المحيطة بالمدن الكبرى في العالم الثالث وهي نتاج للهجرة الريفية الحضرية إلى المدن التي ليست مهيأة لاستقبال تدفق هؤلاء المهاجرين وتوفير العمل اللازم لهم.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.

وطبيعي أن يجلب المهاجرون إلى مدن العشش معهم الأشكال والتوقعات الثقافية والاجتماعية الخاصة بمناطقهم الريفية الإقليمية التي نزحوا منها بالإضافة إلى استراتيجيات التكيف والأشكال التنظيمية الجديدة التي تمثل ثمرة خبرتهم الحضرية الهامشية والتي تمثل الطابع الثقافي الاجتماعي لمدن العشش وتركز هنا الدراسات الأنثروبولوجية لمدن العشش على آليات التكيف داخل المدن والتي تضمن لساكنها الحد الأدنى من التنظيم الاجتماعي في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير الآمنة كما تركز على علاقة مجتمع العشش بالمجتمع الأكبر الذي ينتمي إليه.

إن العلاقة بين المركز والهامش في مدن العالم الثالث تمثل إعادة إنتاج لكثير من التناقضات الاجتماعية والطبقية التي كانت سائدة في المرحلة الاستعمارية ومرحلة الاستعمار الجديد والتي نجدها في هذه الحالة في إطار سياق حضري واحد وليست في إطار التعارض بين الريف والحضر^(١).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٢٢ - ٦٢٣.

الفصل السادس

الأنثروبولوجيا الدينية

Anthropology of Religion

الأنثروبولوجيا الدينية Anthropology of Religion

الحياة الدينية ظاهرة إنسانية عامة عرفتها جميع المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً ولم يعرف الإنسان طوال تاريخه حياة اجتماعية بلا حياة دينية إلا أن الشكل الذي تتخذه الحياة الدينية قد يختلف من ثقافة إلى أخرى ومن عصر لآخر، كما أن أسمى أشكال الحياة الدينية هي تلك التي انتظمت وفق الرسائل السماوية التي جاءت من الله سبحانه وتعالى إلا أن المجتمعات الإنسانية عرفت صورة أخرى من الحياة الدينية قامت على أساس نظمها الوضعية وتعني المعتقدات التقليدية التي سادت بين كثير من الشعوب كجزء من تراثها الثقافي المحلي الذي يتم توارثه عبر الأجيال، ومن أمثلة تلك النظم التقليدية ما يعرف بالتوتمية Totemism، وهو الاعتقاد عند المجموعات القبلية بأن أصلها يتمثل في حيوان أو نبات أو جماد (التوتم) ولهذا تحيط المجموعة هذا الأصل بهالة من التقديس والاحترام^(١).

والحقيقة أن الدراسات السوسولوجية كانت لها السبق في محاولة فهم الحياة الدينية ووضح ذلك عند كونت حيث يعتبر أحد الموضوعات الأساسية لديه قانون المراحل الثلاث والذي يذهب فيه إلى أن الفكر الإنساني مر بمراحل تطويرية بداية من الفكر الديني ثم الميتافيزيقي وصولاً إلى مرحلة الوضعية، ويذهب كونت إلى أن الفكر الديني خطأ يتلاشى مع

(١) عباس أحمد محمد: "النظم والسلوك الاجتماعي للإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦١.

نشأة العلم الحديث، وفي ذات السياق يذهب كل من سير تايلور Sir G. Tylor وهربرت سبنسر في تفسير أصل الدين إلى أن الروح هي الخاصة الأساسية في الاعتقاد الديني وأن الإنسان حصل على فكرته عن الروح من سوء تفسير الأحلام والموت وقد فسروا الظواهر الدينية بوجود الاستعدادات السيكلوجية والأخطاء الفكرية بالإضافة إلى ظروف الحياة الاجتماعية أما إميل دوركايم فقد أشار إلى أن الناس في كل المجتمعات يميزون بين المقدس والمحرم وذهب إلى أن الدين نسق متحد من المعتقدات والممارسات المتصلة بالأشياء المقدسة أي الأشياء البعيدة عن الناس والممنوعة عنهم، كما يرى أن تلك الممارسات والمعتقدات توحد كل الذين يتمسكون بها وتجمعهم معاً في مجتمع محلي واحد ويؤكد على الجوانب الاجتماعية في الدين ويرى أن وظيفة الطقوس الدينية هي تأكيد النمو الاخلاقي للمجتمع على أعضائه الأفراد وبذلك يتدعم تضامن المجتمع وأن رب العشيرة لن يكون سوى العشيرة نفسها^(١).

في الواقع أن الأنثروبولوجيا الدينية كيفية مجالات وفروع الأنثروبولوجيا لا تملك تعريفاً محدداً ودقيقاً لتساؤلاتها أو موضوعاتها الأساسية والتي تتعلق بالظاهرة الدينية.

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣، ١٦٤.

وإذا كانت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة وجهت نقداً شديداً لتعريف الدين عند تايلور على اعتبار أنه ليس من الواضح دائماً ما إذا كان يعتقد أن ظاهرة معينة تعد روحية أو طبيعية ولا يوافقون على أن الإيمان بالكائنات الروحية أو الكائنات فوق الطبيعية يختلف في جوهره عن الإيمان بالظواهر الطبيعي، طالما أن نوعي الإيمان يتم اكتسابه خلال عملية التنشئة الاجتماعية والعمليات التربوية وأنه يتم التسليم بها على مسئولية الآخرين.

وفي ذات السياق وقريباً من رؤية تايلور يذهب فريزر ١٨٩٠م إلى أن الدين قد تطور نتيجة لمحاولات البشر الأوائل فهم وتفسير خبرتهم عن بيئتهم وعن عمليات حياتهم ومن ثم بلور نموذجه بشأن تطور الثقافة الإنسانية حيث ميز بين ثلاث مراحل تطورية هي السحر والدين والعلم، حيث ترتبط كل مرحلة بتفسير خاص حول كيفية استطاعة البشر التأثير على مجموعات الأمور وفي مقابل تلك الرؤية يقدم فرويد ١٩١٣م مقولاته حول الدين والتي ترتبط بنظريته حول الديناميات النفسية عند الإنسان معتبراً أن المعتقدات الدينية هي عبارة عن إسقاطات للتوترات والصراعات والعقد النفسية ووفقاً لهذا التعريف تكون الكائنات العلوية أو الأرواح عبارة عن خيالات جمعية تفسر عموماً بأنها شخوص أبوية تشعر تجاهها بمشاعر مزدوجة وأن الدين يكون في هذه الحالة نوعاً من العصاب الجماعي وعلى الوجه الآخر ركزت البنيوية الفرنسية على الأبعاد الرمزية للدين والتميز بين المقدس والعلماني^(١).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧ - ١٣٨.

وعلى صعيد نظري آخر يرى كارل ماركس أن الدين ليس سوى ثمرة من ثمار أيديولوجيات الطبقة المسيطرة وأنه يستهدف تبرير وتحييد تلك السيطرة وكذلك تحييد الإمكانيات الثورية للمقهورين وذلك بتقديم التحرر الوهمي في العالم الآخر كبديل عن التحرر في هذا العالم، أما سبيرو ١٩٦٦م فيذهب إلى أن الدين هو مؤسسة تتكون من تفاعل متجدد ثقافياً مع كائنات فوق بشرية تفترضها الثقافة وخلافاً للتعريفات السابقة التي تركز على أحد الجوانب يقدم جيرتز Geertz (١٩٦٦) تعريفاً للدين يربط فيه بين ملامح مختلفة لبعض النظريات السابقة حيث يرى أن الدين نسق من الرموز يستهدف خلق أمزجة ودوافع تتسم بالقوة والشمول والاستمرار في قلوب الناس وذلك عن طريق صياغة تصورات لنظام عام للوجود وإلباس تلك التصورات هالة من الصدق الواقعي بحيث تبدو تلك الأمزجة والدوافع واقعية تماماً^(١).

ومن الدراسات الشهيرة في هذا المجال دراسات ماكس فيبر ومناقشاته المستمرة عن أهمية الأخلاقيات البروتستانتية في نشأة ونمو الرأسمالية الحديثة وكذلك رؤيته في وظيفة الدين في كونه يواجه مشكلة المعنى والفهم ومشكلات الشر والمعاناة وذلك يربطها بإطار أوسع يعتمد على قبول السلطة أو العقيدة، كما أن الحياة اليومية تمتزج بالواقع والمقدس في إطار الشعائر.

(١) شارلوت سيمور - سميث: المرجع السابق، ص ١٣٩.

أما مالمينوفسكي ١٩٤٨م فيرى أن الدين والسحر والشعائر تقدم لنا آليات نفسية اجتماعية لمواجهة تلك المعاناة والضغط بتفيس التوتر في مخارج شعائرية وروحية ويذهب إلى أبعد من ذلك في أنها تساعد على تفسير وتبرير النظام القائم وتمثل صمام أمان للتعبير عن التوترات والتناقضات التي لم تجد سبيلها إلى الحل.

أما obeyesekere (١٩٨١) فيرى أن إخفاء الطابع الأخلاقي يمثل سمة عامة من سمات التطور الديني حيث أن أديان الشعوب الأمية تقنقر عموماً إلى الاخلاق بمعنى أنها لا تمتلك نظرية محددة في تفسير الخطيئة والفضيلة والاخلاقية وذلك بعكس أديان الشعوب الكبرى المتعلمة تلك التي امتلكت أفكاراً أكثر تطوراً عن الأخلاق الدينية، فالأديان التي تؤمن بالخلاص كالإسلام والمسيحية تضع مشكلة الشر والمعاناة وتبرير الألوهية في مواجهة وجود الشر وتطرح كيفية حل هذه المشكلة وذلك بالوسائل الدينية للخلاص^(١).

وتوجه الأنثروبولوجيا الدينية من خلال دراستها الحديثة النظر إلى العلاقة الجدلية القائمة بين التراث المكتوب للأديان العالمية الكبرى والممارسات المحلية لتلك الأديان فالدين كما تحدده فلسفته أو مذهبه والدين كما يتبدى في الممارسة يعدل الواحد منهما الآخر باستمرار من خلال العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين علماء الدين والمؤمنين الذين يمارسون هذا الدين.

(١) شارلوت سيمور - سميث: المرجع السابق، ص ١٤٠.

إذا ما كان سبق طرحه يمثل بعض الاجتهادات في تعريف الظاهرة الدينية ومحاولة تفسيرها وكذلك بعض الرؤى الفكرية للتراث في هذا المجال فإن هناك أهمية لعرض إشارة سريعة لوظائف الظاهرة الدينية في المجتمعات الإنسانية ويتضح ذلك من خلال ما تؤديه من وظائف اجتماعية وإنسانية شاملة بالنسبة للإنسان ومجتمعه وثقافته ويتأمل مضمون الديانات السماوية وخاصة الإسلام يمكن استخلاص بعض الوظائف تلك التي طرحها عباس أحمد^(١) على الوجه التالي:-

١- **الوظيفة العقيدية والروحية:** الإيمان بالله سبحانه وتعالى يضفي معنى وقيمة للإنسان وحياته عن طريق ربطها بوجود الخالق وإرادته وحكمته في أن تكون الحياة الإنسانية التي نعيشها معبراً للحياة الآجلة وأساساً للثواب والعقاب فيها.

٢- **الوظيفة الاجتماعية للدين:** يساهم الدين في تحقيق سلامه واستقرار الحياة الاجتماعية بصلة عامة والعلاقات الإنسانية بصفة خاصة عن طريق ربطهما بموجبات قيمية ومعايير أخلاقية ففي الإسلام- الدين المعاملة ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والنصوص الدينية مليئة بالأوامر التي تجعل من المجتمع غاية في الاستقرار ويتمتع بالتكامل والتضامن الاجتماعي، ولهذه الأسباب سعى علماء الإنسان لتأكيد دور الدين في تدعيم النمو الأخلاقي

(١) عباس أحمد محمد: النظم والسلوك الاجتماعي للإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦١-١٦٣.

للمجتمع وللحياة الاجتماعية كما أن الدين يربط علاقة الإنسان بالآخرين بعلاقته مع خالقه وفي ذلك تدعيم الحياة الاجتماعية حيث تصبح جزء لا يتجزأ من الحياة الدينية.

٣- **الوظيفة الاقتصادية:** هناك ارتباط وثيق بين الدين وبين الترتيبات الاقتصادية للمجتمع ويظهر ذلك واضحاً في إسهام الدين في إعادة توزيع الثروة إما عن طريق التشريع كالزكاة أو عن طريق الحث على مساعدة المحتاج ومساندة الضعيف وربط ذلك بالأجر في الآخرة ومن ثم تدعيم التكافل الاجتماعي والاقتصادي، كما أن تأكيد الدين على أن المال ما هو إلا وديعة من الله سبحانه وتعالى عند الإنسان يؤدي إلى تشجيع الناس على التكافل الاجتماعي وتوجيه المال في سبيل الخير.

ومن الدراسات الهامة التي أوضحت الأهمية الاقتصادية للدين تلك التي قام بها ماكس فيبر Max Weber والتي أوضح فيها دور المذهب المسيحي البروتستانتي في نشأة وتطور الرأسمالية في الغرب حيث يذهب فيبر إلى أن مذهب لوثر كان له دور أساسي في التطور الرأسمالي لأن هذا المذهب يؤكد على أنه مكانة الإنسان في مملكة الله في السماء تعتمد على ما يسهم به الإنسان في مملكة الله في الأرض ومن ثم جاء تثمين العمل والتميز فيه أساساً لظهور التخصص وتقسيم العمل كقاعدة أساسية للتطور الصناعي والرأسمالي الذي شهدته أوروبا في القرن التاسع عشر^(١).

1) Weber, M: The protestant Ethic and the spirit of the Capitalism 1457.

٤- **الوظيفة التربوية للدين:** يتضمن الدين مجموعة أحكام وموجهات قيمية وسلوكية تمثل أحد مظاهر وعناصر التشئة الاجتماعية التي تضطلع بها الأسرة والمجتمع نحو الأبناء والنصوص الدينية في القرآن والسنة النبوية مليئة بتلك الموجهات التي تؤكد دور الوالدين في التربية وطريقة التربية والعلاقة بين الآباء والأبناء....الخ.

٥- **الوظيفة السياسية للدين:** يساهم الدين في تأمين الوحدة الاجتماعية الشاملة التي تتجاوز التنافس والانقسام في المجتمعات الإنسانية وتلك نتيجة تؤكدها كثير من الدراسات الإنسانية كما أكدها ابن خلدون حيث يشير إلى أهمية الدين الإسلامي في تحقيق الوحدة الكبرى التي عرفها العرب في فجر الإسلام بعد أن كان العرب قبائل مشتتة متنازعة ومتحاربة.

من خلال الطرح السابق نجد أن تراث الأنثروبولوجيا الدينية تنتشر فيه كثير من المفهومات التحليلية وتلك التي تصف العلاقات والسلوكيات في الحياة الدينية للشعوب المختلفة ومن أمثلة تلك المفهومات: السحر، الشعوذة، الطقوس أو الشعيرة، التوتمية...الخ، وسنحاول تقديم إشارة سريعة لتلك المفهومات التوضيحية ومعناها في سياق الحياة الدينية.

السحر Magic

في الواقع أن هناك ارتباط بين دراسة السحر ودراسة الدين والشعائر حيث تشير إلى ذلك الدراسات الأنثروبولوجية الدينية ويعرف شارلوت سيمور السحر بأنه طقس مدفوع بالرغبة في الحصول على تأثير معين وينظر إلى السحر كمحاولة لتسخير القوى الروحية أو فرق الطبيعة باستخدام الوسائل الطقوسية.

والدراسات القديمة عن السحر تلك التي أجراها كل من تايلور وفريزر تذهب إلى أن السحر يعد شكلاً من العلم البدائي بتقديم وظيفة تفسير الطبيعة والظواهر التي يلاحظها ويجربها البشر، وأن كان فريزر يرى أن السحر كان المرحلة الأولى من تطور الفكر الإنساني إلا أنه يعتبر السحر عبارة عن ربط زائف أو غير صحيح بين الأفكار.

في مقابل ذلك يعرض مالمينوفسكي رؤيته المغايرة عن السحر حيث يذهب إلى أن السحر لم يكن بديلاً للعلم وإنما كانت له وظائف سيكولوجية واجتماعية هامة خاصة في المجتمعات ذات التطور التكنولوجية منخفض المستوى، فالناس تلجأ إلى السحر غالباً حيث لا تسمع التكنولوجيا لهم بالتأكد من نتائج أفعالهم بالإضافة إلى أن السحر يقوم بوظيفة تخفيف القلق والسماح بالتعبير التنفسي أو التفريغ الوجداني الكامل.

أما رادكليف براون فقد اتفق مع رؤى إميل دوركايم في التأكيد على تأثير السحر على البناء الاجتماعي وأن السحر يدعم التضامن الاجتماعي ويحافظ على ذاتية الجماعة في لحظات الأزمات^(١).

وقد فرق دوركايم بين السحر والدين على اعتبار أن السحر لا يرتبط بدور العبادة لأنه يمارس من خلال أفراد لصالح أفراد الآخرين في مقابل ذلك يعتبر الدين قوة اجتماعية يخلق لدى المشاركين في طقوسه الأحاسيس التي يجب أن تظهر لديهم إذا ما قبلوا الضوابط التي يفرضها المجتمع أما السحر فإنه لا يتسم بصفة الاجتماعية حيث يمارس بواسطة أفراد يسعون نحو تحقيق غايات خاصة.

وفي هذا السياق يعرف أحمد زكي السحر بأنه: إحداث تأثير بالضغط على القوى والعوامل الخارقة للطبيعة وذلك عن طريق استخدام التعاويذ والطقوس.... الخ، لجلب الخير للمجتمع أو درء الخطر عنه ويشير إلى أن كثير من مظاهر الحياة اليومية عن الشعوب البدائية تتصل اتصالاً وثيقاً بالسحر ولا يصح القيام بها إلا بمصاحبة بعض الشعائر السحرية وهناك أنواع مختلفة من السحر ومن ذلك السحر الأسود والسحر الأبيض والسحر الاتصالي والسحر عن طريق المحاكاة أو السحر الانعطافي وكذلك استعمال التعاويذ للمداواة، والجدير بالذكر أن السحر الاتصالي يقدم على مبدأ أن المادتين أو الشئيين اللين كانا متصلين ذات مرة يمكن أن يستمر تأثير أحدهما على الآخر في المستقبل، أما السحر التعاطفي فهو الذي يعتمد على مبدأ أن الشبيه يؤثر في الشبيه.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

والسحر بذلك المعنى ووظيفة اجتماعية حيث يقوم الساحر بما يشابه إلى حد ما وظيفة رجل الدين والطبيب ولذلك إذا أخفق الدين أو العلم في إشباع الرغبات الإنسانية وحل مشاكلها الملحة فإن السحر يحاول أن يعمل كموفق بديل^(١).

الشعوذة Witchcraft

يعرف أحمد زكي الشعوذة بأنها الاستعانة بالأرواح الشريرة على أساس الاعتقاد بأن لها قوة خارقة بهدف تحقيق شر أو ضرر ضد الأفراد أو المجتمع.

ووفقاً لرؤية إيفانز بريتشارد الكلاسيكية فإن الشعوذة هي تلك القدرة الكاملة على إيذاء الآخرين باستخدام وسائل فوق الطبيعية ويميز هذه القوة عن السحر الضار الذي يكتسب بالتعلم ويتصف بأنه الاستخدام الضار العدوانى للسحر.

وهناك العديد من الباحثين خارج أفريقيا يستخدمون مصطلح شعوذة دون تمييز للإشارة إلى العدوان الغامض (الروحي) سواء استخدمت فيه وسائل سحرية أم لا ووفقاً لهذا الإطار لفهم بريتشارد للشعوذة درس علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية السحر الضار والشعوذة كآليات للضبط الاجتماعي وللتعبير عن التوترات والصراعات الاجتماعية وتسويتها، وقد درس بريتشارد الجوانب الدينية والفلسفية

(١) أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٣.

لمعتقدات الشعوذة كجزء من النسق المعرفي الذي يفسر الحظوظ التعيسة والسعيدة على المستوى الفردي، ويذهب إلى أن كثير من المجتمعات التقليدية والصغيرة تمثل معتقدات الشعوذة أو السحر الضار مكوناً من التراث المشترك في التعبير عن العلاقات بين الأفراد وبين الجماعات والتي تكشف عن تناقضات بنائية أو عارضة أو شخصية تماماً فضلاً عن التصورات الكامنة وراءها الخاصة بتدخل قوى فوق طبيعية في شئون الوجود الإنساني^(١).

وعن أسباب اعتقاد الناس في الصحرة وأعمال الشعوذة تقف الخصائص التصويرية التي يعزوها إليهم شعب معين ويؤكد هنا إيفانز برينشارد في تحليله لمعتقدات الزاندي على حقيقة مؤداها أن هناك طريقة منطقية في تفسير الأحداث، فالزاندي يعرف بالطبع أنه لو سقطت فوقك شجرة فإن الضربة ستقتلك ولكنه لا يزال يتساءل لماذا سقطت فوقي أنا؟

ويمكن أن تكون الإجابة إما أن يكون سوء الحظ قد أتى إلى الضحية على يد أحد الكائنات فوق الطبيعية من الحراس الذين يحرسون النظام الأخلاقي والروحي أو أن يكون قد أتى بسبب بعض القوى المدمرة للنظام الأخلاقي والروحي وهي قوى الشر أساساً وعلى ذلك فإن هناك دائماً في مكان ما من الكون قوى شريرة وهي كائنات مشخصة لا يمكن تبرير أفعالها ويطبق على الساحر في بلاد كثيرة لفظ المشعوذ حيث يعرف بأنه الشخص الذي يمارس الطب والعلاج^(٢).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥٣.

(٢) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٣.

التوتمية Totemism

الكلمة مشتقة من لغة الأوجيبوا Ojibwa حيث تعني عضوية العشيرة وقد اتسع معناها في الاستخدام الأنثروبولوجي في مرحلة تاريخية معينة بحيث أصبح يدل على مجموعة من العادات التي يحدث أثناءها ارتباط بين الجماعة البشرية ونوع حيواني معين حيث أن التوتم Totem حيوان أو نبات أو جسم محسوس ينظر إليه الرجل البدائي في احترام وخشوع دون أن يكون سبب معقول يدفعه لذلك ويعتقد الناس في القبائل الطوطمية أنهم ينحدرون عن ذلك الطوطم كما تسمى القبيلة باسمه أي أن التوتم عندهم هو رمز للأب أو الجد وبديل عنه.

ووفقاً لذلك يشير أحمد زكي بأن التوتمي هي مجموعة من المعتقدات المعقدة بشأن التوتم والعلاقة الخفية بين أفراد القبيلة والتوتمية لها شأن كبير في التنظيم الاجتماعي للجماعة ويعتقد كثير من الباحثين أن التوتمية شكل بدائي للدين وكانت عاملاً هاماً في تنمية التماسك الاجتماعي للمجتمعات الأولى.

وتعرف التوتمية بأنها مركب يجمع بين عنصر اجتماعي (الجماعة القائمة على الزواج من الخارج والمرتبطة بنوع معين) وعنصر نفسي (الاعتقاد بالانتساب إلى جنس التوتم) وعنصر طقوسي (الاحترام أو التحريم المرتبط بجنس التوتم) إلا أن المناقشات العلمية شككت في حقيقة وجود إمبريقي فعلي للارتباط بين الزواج الخارجي والمحرمات الغذائية ووجود شعارات حيوانية أو نباتية.

وفي مقابل ذلك طرح مالمينوفسكي رؤية في ربط التوتمية بالرغبة في التحكم سحرياً في خصوبة التوتم وذلك عن طريق ربط كل جنس فيها بمتخصص طقوسي، ومن ثم ربط بأسرته وجماعته القرابية أما رادطليف براون فقد أبرز العلاقة المقدسة أو الطقوسية بين الجماعات الاجتماعية وتواتمها كشعارات للانتماء إلى الجماعة وكبؤر للتماسك الاجتماعي.

ويرى كيفي شتراوس في هذا الصدد أن مفهوم التوتمية وهم أو هو محاولة تعسفية للربط بين سمات لها دلالة أبعد بكثير مما هو معتقد.

إن الدراسات الأنثروبولوجية التي جاءت بعد ذلك تؤكد على أن النتائج البنائية للزواج الخارجي يمكن مناقشتها دون ذكر لخصائص التحاشي والتحريمات التوتمية عند جماعات الزواج الخارجي، كما أن النظريات التي تدور حول هذا الموضوع تلك التي تعتمد على العلاقة المفترضة بين الكائنات الحية الواعية فقد انهارت بمجرد التحقق من أن بعض الجماعات القرابية التي ظهرت بعد ذلك تقديس أو لا تقديس الأشياء غير الحية ففي داخل نفس المجتمع توجد جماعات لها تواتم حيوانية بينما توجد جماعات أخرى ليست لها تواتم^(١).

(١) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٩.

الشعيرة Ritual

إن محاولة تعريف الشعيرة أو وضع محددات تميزها عن غيرها من أنماط الطقوس المختلفة لأمر تحيطه مناقشات وجدل واسع وتعج الدراسات الأنثروبولوجية وتراث العلوم الاجتماعية المرتبطة بهذا المفهوم.

أولى تلك القضايا يكمن في محاولة التمييز بين الشعيرة وبين الطقس (الحفل المراسمي) وبينها وبين الأفعال العملية أو الغائية من ناحية أخرى وتأتي محاولات الباحثين للفرقة بين الشعيرة والطقس على النحو الذي يبرز هدفها أو مقصدها الديني.

ومن أولئك جلوكمان ١٩٦٢م حيث يقدم تعريفاً للمفهومات يميزهما عن بعض فيذهب إلى أن الطقس عبارة عن أي تنظيم مركب للنشاط الإنساني ليست له طبيعة فنية أو ترويحوية بارزة ويتضمن استخدام أساليب السلوك التي تتسم بقدرها على التعبير عن العلاقات الاجتماعية وفي مقابل ذلك يعرف الشعيرة بأنها فئة أكثر تحديداً تتميز باعتمادها على بعض الأفكار وكذلك الغايات والوسائل الروحية أو الدينية، والشعيرة بذلك تعد من الناحية الرمزية أكثر تعقيداً وتتطوي على اعتبارات نفسية واجتماعية أكثر عمقاً.

وعلى جانب آخر يذهب جوردن مارشال في تعريفه للشعيرة بأنها نمط متكرر من السلوك يتم أدائه في مواقيت مناسبة وقد يتضمن استخدام رموز ويعتبر الدين واحد من الميادين الاجتماعية الرئيسية التي يتم فيها ممارسة الشعائر وإن كان نطاق الشعائر قد يمتد إلى جوانب علمانية ودينية في الحياة اليومية أيضاً^(١).

وفي رؤية مغايرة لهذا المفهوم يرى ليتش ١٩٥٤م أن الشعيرة ليست ضرباً من السلوك وإنما هي جانباً من جوانب السلوك أي ذلك السلوك الذي يرتبط بقيمته الرمزية وليس بفائدته العملية ويذهب في هذا الخصوص إلى أننا نلاحظ أن أكثر الأفعال عملية أو تقنية يمكن أن يؤدي على نحو يعبر عن الهوية الثقافية الخاصة أو عن قيم الفاعل أي يكون له بعد رمزي أو شعائري ويرى أن هناك متصلاً يبدأ من الأفعال التي تكون ذات طبيعة تقنية أو عملية، ويتدرج حتى يصل إلى الأفعال التي تتفوق شعائرياً ورمزياً إضافة إلى ذلك يذهب إلى أن تلك التقسيمات بين التقني والشعائري والطقوس تعتبر تعسفية لأن تلك الظواهر لا يسهل فصلها عن بعضها فصلاً كاملاً.

ويميز دور كايم وأتباعه بين المقدس والعلماني ويبين بوضوح أن الشعائر تنتمي إلى المجال الأول أي المقدس إذ يرى هذا الاتجاه أن الشعائر تحقق التضامن الاجتماعي اللازم لحفظ تماسك المجتمع وانطلاقاً من هذا الفهم فقد صهر دوركايم الشعائر في البناء الاجتماعي حيث أكد

(١) جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٨٥٨.

أنه خلال ممارسة الشعائر يعبر الناس لأنفسهم عن أنماط العلاقات في المجتمع ويرى أن العنصر المهم في الشعيرة هو الفعل حيث أن الفعل يقود إلى تشكيل المعتقدات وليس العكس وعليه يضيف دوركايم على الشعيرة دوراً معرفياً أساسياً بتأكيدده على أن اللبانات الضرورية لبناء الفكر يتم تناقلها خلال الانفعال المشترك بالشعيرة^(١).

وفي رؤية مغايرة يذهب الاتجاه الماركسي إلى أن الشعائر تنقل الوعي الزائف فقط فهي تضلل المشاركين لأنها لا تصور أنماط العلاقات الاجتماعية في المجتمع تصويراً صحيحاً.

وفي سياق آخر نجد أن هناك خلط وجدل بين الدارسين حول ارتباط الشعيرة بالأسطورة إلا أن الدراسات الحديثة أهملت تلك الجدلية وأصبحت كل من الشعيرة والأسطورة شكلين من أشكال التعبير عن القدرات الرمزية والتعبيرية للإنسان، ومن هنا فليس لأحدهما أولوية على الأخرى، فالأسطورة يمكن أن تكون تفسيراً للشعيرة، والشعيرة يمكن أن تكون تفسيراً للأسطورة، وليست هناك ثمة حاجة لافتراض أي نوع من التبعية أو الحتمية ويقتصر استخدام مفهوم الأسطورة Myth بشكل عام للإشارة إلى الحكايات التي تكون ذات طابع مقدس أو ديني واجتماعي أكثر من كونها ذات طابع فردي أو ذات طابع سردي في موضوع أو تهتم بنشأة بعض الظواهر الطبيعية أو فوق الطبيعية أو الثقافية أو الاجتماعية.

(١) جوردن مارشال: المرجع السابق، ص ٨٥٩.

وعلى صعيد آخر كان هناك افتراض على نطاق واسع بوجود علاقة وثيقة بين الشعيرة والمعتقد حيث كان يعتقد أن الشعائر تعبر عن المعتقدات أو تدعمها وتؤكد لها وأن المعتقدات هي بمثابة الأساس للشعائر وهي التي تبررها، ولكن الدراسات المعاصرة أوضحت أن هناك تنوعاً كبيراً بين الثقافات في الاتجاهات والمشاعر والمعتقدات وأن الشكل الاجتماعي المقبول للتعبير أو للفعل (كالشعيرة) لا يعني أن الممارسين يشتركون في نفس المعتقدات أو المشاعر الخاصة بهذه الشعيرة.

وخلاصة ذلك أن معنى الشعيرة يتسم بالغموض والتعقيد حيث أن الأفعال الشعائرية تتصرف في القيم الرمزية التي تتسم هي الأخرى بتعقدها وغموضها وبهذا يكون للشعيرة عدة مستويات للمعنى وعدة صور وأساليب للغموض ولكنها تستهدف في النهاية ربط المبادئ المجردة والعلاقات الاجتماعية بالواقع الفسيولوجي والنفسي^(١).

الأنثروبولوجيا الثقافية

تعد الأنثروبولوجيا الثقافية التراث المسيطر في دراسات علم الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية وتختص بدراسة الإنسان ككائن ثقافي يعيش في مجتمع له ثقافة مميزة سواء في الحاضر أو الماضي وعبر كل الأماكن والشعوب، وهذا يعني أنها أحد مجالات علم الإنسان

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

الذي يتخذ من الثقافة موضوعاً له ولا يقتصر اهتمامه على دراسة الثقافة في المجتمعات البدائية فحسب، وإنما تهتم بدراسة الثقافة في كل زمان ومكان وفي المجتمعات باختلاف أنواعها البدائية والتقليدية والمعاصرة.

وتتضمن الأنثروبولوجيا الثقافية كلاً من الإثنوجرافيا وتعني دراسة وتسجيل ثقافات معينة والإثنولوجيا وتعني التحليل المقارن التاريخي للثقافات وتراث الدراسات الأنثروبولوجية يظهر أن هناك معانيات للأنثروبولوجيا الثقافية معنى واسع النطاق وآخر محدود، فالمعنى الأول يتسع ليشمل علم آثار ما قبل التاريخ وعلم اللغة الأنثروبولوجي بالإضافة إلى الدراسة المقارنة للثقافات والمجتمعات الإنسانية أما المعنى الثاني فيقتصر على دراسة الثقافات والمجتمعات الإنسانية فقط.

ويعود اهتمام الأنثروبولوجيا الثقافية بكل هذه الثقافات إلى أن التعرف على تاريخ الثقافة وصورها وأشكالها خلال مختلف العصور وأنماط المجتمعات المختلفة يسهم في فهم المشكلات المعاصرة للإنسان^(١).

ويذهب محمد الجوهري إلى أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الثقافية هو الاهتمام بالثقافة ذاتها سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة وتستهدف تلك الدراسة بالدرجة الأولى الكشف عن استجابات الناس للمشكلات العامة

(١) محمد علي محمد: الأنثروبولوجيا الثقافية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ٣١.

التي تطرحها دوماً البيئة المادية وتفاعلات المجتمعات الإنسانية بعضها مع بعض وللوصول إلى تلك الغاية تنقسم الدراسات الأنثروبولوجية لجانبين رئيسيين: الجانب الأول: هو الدراسة المتزامنة أي في زمن واحد وهذا يعني دراسة المجتمعات والثقافات في نقطة معينة من تاريخها، أما الجانب الثاني: فيهتم بالدراسة التتبعية أو التاريخية أي دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ^(١).

وانطلاقاً من هذا الفهم لمضمون الأنثروبولوجيا الثقافية ولاهتمامها بدراسة الثقافة الإنسانية من منظور واسع جداً فقد برز نتيجة لذلك عدة مجالات فرعية تتمثل فيما يلي:-

- الأركيولوجيا (علم الآثار) وبخاصة آثار ما قبل التاريخ.
 - الإثنولوجيا، الدراسة المقارنة والنظرية لثقافات الشعوب.
 - اللغويات، دراسة اللغة وترابطها بالثقافة والمجتمع.
 - الإثنوجرافيا، الدراسة الوصفية التسجيلية لثقافة مجتمع معين.
- وسنحاول تقديم عرض سريع لتلك المجالات التي تمثل أهم محاور الدراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية.

(١) محمد الجوهري: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م، ص ٣٤.

أ- الأركيولوجيا (علم الآثار) Archology

إن المعنى الحرفي لعلم الآثار هو دراسة القديم وعليه تهتم هذه الدراسة بالحفريات والتنقيب عن آثار الماضي البعيد للإنسان حيث يقع على هذا العلم مسئولية استنباط المعرفة حول نظم وإعادة بناء وتطور ثقافته وأنماط حياته الاقتصادية والاجتماعية القديمة وإذا كان علم الآثار يحاول رسم صورة الأشكال الثقافية الماضية وتتبع نموها وتطورها عبر الزمان، فالتساؤل الذي يطرح نفسه هنا كيف يمكن رسم الصورة التي كانت عليها الحضارات والثقافات القديمة خاصة أن الحضارات القديمة ترجع لأكثر من مليون سنة إضافة إلى أن الإنسان لا يمتلك تاريخ مكتوب إلا قبل خمسة آلاف سنة وهي عمر الكتابة كمخترع إنساني وما يزيد هذا الموقف غموضاً أن كثير من الكتابات غير معروفة حتى الآن وإزاء هذا الغموض بشأن التاريخ الإنساني البعيد كانت ضرورة وجود مناهج علمية للكشف عن هذا الغموض وهو منهج علم الآثار.

ولكي نتفهم فائدة علم الآثار يجب أن نفرق بداية بين التاريخ كما نعرفه والذي يعتمد على وثائق كتبها أفراد عاشوا خلال الأحداث التي كتبوا عنها وعن طرق تلك الوثائق ووفقاً لمحتواها يمكن تحديد السياق الزمني للأحداث وربطها ببعضها على نحو سليم وبين المنهج الأنثروبولوجي أو علم الآثار حيث يهدف إلى دراسة الحضارات القديمة وثمة ملاحظة في هذا السياق تظهر في أن باحث الأنثروبولوجيا الثقافية لا يملك نفس

مميزات عالم التاريخ ولذلك فهو يعتمد على اكتشافات علم الآثار وبعض الكتابات القديمة مثل الصينية والفرعونية وتلك المخلفات المادية التي يعثر عليها في الملاجئ والكهوف القديمة لرسم صورة ثقافات العصور القديمة^(١).

وإن كان علماء الآثار يعتمدون في دراستهم على ما يعثرون عليه أثناء التنقيب من بقايا مادية تركها الإنسان فإنهم بذلك يقومون بدور المؤرخين بين فروع الأنثروبولوجيا لأنهم يهتمون بإعادة بناء الأحداث والتحويلات والإنجازات الخاصة بماضي الإنسان وإبقاء الضوء على تجارب الإنسان وإنجازاته منذ أكثر من مليون سنة أي قبل أن يعرف ابتكار واستخدام الكلمة المكتوبة، ومن خلال دراسة تلك المخلفات الإنسانية للجماعات الثقافية القديمة يمكن لعالم الآثار أن يجمع الشواهد لأشكال ومسارات تطور الثقافات وتغيرها وتفاعلها مع بعضها البعض الآخر^(٢).

وبالرغم من أن المخلفات القديمة وآثار المعابد وغيرها تساعد على رسم صورة ما للحضارات القديمة إلا أن معرفة عالم الآثار عن لغة أو تنظيم الحياة العائلية أو السياسية أو المعتقدات الدينية لغير المتعلمين في حضارات من قبل التاريخ سيظل بعيداً إلى حد ما عن متناوله ووفقاً لذلك فإن التسلسل الزمني أو السياق التاريخي الذي يعيد عالم الآثار رسم

(١) محمد الجوهري: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦.

(٢) سليمان خلف: علم الإنسان، مقدمة عامة، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

صورته يختلف اختلافاً ملحوظاً عن التسلسل الذي يرسمه الباحث الذي يسجل تاريخ شعب متعلم، حيث أنه في حالة عدم وجود تقاويم زمنية أو كتابية يقوم عالم الآثار في الغالب بتقديم تسلسل زمني تقريبي للأحداث الماضية.

إن البحوث في علم الآثار لا تساعد فقط على إعادة رسم الماضي ولكنها تمدنا كذلك بكثير من مفاتيح فهم الطرق التي تغيرت من خلالها الثقافات الإنسانية مثل متى وأين اكتسب الإنسان الثقافة لأول مرة ولماذا لم يسر التطور الثقافي بنفس السرعة في كل أجزاء العالم، إن تلك المعلومات التي يوفرها علم الآثار مع ربطها بمعلومات العلوم الاجتماعية الأخرى تساعدنا على فهم العوامل العديدة المركبة التي تؤدي إلى أحداث التغير الثقافي^(١).

ب- الإثنولوجيا Ethnology

وتعني علم الدراسة المقارنة للثقافات الإنسانية أما المعنى اللفظي لكلمة إثنولوجيا فهو الدراسة المنتظمة للأجناس أو الشعوب ومع ذلك فإن المعنى المتداول في تراث الدراسات الأنثروبولوجية يشير إلى دراسة التراث الإنساني للشعوب، أو الدراسة التحليلية المقارنة للثقافات الإنسانية، ويشير مصطلح الإثنولوجيا غالباً في أوربا إلى الأنثروبولوجيا الثقافية، وعرف

(١) محمد الجوهري: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

المصطلح في أوساط الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية في عام ١٨٢٩م حينما تأسست جمعية باريس الإثنولوجية بجهود الفرنسي إدواردز^(١).

ويذهب شارلوت سيمور إلى أن الإثنولوجيا هي الدراسة التاريخية والمقارنة للثقافات أو الشعوب حيث تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها ويعرف كروبر ميدان دراسة الإثنولوجيا بأنه: يشمل كلاً من الثقافة والتاريخ والجغرافيا، في حين ميز رادكليف براون الإثنولوجيا التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وفي السياق ذاته يذهب زكي إسماعيل إلى أن الإثنولوجيا تعني دراسة الشعوب والسلالات دراسة تاريخية مقارنة تتم عبر الزمان وتبحث في الأصول الأولى للنوع الإنساني العاقل وتطوره حتى العصر الحاضر، ولهذا فهي تهتم بالمقارنة والتحليل من خلال نظرة تاريخية ويدخل في إطارها دراسة أصول الحضارات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها من منطقة إلى أخرى والسمات النوعية لكل هذه الثقافات^(٢).

(١) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص

(٢) زكي محمد إسماعيل: الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، شركة عكاظ للنشر، ١٩٨٢م، ص ٢٣.

ووفقاً لتلك التعريفات يمكن القول أن الإثنولوجيا تجمع بين الدراسة التاريخية والميدانية للثقافات الجماهيرية والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.

ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أن الإثنولوجيا تبدأ حيث تقف الأركيولوجيا (الآثار) بمعنى أنه بينما يدرس عالم الآثار ثقافات الماضي نرى أن الإثنولوجي يركز اهتمامه على دراسة الثقافات في الزمن الحاضر، وفي حين أن عالم الآثار يبحث في البقايا المادية ليكشف بعض أنماط وتجارب العيش الإنساني، نرى الإثنولوجي يركز ملاحظاته على مشاهدة السلوك الإنساني المعاشة فعلاً تلك التي يمكن إجراء المشاركة والتفاعل معها ومناقشة أبناء الثقافة التي يحاول فهمها^(١).

وإذا كانت المهمة الرئيسية للإثنولوجيا كما طرحنا سابقاً هي دراسة الثقافة كظاهرة مميزة للبشر في كل مكان ولا تقتصر في دراستها على مجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات إلا أن الثقافة تختلف من إقليم لآخر، كما تختلف من عصر لآخر حيث أن المحتوى الثقافي من عادات وتقاليد وغيره لسكان جزر البحر الجنوبي تختلف من مكونات ثقافة شعوب أفريقيا وأمريكا، كما أن داخل هذه المناطق الرئيسية توجد ثقافات إقليمية وبالرغم من هذا التنوع الكبير في الحضارات البشرية، فالملاحظ أن هناك أوجه تشابه في ثقافات تلك الشعوب التي تعيش على مسافات

(١) سليمان خلف: علم الإنسان، مقدمة عامة، مرجع سبق ذكره، ص ١٦-١٧.

متباعدة، وانطلاقاً من ذلك تكمن اهتمامات الإثنولوجيا النظرية في أنها تهتم بالإضافة إلى الجانب الوصفي بمشكلة تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات الإنسانية إضافة إلى تفسير العمليات التي تغيرت بمقتضاها الحضارات البشرية في الشكل وتوصلت من خلالها إلى هذا التنوع المعقد في الوقت الحاضر^(١).

وفي الواقع أن الإثنولوجيا تهتم حديثاً بالدور الذي يؤديه الفرد في المجتمع وارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي ومن أمثلة الأسئلة التي تحاول الإجابة عليها وفقاً لرؤية محمد الجوهري ما يلي:-

- ما هو الدور الذي يلعبه الفرد في بعض العمليات الثقافية مثل الاختراع والاستكشاف ونشر السمات الثقافية وهي العمليات التي تؤدي إلى نمو وتطور الثقافة؟

- ما هي الوسائل التي تحاول المجتمعات البشرية من خلالها تشكيل الشخصية الفردية؟

- وما هي أنواع السلوك التي تحبذها الثقافة وتكافئ عليها وتلك التي لا تحبذها؟

- وإلى أي حد يمكن للفرد أن يبتعد عن المعايير الثقافية للسلوك المقبول؟

- وما الذي يتخذ حيال الفرد الذي يكسر القواعد؟

(١) محمد الجوهري: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧ - ٤١.

ج- الإثنوجرافيا Ethnography

الإثنوجرافيا وتعني الدراسة الوصفية التسجيلية لثقافة مجتمع محدد، وتعني الإثنوجرافيا الوصف المنهجي الدقيق لثقافة معينة في زمان ومكان محددين على عكس الإثنولوجيا التي تهدف إلى التنظير العام أي وضع فرضيات حول الثقافة الإنسانية ككل ولا تعتمد في ذلك على الدراسة الوصفية فقط وإنما تتضمن المقارنات والتحليل أيضاً، وتهتم الإثنوجرافيا بوصف السلوك الاجتماعي وأنماطه لثقافة معينة ووفقاً لذلك المفهوم فإن المادة الإثنوجرافية تشكل قاعدة أساسية لعمل الباحث الإثنولوجي^(١).

وإذا كان الفضل يعود لكتابات الرحالة القدامى وتسجيلاتهم لمشاهداتهم عن الجماعات والشعوب المختلفة حضارياً في نشأة واتساع نطاق الإثنوجرافيا، إلا أن أصل تراث البحث الإثنوجرافي الحديث يعود إلى مالينوفسكي والذي ركز على أولوية البحث الميداني والملاحظة بالمشاركة وكذلك بواس الذي ناهض التاريخ التأملي لنظرية التطور ودعا إلى الوصف الدقيق لثقافات معينة.

ووفقاً لتلك التعريفات السابقة يتضح أن الإثنوجرافيا لا تشكل تخصصاً فرعياً كما هو الحال بالنسبة للإثنولوجيا أو الأركيولوجيا (الآثار) أو اللغويات الأنثروبولوجية إنما هي طريقة أو أسلوب لرسم ملامح الثقافة

(١) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

والحياة الاجتماعية المراد دراستها وهذا يعني أن أي عالم من علماء الإنسان الثقافيي الاجتماعيين أو الآثار أو اللغة يصبح إثنوجرافياً خلال فترة ما أي أنه يستخدم الطريقة الإثنوجرافية أثناء قيامه بالدراسة الحقلية في الثقافة التي انبري لدراستها^(١).

ويجب أن نلاحظ أن التفرقة بين الإثنوجرافيا والأنثروبولوجيا ليست محل قبول داخل مجال الأنثروبولوجيا حيث تعتبر تفرقة مزيفة إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لا يمكن أن يوجد علم عام للإنسان بعيداً عن دراسة الشعوب دراسة تاريخية مقارنة^(٢).

د- اللغويات Lingistics

تعني دراسة اللغة والثقافة وقد نشأ هذا الفرع من فروع الأنثروبولوجيا نتيجة للعلاقة الوثيقة بين اللغة والحياة الإنسانية بصورة عامة ويهتم علماء الإنسان في هذا المجال باللغات المختلفة لأهمية اللغة في دراسة مراحل تطور الإنسان القديم وتفاضله عن الحيوان ولأن اللغة تمثل وعاء للفكر وأداة للتعبير ووسيلة للاتصال والتفاعل بين أفراد المجتمع الواحد، كما أن اللغة في أي مجتمع تعكس الإطار الثقافي والمستوى الحضاري لأفراد المجتمع في زمن معين، بالإضافة إلى أنها تعبر عن المعاني المباشرة والرمزية لأحاسيسهم ومشاهداتهم، وينفرد الإنسان عن

(١) سليمان خلف: علم الإنسان، مقدمة عامة، مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٥.

غيره من الكائنات في تطور نظام رمزي معقد للاتصال والتفاعل وتظل اللغة الإنسانية في نهاية المطاف الأداة الرئيسية التي تساعد الناس ليحافظوا على ثقافتهم وينقلوها من جيل إلى جيل.

واللغويات وفقاً لمدلولاتها في الأنثروبولوجيا تهتم بكل ما يتعلق باللغات الإنسانية ويتضمن ذلك اللغات الحديثة أو المعاصرة أو اللغات القديمة أو المنذرة مثل اللغات اللاتينية واليونانية القديمة والمصرية الفرعونية والاهتمام هنا باللغات في ذاتها من حيث نشأتها وتطورها وبناءها وكذلك بوصفها أحد أهم عناصر الثقافة في المجتمع.

ومن القضايا الهامة التي تشغل أذهان الباحثين في هذا المجال وفقاً لتصور محمد الجوهري العلاقات المتعددة القائمة بين لغة شعب من الشعوب وبقية جوانب ثقافته، مثل الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعية معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات الدينية وكذلك العمليات التي تنتقل بواسطتها اللغة من جيل لآخر وكيف تساعد تلك العمليات على نقل المعتقدات والمثل العليا والتقاليد إلى الأجيال المتعاقبة، وخلاصة تلك التساؤلات أن دارس اللغويات يحاول أن يفهم دور اللغة في المجتمعات البشرية والمهمة التي اضطلعت بها في رسم الصورة العامة للحضارات الإنسانية المتطورة^(١).

(١) محمد الجوهري: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص ٤١.

على المستوى النظري المعرفي كانت العلاقة بين علم اللغة والأنثروبولوجيا وثيقة رغم تغير صورة تلك العلاقة بينهما تغيراً ملحوظاً عبر الوقت، فقد ارتبطت الأنثروبولوجيا باللغة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين حيث عنيت بدراسة اللغات الغريبة أو الدخيلة وحاولت تتبع علاقات التشابه والقربى بين اللغات وتطوراتها التاريخية والعائلات اللغوية، وقد تبنت الأنثروبولوجيا النماذج اللغوية كلية كنماذج لدراسة السلوك الاجتماعي والثقافي وخاصة في ميدان الأنثروبولوجيا البنيوية والمعرفية، وقد أثار تبني النماذج اللغوية في تفسير وتحليل النظم الاجتماعي الثقافية صعوبات فلسفية ومنهجية عديدة، إلا أن الدراسات الحديثة ابتعدت عن التركيز فقط على النماذج الشكلية أو الصورية، واتجهت إلى دراسة الاستخدام الاجتماعي للغة^(١).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢١ - ٥٢٣.

الفصل السابع

الاتجاهات والمدارس الأنثروبولوجية

الاتجاهات والمدارس الأنثروبولوجية

الاتجاه التطوري

مفهوم التطور الاجتماعي Social Evolution يتضمن الفكرة القائلة بأن كل المجتمعات تمر بمراحل محددة خلال الانتقال من الصورة البسيطة إلى الصورة المعقدة، كما تشير صراحة أو ضمناً إلى المماثلة العضوية أي بين نمو الكائن العضوي ونمو المجتمع الغنساني كما تشير بصفة خاصة إلى فكرة ازدياد تخصص الوظيفة يصاحب ازدياد تطور البناء، وقد اتسع المفهوم ليشمل عملية التغير التدريجي الذي يحدث في كل المجتمعات عندما تتغير وظائف بعض النظم المحددة أو يعاد تحديد الأدوار الاجتماعية^(١).

ويذهب شارلوت سيمور إلى أن التطور بصفة عامة هو تلك العملية التي بها يخضع نوع أو فصيل من الكائنات العضوية لتعديلات بنائية عبر الزمن ونتيجة لعمليات التفاعل مع البيئة وهناك رؤى مختلفة ومتباينة حول الإسهام النسبي لكل من العوامل البيئية والعوامل الوراثية في إحداث عملية التطور إلا أن الافتراض المتفق عليه بين أصحاب هذا الاتجاه هو أن تطور الكائنات العضوية يسير نحو زيادة تكيفها مع البيئة وكذلك نحو زيادة درجة التعقيد والتباين أو تنوع الأنواع حيث يتكيف كل

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٣م، ص ٩١.

نوع منها وفق ظروف طبيعية معينة وقد استخدم مفهوم التطور في تحليل تطور المجتمع الإنساني والثقافة وأصبح مفهوم التطور بمثابة جسر بين العلوم الطبيعية والاجتماعية وأصبح أساسياً لكل من الأنثروبولوجيا والبيولوجيا منذ الاستخدام الأول في كتابات كل من داروين وسبنسر^(١).

في الواقع تعتبر فكرة التطور في نشأة الحياة قديمة فقد كان أرسطو واعياً بعملية التغير الاجتماعي حيث لاحظ تطور وانهيار الأبنية الاجتماعية كما أن أفلاطون أدرك إمكانية التشريع في إحداث تغيير الظروف الاجتماعية إلا أن الاتجاه التطوري الذي يقوم على فكرة التقدم الإنساني وتطور النظم الثقافية وفقاً لمراحل معينة يرجع إلى تأثير العلوم الاجتماعية والفكر الاجتماعي عامة بالمدرسة الداروينية خاصة بعد كتابات تشارلز داروين عن أصل الأنواع في عام ١٨٥٩م حيث قدم تفسيرات بيولوجية لتطور الكائنات الحية على أساس من النشوء والارتقاء في ظل الاختيار الطبيعي للكائنات القادرة على البقاء وخوض الصراع من أجل البقاء في ظل مفهومه عن البقاء للأصلح^(٢).

إن النزعة التطورية مثلت في القرن التاسع عشر بناءً فكرياً ينهض على فكرة المماثلة الحيوية إلا أن هذا الاتجاه تميز عن النظرية الداروينية الحتمية حيث أن الداروينية كما سبق الإشارة إليها تذهب إلى أن

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٦.

(٢) السيد عفيفي: علم الإنسان، مكتبة دار العلم، الفيوم ٢٠٠١م، ص ٥٨.

تطور الأنواع الطبيعية إنما تتطور من خلال التباين والانتخاب الطبيعي وهي عملية ليست تقدمية بالضرورة، أما الاتجاه التطوري فيذهب إلى أن المجتمعات البشرية تقدم حتماً وأن التغيير الذي تشهده تغيير تقدمي وهو الذي أدى إلى حضارة أرقى وإلى تحسن أخلاقي للمجتمع البشري، ولقد ساد هذا الاتجاه في العلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر في دراسة المجتمع والحياة السياسية وكانت تلك التوجهات داعمة للاستعمار.

ولقد كانت محاولات هذا الاتجاه تتركز حول فهم كيفية تطور الثقافات الأولى وكيف انتقلت من ثقافة إلى أخرى وهذا يعني الاهتمام بتحليل وتغيير وتطور الثقافة من الشكل الأول الذي نشأت عليه إلى الحالة التي بدت عليها حين تم رصدها ودراستها.

يعتبر هيرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣) أول من استخدم مصطلح تطور Evolution في عام ١٨٥٧ بالإضافة إلى استخدامه مصطلح المماثلة العضوية Organic ليربط بين التطور البيولوجي والتطور الاجتماعي فقد شبه سبنسر المجتمع بالكائن الحي، حيث يرى أن المجتمعات تمر بمراحل تطورية شبيهة بالتطور البيولوجي وبالتالي ركز هذا الاتجاه على دراسة الأصول التي صدرت عنها النظم الاجتماعية وتطورها منذ نشأة الإنسانية مثل أصل اللغة، أصل الأديان، أصل القانون بالإضافة لاهتمام هذا الاتجاه بالدراسات التتبعية التي تسعى إلى معرفة تطور الظواهر الاجتماعية وأسباب التغيير في النظم الاجتماعية مثل

تصور بعض الدارسين في هذا الاتجاه إلى أن الأسرة قد تطورت مروراً
بمراحل متعددة مثل مرحلة الإباحية ثم الأسرة الأموية، فالأسرة الأبوية
وأخيراً بالأسرة الصغيرة.

وعلى الرغم من أن النظرية التطورية في علم الاجتماع
والأنثروبولوجيا تنسب إلى هيربرت سبنسر إلا أنه من الواضح أنها كانت
من المسلمات لدى العديد من الدارسين مختلفي الاتجاهات مثل كارل
ماركس، وفردريك إنجلز، وإميل دور كايم، وجوردن تشابلد، ولويس هنري
مورجان، وجيمس فريزر، وهنري مين، ولزلي وايت.

ويعتبر هنري مورجان H. Morgan (١٨١٨ - ١٨٨١) من أبرز علماء
هذا الاتجاه حيث صنف المراحل التي تمر بها المجتمعات الإنسانية إلا ثلاث
مراحل رئيسية وهي مرحلة الوحشية ومرحلة البربرية ومرحلة الحضارة أو المدنية.

كما أن كتابات إدوارد تايلور ساهمت كثيراً في هذا الاتجاه حيث اهتم
بالتطور الثقافي للمجتمعات الإنسانية فقد حاول تقديم نظرية عن التقدم الاطرادي
للسعوب والثقافات وانتظامها من حالة الهمجية أو البدائية إلى حالة التحضر
والمدنية، وقد استخدم تايلور مفهوم الرواسب والذي تتأسس أفكاره على أن لكل
مجتمع مخلفاته أو رواسبه الأولية مثل الألعاب والمأثورات والتعبيرات اللغوية
ويذهب إلى أن تلك الرواسب تتطور مع تطور المجتمعات الإنسانية^(١).

(١) شحاتة صيام: الأنثروبولوجيا - مقدمة وتطبيقات، رامتان ١٩٩٨م، ص ١٧٨.

ويمكن القول في هذا السياق أن هذا الاتجاه الذي أسسه هيربرت سبنسر يعتمد في مقولاته بصفة أساسية على أن هناك سلسلة متصلة تجمع بين التطور العضوي إلى غير العضوي إلى التطور فوق العضوي وأن نفس القوانين التي تنطبق على العالم الطبيعي تنطبق على المجتمع وتقدمه وأصبح يطلق على هذا الاتجاه اسم الدارونية الاجتماعية والدارونية الاجتماعية كما يذهب شارلوت سيمور تركز على فرضين أساسيين:-

أولهما: أن المجتمعات مثلها مثل الكائنات العضوية عبارة عن كيانات مركبة يتكون كل منها من أجزاء متكاملة وظيفياً كما أنها تمر بمراحل نمو ثم ضعف ثم تباين ثم تكامل.

وأن الأشكال الاجتماعية مثل الكائنات الحية البيولوجية تطورت تدريجياً من أبنية بسيطة متجانسة متشابهة إلى الأشكال الأكثر تعقيداً ومتباينة داخلياً.

وثانيهما: يرتبط بمذهب الفردية والذي يطبق على الانتخاب الطبيعي على البشر في المجتمع (الفقراء والمرضى غير صالحين ويجب تركهم للموت).

في الواقع أن هناك كثير من النظريات والمقولات الأنثروبولوجية التي تدخل في نطاق النظرية التطورية وتعد أعمال كل من مين وماكلينان ومباخوفين صياغات نظرية مختلفة لتطور المجتمع والنظم الدينية أو القرابية أو القانونية^(١).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

وقد وصفت هذه النظريات التطورية المبكرة بأنها تسير في خط واحد أو تصف تطوراً أحادي الخط وذلك لأنها تتحدث عن سلسلة واحدة من المراحل التي يتوقع أن تمر بها كل الجماعات البشرية وإن كان ذلك يتم بمعدلات متفاوتة.

ويبدو أن هذه النظريات أحادية الخط قد فقدت مكانتها في القرن العشرين نتيجة للخلاف المتواصل بين نظريات التطور ونظريات الانتشار من ناحية وكذلك نتيجة لتراكم شواهد حديثة تدل على تنوع بعض النظم الثقافية الاجتماعية مما أوجد صعوبات بالغة في الدفاع عن الآراء النظرية لهذا الاتجاه بالإضافة للجدل النظري مع أصحاب نظريات الانتشار صادف النظريات التطورية صعوبات وجدل حاد مع المدارس الأنثروبولوجية التي تأسست بتأثير أعمال كل من بواس، ومالينوفسكي وراذكليف براون، خاصة فيما يتعلق بالتطور الأحادي وتلك النظريات ركزت على مقولات تفسيرية مغايرة مثل توصيف النظم الثقافية والاجتماعية باعتبارها كياناً كلياً وظيفياً له نسقه ومنطقه الداخلي الخاص.

ومع كل تلك الاعتراضات وأوجه النقد التي وجهت للنظريات التطورية إلا أن تراث العلوم الاجتماعية وخاصة الأنثروبولوجيا بل ودراساتها المعاصرة لا تخلو من أبحاث ودراسات تستخدم مقولات وتقاليد نظرية تركز على التطور الثقافي والاجتماعي ومن أمثلة تلك الدراسات ما ينطوي تحت إطار الأنثروبولوجيا الماركسية والمذهب التطوري الثقافي في أمريكا واتجاهات الأيكولوجية الثقافية.

ومن الاتجاهات التطورية الحديثة ما أشار إليه وايت (١٩٥٩) في أن التطور الشامل للثقافة الإنسانية يمكن أن يفهم في ضوء زيادة مستويات استخدام الطاقة وكذلك ستيوارد ١٩٥٥م الذي وضع أسس نظرية خاصة به لفهم التطور المتعدد الخطوط من أجل التوفيق بين نظرية التطور وبين الشواهد المتزايدة التي تثبت التنوع الثقافي والاجتماعي الموجود نتيجة لتقدم الدراسات الإثنوجرافية والدراسات المقارنة للثقافات^(١).

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين تبلورت بعض المقولات النظرية نتيجة لأعمال وجهود كل من سرفيس (١٩٧٥) وسالينز (١٩٧٢) حيث حاولا حص التنافس القائم بين نظرية تطورية شاملة لتفسير حركة التاريخ الإنساني بأكمله وبين التنوع الحقيقي للأشكال الاجتماعية الثقافية المعاصرة، وذلك عن طريق التمييز بين التطور العام على اعتباره أنه الاتجاه العام أو السائد للتطور الاجتماعي الثقافي الإنساني بينما يتسم التطور الخاص ببعض التباينات على هذا الاتجاه العام أو اتجاهات معاكسة له وذلك نتيجة لظروف تاريخية أو جغرافية أو بيئية معينة.

وعلى صعيد آخر تأخذ مقولات التطور الثقافي المعاصرة صياغات مغايرة في تفسيراتها حيث تتبنى نظرة غير أحادية الخط وقد قدم كل من مارفن هاريس ١٩٧٩ ورودي رابابورت ١٩٨٦ وأندور فايدا ١٩٦٩ صياغات نظرية جديدة تؤكد أهمية العوامل البيئية في التأثير على التكيف

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢.

والتغير الثقافي الاجتماعي وتعتبر تلك الصياغات النظرية مغايرة بل متعارضة جوهرياً مع نظام التطور التي استخدمها علماء الأنثروبولوجيا الماركسية أو الماركسية الجديدة^(١).

الانتشارية

تشهد القرن التاسع عشر نمواً مضطرباً للترحال والسفر بغرض ملاحظة ودراسة أنواع المجتمعات البشرية المختلفة ويعتبر من الرواد كل من باسـتين Bastian (١٨٢٦ - ١٩٠٥) وراتزل Ratzel (١٨٤٤ - ١٩٠٤) فروبينيوس Frobenius (١٨٧٣ - ١٩٣٨) وغيرهم.

والحقيقة أن مفهوم الانتشار هذا يستخدمه الباحثون في الأنثروبولوجيا بكثرة ويقصد به انتشار عناصر الثقافة من جماعة محلية معينة إلى جماعة أخرى وقد صيغ الاتجاه الانتشاري كمحاولة مناهضة الفكر التطوري والذي ذهب في تفسيره لعمليات التغير الثقافي والحضاري للإنساني وأسباب تباينها بين المجتمعات الإنسانية وفق المراحل التطورية الأحادية الخط، حيث رأى العلماء في الاتجاه الانتشاري أن الاتصال بين الشعوب المختلفة قد نتج عنه احتكاك ثقافي وعملية انتشار لكل أو بعض السمات الثقافية.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢.

وفي هذا السياق يعني الانتشار كل الإضافات الحضارية التي يتم من خلالها وجود تشابهات حضارية في مجتمعات مختلفة بمعنى آخر أي انتقال الأدوات والأفكار والمبادئ والتطبيقات المختلفة من مكان لآخر ويتم ذلك في العادة عن طريق جملة العناصر المنتشرة أو استعارة الأنماط الثقافية بطريقة مباشرة ويسمى في هذه الحالة بالانتشار الأولي، وقد يتم الانتشار من خلال استعارة أحد الأنماط أو العناصر الحضارية ثم تطويره وفقاً لسياق الحضارة المنقول إليها ويطلق عليها في هذه الحالة الانتشار الثانوي.

وقد أدخل تايلور هذا المفهوم إلى علم الإنسان وذلك للإشارة إلى انتقال مجموعة من العناصر أو السمات الثقافية عبر المكان وقد عزا ذلك إلى انتقال العناصر المادية أو اللامادية للثقافة إلى هجرة حملة هذه الثقافة إلى مناطق أو أقاليم جديدة أو من خلال عملية النقل أثناء الاتصال الثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن الاتجاه الانتشاري تباينت رؤاه في تفسير عملية الانتقال الثقافي، فقد ظهر إلى أوروبا مدرستان في تفسير عملية الانتشار هذه، حيث ظهرت في إنجلترا بريادة إليوت سميث ووليم بري حيث ذهبا إلى أن الحضارة الإنسانية نشأت وازدهرت على ضفاف النيل في مصر القديمة منذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد تقريباً، ثم انتقلت إلى بقية شعوب العالم عن طريق الاتصال حيث استعارت هذه الشعوب تلك الحضارة وعملت على تقليدها ومحاكاتها^(١).

(١) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.

وفي ألمانيا تبلورت المدرسة الثانية في الاتجاه الانتشاري بقيادة راتزل وشميدت تلك المدرسة أكدت على المقولة التي تذهب إلى أن الإنسان بطبيعته يميل إلى الابتكار، بل إنه ينشد دائماً استعارة السمات الثقافية لإشباع احتياجاته ورغباته الاجتماعية والاقتصادية ولكنها أي المدرسة الألمانية النمساوية، قد رفضت فكرة الأصل الواحد للحضارة وافترضوا وجود عدة مراكز حضارية أساسية في جهات متفرقة من العالم، وقد أدى النقاء الحضارات إلى نوع من الانتشار الثقافي على شكل دوائر ثقافية تتداخل مع بعضها في أشكال متباينة كلما ابتعدت عن المراكز الأساسية للثقافة أو الحضارة ولهذا السبب يطلق على هذه المدرسة مدرسة الدائرة الثقافية.

وقد أدخلت المدرسة التاريخية الثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يميل هؤلاء الرواد إلى التحليل التاريخي الجغرافي للعلاقات بين الثقافات والمناطق الثقافية، ومن أمثلة هؤلاء فرانز بواس الذي يعتقد أن الملامح المميزة لأي ثقافة قد وجدت في مركز ثقافي جغرافي محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى.

وحول تشابه العناصر الثقافية في ثقافتين في مناطق جغرافية متباعدة وعمّا إذا كان ذلك يدل على وجود علاقة تاريخية أو انتشار ثقافي بين الجماعتين، أم أن هذه الميزة الثقافية نشأت بين الجماعتين بصورة الفردية حاول وليم روبرتسون (١٧٢١-١٧٩٣) تفسير ذلك حيث ذهب

إلى أنه بالرغم من البعد الجغرافي بين الجماعتين نشاهد تشابه ظروفها المناخية وتقارب العوامل الاجتماعية المؤثرة عليهما لهذا تتشابه أفكارهما وحاجاتهما وشعورهما وعواطفهما وعليه تكون الظروف التي تعيشها الجماعات وليس الاتصال القائم بينها هي العوامل المباشرة التي تسبب تشابهها أو اختلافها.

ولكنه يرى أن التشابه الموجود بين الجماعات المتباعدة جغرافياً لا يكون كبيراً وإذا كان كبيراً فلا بد من وجود اتصالات بينها عن طريق المصاهرة أو الانتشار الثقافي^(١).

ورغم تراجع اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة عن إعادة البناء التاريخي وكذلك الجدل بين الانتشارية والتطورية وذلك لصالح أنماط جديدة من الدراسات المتنوعة الاتجاهات للبناء الاجتماعي والعملية التاريخية إلا أن الاتجاه الانتشاري بصفة عامة ساعد على تغيير نظرة علماء الأنثروبولوجيا إلى الثقافات الإنسانية على اعتبار أن تلك الثقافات متعددة ومتنوعة لكل منها كيان مستقل من حيث النشأة والتطور وعليه أوجدت فهماً جديداً للثقافة فهي ظاهرة نسبية ووسيلة عملية لحل مشكلات الإنسان في بيئة معينة وزمن محدد، فكل ثقافة معنى وقيمة يتناسبان مع المكان والزمان والخبرة الإنسانية في الموائمة مع البيئة في ظل ظروف تاريخية معينة.

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

وقد أفرزت تلك التوجهات النظرية للاتجاه الانتشاري عدم مفاهيم فرعية لمفهوم الثقافة الإنسانية مثل مفهوم المنطقة الثقافية والنسبة الثقافية... الخ ويمكن الإشارة إلى بعض المفاهيم شائعة الاستخدام وواسعة الانتشار في ذلك المجال.

أ- المناطق الثقافية Culture Area

ويقصد به مجموعات من المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي معين بغض النظر عن احتواء كل منقطة ثقافية على عدد من الشعوب أو الجماعات وبهذا فإن المفهوم يشير على طرق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات تشترك في عدد من مظاهر الثقافة نتيجة لعملية الاتصال والتفاعل^(١).

والمعروف أن مفهوم المنطقة الثقافية قد تطور عن اتجاه التاريخ الثقافي لبواس وتلاميذه وكذلك في إطار أعمال ميردوك ويتم تحديد المنطقة الثقافية على أساس توزيع السمات الثقافية حيث يشترك سكان المنطقة الثقافية في العديد من السمات والخصائص الثقافية المشتركة مثل اللغة والتراث الفني التقليدي والملاحم المتشابهة في مجال التنظيم الاجتماعي.

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي - المفاهيم، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٢٠٢.

وهناك مقولات شائعة وواسعة الاستخدام في الدراسات الأنثروبولوجيا تذهب إلى اتفاق مفهوم المناطق الثقافية والتنوع في الظروف الأيكولوجية ورغم ذلك لا يمكن الزعم بأن الظروف الأيكولوجية هي التي تحدد التنوع الثقافي والتطور التاريخي للثقافة ولكنها أي الثقافة تتعايش مع البيئة في علاقة تبادلية وجدلية حيث يقوم البشر من خلال ثقافتهم بتفسير وتغيير بيئاتهم، كما تمارس البيئة بدورها تأثيراً على كل من الثقافة والمجتمع والمناطق الثقافية وفق هذا الفهم العام يصعب أيضاً تعريفها وتعيين حدودها تحديداً صارماً ولهذا فإن تعريف المنطقة الثقافية يعتبر إلى حد كبير تعسفياً، طالما لا يوجد في الواقع حدود ثابتة للاتصال والتأثير والتداخل الثقافي^(١).

ب- النسبية الثقافية

ارتبط مفهوم النسبية الثقافية بأعمال العالم الأمريكي بواس وأتباعه ويمثل هذا الاتجاه قوة مؤثرة في الأنثروبولوجيا على الرغم من تزايد الشك في سلامة المفهوم في النظريات والدراسات الأنثروبولوجية الحديثة وتمثل هذا المفهوم وما نتج عنه من دراسات نوعاً من الاحتجاج على النظرية التطورية التي كانت معروفة في القرن التاسع عشر، وكذلك ميلاً إلى تأييد اتجاه الخصوصية التاريخية الذي يؤكد على الحاجة إلى الدراسات الدقيقة والكلية للسمات المميزة لكل ثقافة وذلك على

(١) قارن: شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٩-٢٦٠.

سبيل الوقاية من الوقوع في التعميمات التطورية غير الناضجة، وقد أدى تطور تلك الدراسات إلى زيادة التأكيد على الطبيعة النظامية للثقافات والمجتمعات الأخرى وحاجة الأنثروبولوجي إلى النفاذ إلى المنطق والواقع الداخلي للنظرة إلى العالم والنظام الاجتماعي، وقد اضطلعت تلك الدراسات تحت راية النسبية الثقافية بمهمة الدفاع عن السكان الأصليين وعن الشعوب القروية ضد آراء أغلب أنثروبولوجي القرن التاسع عشر التي اتسمت بالتمركز حول السلالة والتعصب العنصري.

وعليه يمكن فهم مفهوم النسبية الثقافية حيث يرى في الثقافة ظاهرة نسبية تؤدي إلى إشباع حاجات الإنسان في بيئة معينة وزمن محدد بغض النظر عن الأحكام القيمية للحكم على درجة تحضرها أو تخلفها.

الاتجاه التاريخي

الاتجاه التاريخي أو المذهب التاريخي يستخدم بمعان مختلفة وقد تكون متباينة في كثير من الأحيان فهو يستخدم للإشارة إلى النسبية التاريخية^(١) والتي ترتبط في علم الإنسان بالنسبية الثقافية واتجاه التاريخ الثقافي كما وضح من أعمال فرانز بواس حيث عارض بواس المخططات التطورية المسبقة والعامية التي كانت شائعة في أنثروبولوجيا القرن التاسع عشر، وركز بدلاً من ذلك على الخصوصية التاريخية والثقافية لكل موقف إثنوجرافي يتصدى الباحث لدراسته.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، ص ٢٥٤.

والمعنى الثاني لهذا المفهوم استخدمه كارل بوبر ١٩٥٧م حيث يشير إلى المذهب الذي مؤداه أن التاريخ يسير وفقاً لقوانين يمكن أن تكشف عنها العلوم الاجتماعية وعليه يمكننا أن نتنبأ بمستقبل المجتمع.

ولكن المذهب التاريخي في معناه الأصلي يذهب إلى أن كل مرحلة تاريخية هي مرحلة متميزة وفريدة ويتعين دراستها والحكم عليها في ضوء ظروفها وهي بذلك تناقض النظريات التي تقترض أن القوانين التي تحكم النظم والسلوكيات والقيم البشرية هي قوانين عامة ولا يغيرها التغير.

ويتضمن نقد بوبر للنزعة التاريخية عدداً من الجوانب فقد اتهم المدافعين عنها بأنهم يقدمون تنبؤات عن مستقبل مجرى التاريخ في صورة تنبؤات غير مشروطة على حين أن التنبؤات العلمية لا يمكن أن تكون إلا مشروطة.

وذهب بوبر في رأي مستقل إلى أن التاريخ البشري يستعصى على التنبؤ لا يعتمد على المعرفة والمعرفة الجديدة لا يمكن التنبؤ بها لأن التنبؤ يعني أنك تملكها بالفعل^(١).

ويرفض بوبر تفسيرات الماركسية بسبب نزعتها الحتمية التاريخية كما أن تنبؤاتها قد ثبت زيفها والملاحظ في هذا السياق أن الجدل هو النزعة التاريخية يدور حول قضية الفاعل البشري والفاعل الطبقي، فبالنسبة

(١) جوردن مارسال: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٢.

للأول يذهب نقاد كثيرون إلى عدم قابلية التاريخ أساساً للتنبؤ ويؤيدون ملائمة الهندسة الاجتماعية التدريجية، أما دور الطبقة العاملة في التاريخ فإنها لم تحقق تنبؤات الماركسية بشأن الثورة والدور السياسي في التحولات الاجتماعية.

تكتشف الدراسات الأنثروبولوجية عن حقيقة هامة حول علاقة علم الإنسان والتاريخ وكما يذهب شارلوت سيمور أن تلك العلاقة ظلت محوراً للجدل والمناقشات حيث يشترك العلمان في كثير من العصبوبات النظرية المنهجية والفلسفية وتكمن أوجه التباين بين العلماء حول طبيعة العلاقة بين العلميين تبعاً لفهمهم لفلسفة التاريخ وفلسفة الأنثروبولوجيا أيضاً.

وفي هذا السياق يذهب ليفي شتراوس ١٩٦٣م إلى أن التاريخ والأنثروبولوجيا يتشابهان في توجهاتهما وفي أهدافهما فيما عدا استثناء وحيد يكمن في أن التاريخ يركز على دراسة سياقات بعيدة عناً زمانياً في حين أن الأنثروبولوجيا تركز على دراستها لدراسة سياقات بعيدة عناً مكانياً، كما أن التاريخ من وجهة نظر شتراوس يركز على الخاص والفرد في مقابل الأنثروبولوجيا التي تركز على استكشاف القوانين العامة للتنظيم الاجتماعي.

أما إيفانز بريتشارد ١٩٦٢م فيحدد طبيعة العلاقة بين الأنثروبولوجيا والتاريخ في كونهما علوم ذات نزعة إنسانية وذات طابع تفسيري ولا يستهدفان استخلاص قوانين علمية تحكم الحياة الاجتماعية البشرية ولكنهما يسعيان إلى تفسير وترجمة الظواهر الاجتماعية والثقافية.

وفي ذات السياق النقدي للتاريخ الظني عند النزعة التطورية تقف الوظيفية والبنائية الوظيفية موقفاً مغايراً حيث رفضت التاريخ ودعت بدلاً من ذلك إلى التحليل الآني للبناء الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية.

وعلى صعيد آخر تتحدد ملامح العلاقة بين العلميين بالدراسات المعاصرة في الحاجة إلى استخدام البيانات التاريخية والمناهج التاريخية في البحوث الأنثروبولوجية ومن البيانات التي يحتاج إليها الأنثروبولوجي بشدة تلك التي تتعلق بالتاريخ السلالي والخلفية التاريخية للسياق الإقليمي والقومي والعالمي الذي يعيش وسطه المجتمع الذي تجرى فيه الدراسة الميدانية وقد أصبح استخدام تلك الموارد يمثل جزءاً جوهرياً من البحوث المعاصرة.

وتجدر الإشارة هنا لمفهوم التاريخ السلالي Ethno history حيث يجمع التاريخ السلالي بين علمي الأنثروبولوجيا والتاريخ حيث يربط الإطار النظري لعلم الأنثروبولوجيا بطرق البحث التاريخي في دراسة العملية الثقافية والاجتماعية، ويركز هذا التخصص على دراسة التراث الصغير وتاريخ الشعوب غير الغربية، وهناك محاولة لدراسة التاريخ من

أسفل وليس على التاريخ الذي تشكله التفسيرات الأيديولوجية المفروضة التي تنبثق عن الطبقات المسيطرة تلك التي يقوم بها التاريخ المحلي والشعبي، أما التاريخ السلالي فيحاول دراسة تصورات شعب معين عن تاريخه.

وكما سبق الإشارة إليه قد طور بواس ١٩٤٠م مفهوم التاريخ الثقافي Culture History في إطار مدرسة الدائرة الثقافية وفي إطار نقده للتاريخ الظني الذي ساد منهجه أعمال الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، ودافع بواس عن المنهج التاريخي والذي من خلاله يمكن رسم صورة تاريخ كل شعب عن طريق المقارنة المفصلة مع الشعوب المجاورة.

البنائية الوظيفية Structural Functionalism

لقد تبلور اتجاه البنائية الوظيفية في مجال علم الإنسان في إطار أعمال كل من مالفينوسكي (١٩٨٤-١٩٤٢) وراي كليف براون (١٨٨١-١٩٥٥) وقد تأثرا بأفكار عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم وفي كل الحالات يمكن القول أن هذا الاتجاه توسعت في استخدامه الدراسات الأنثروبولوجية في عشرينات القرن الماضي وجاء اهتمام علماء الاجتماع بذات الاتجاه من خلال أعمال تالكوت بارسونز وجورج ميرتون G. Merton وباريتو Pareto.

إن تراث الدراسات الأنثروبولوجية يظهر مرجعية جذور المدرسة الوظيفية إلى الفكر الوضعي الذي يؤرخ له مع بدايات القرن التاسع عشر كما ترتبط في نشأتها الأولى بالنظرية العضوية تلك التي ترى أن الإنسان يشبه المجتمع في مكوناته وأن المجتمع يتصف بالنمو مثل الكائن الحي وأنه كما أن جسم الكائن يتكون من مجموعة أجزاء ومكونات تؤدي نشاط ترتبط وتتجانس في النهاية مع بعضها البعض حتى يحدث التكامل في أداء الوظيفة، فإن المجتمع يتكون من مجموعة وحدات تتساند وتتكامل برغم تباينها وظيفياً.

والواقع أن البنائية الوظيفية تقوم على أساس من المفاهيم العلمية التي تستخدمها في تفسير تصور المجتمع والإنسان في حركته واستقراره، كذلك تنهض على مجموعة من القضايا المنطقية والتي يتأسس عليها تحليل الظواهر الاجتماعية والسلوك الثقافي الاجتماعي كما أنها تبلورت نتيجة جهود رواد سواء في علم الإنسان أو علم الاجتماع وسنحاول هنا أن نشير إلى أهم المفاهيم التي تستخدمها تلك النظرية.

أولاً: المماثلة العضوية Organic Analogy

المماثلة العضوية ترتكن في أساسها على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية وقد شاعت استخدامات هذا المفهوم في القرن التاسع عشر خاصة في أعمال رواد النظرية التطورية وكانت تستخدم لتشير إلى العلاقات المتبادلة بين البناء الاجتماعي وعملية الحياة

الاجتماعية، ومع أن المفهوم التقليدي للمماثلة العضوية كما ورد في أعمال هيرت سبنسر لم يعد يستخدم إضافة إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة تتجنب الحديث عن المماثلة العضوية إلا أن كثير من الدراسات لا زال يعتمد عليها طالما استخدمت مفاهيم مثلاً لبناء والوظيفة^(١).

وتنهض المماثلة العضوية على أساس فلسفي ومقولات تفسيرية تذهب إلى أن بناء ووظائف المجتمع تسير طبقاً للقوانين البيولوجية التي يتميز بها الكائن العضوية مع اعتماد الأجزاء أو الأعضاء المختلفة على بعضها البعض فتكون الجسم أو المجتمع ككل، ولا تستخدم المماثلة العضوية في التحليل الأنثروبولوجي منفردة بل تتداخل مع مجموعة مفهومات تخدم السياق التحليلي لها، حيث ترتبط في التحليل بمفهوم التضامن العضوي والذي يقصد به أحد أشكال تضامن المجتمع الذي يتميز به المجتمع الصناعي الحديث والذي يقوم على اعتماد عدد كبير من الوظائف المتخصصة على بعضها البعض والتي تتطوي على تقسيم معقد وتتطلب تعاون جميع أفراد المجتمع وجماعته، أما مفهوم الكائن العضوي وفقاً لرؤية أحمد زكي فإنه نظام من أجزاء مرتبطة بعضها ببعض على نحو يجعلها قادرة على الحياة كوحدة مع وجود التخصيص الوظيفي المنسق لأجزائها المختلفة ويطبق عادة على الحيوان وعلى الجماعة المنظمة على سبيل المجاز.

(١) السيد حنفي عوض: علم الإنسان، الطبعة الحادية عشر، مطبعة الإسراء ٢٠٠٣م، ص ٨٢.

تقوم المماثلة العضوية كما يصورها السيد حنفي على تصور الكائن العضوي وكذلك المجتمع كلاً يتألف من وحدات تتجمع وترتبط مع بعضها ببعض في شكل بناء متماسك وتقوم كل وحدة منها بمناشط لها وظائف محددة، فأما الوحدات في الكائن العضوي البيولوجي فهي الخلايا التي ترتبط بعضها ببعض مؤلفة بناء متكامل (الجسم) ويصدر عنها مظاهر سلوكية مختلفة يمكن ملاحظتها (المناشط) ويسهم كل منها بنصيب معين في حفظ كيان هذا البناء (الوظيفة) ^(١) أما الكائن العضوي الاجتماعي فيتألف بالمثل من وحدات هي الأفراد والجماعات الذين يدخلون معاً في علاقات متبادلة فيؤلفون بذلك البناء الاجتماعي ويتعرفون في حياتهم اليومية بطريقة معينة (المناشط الاجتماعية)، كما أن كل نشاط منها يسهم بدوره بنصيب معين في حفظ البناء الاجتماعي (الوظيفة الاجتماعية) أو في حفظ العلاقة بين ترشيد النشاط وحاجات البناء الاجتماعي ^(٢).

ثانياً: الوظيفة الاجتماعية Social Function

الوظيفة مفهوم محوري في العلوم الاجتماعية شاع استخدامه خاصة مع بداية القرن العشرين ويقصد بالوظيفة بصفة عامة نوع العمل

(١) السيد حنفي عوض: علم الإنسان، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٢) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، الجزء الأول، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ٦٥ - ٧١ نقلاً عن السيد حنفي عوض المرجع السابق.

الذي يمكن للبناء أداؤه بوضوح لتحقيق أهداف معينة ويتضمن المفهوم الإدارية للمصطلح الواجبات والمسئوليات والسلطات وهي مكونات الوظيفة ويفهم من سياق الوظيفة الاجتماعية سلسلة الخدمات التي تقوم بها جماعة منظمة لصالح اعضاءها كالخدمات الخاصة بالصحة والتعليم.

وفي البيولوجيا يشير مصطلح وظيفة إلى الإسهام الذي يقوم به عضو معين في حياة الكائن الحي ككل، أما في العلوم الاجتماعية فقد استخدمت في سياق النظرية الوظيفية التقليدية كما ورد في أعمال هيربرت سبنسر ودور كايم والتي تبناها راد كليف براون ومالينوفسكي وتعني هنا بأنها الإسهام الذي يؤديه كل جزء من أجل استمرار الكل، والعلاقات الوظيفية المتبادلة بين الأجزاء المختلفة المكونة لكائن حيث أو نسق كلي ووفقاً لمعنى الوظيفة في هذا السياق تعتبر نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الأفراد والجماعات ووفقاً لرؤية ميرتون ١٩٤٩م يتم التمييز بين نوعين من الوظائف هما الوظائف الظاهرة والوظائف المستترة (الكامنة) والظاهرة هي تلك الوظائف المقصودة التي يدركها الأفراد الفاعلون، أما الوظائف المستترة فهي تلك الوظائف التي لا يقصدها ولا يدركها الفاعلون، أما الوظائف المستترة فهي تلك الوظائف التي لا يقصدها ولا يدركها الفاعلون وقياساً على ذلك يمكن فهم الوظيفة الاجتماعية للدين على أنها المحافظة على تماسك ووحدة الجماعة، تلك الوحدة التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها الأساسية، كما أن وظيفة النظام الأسري

الحفاظ على استمرار وبقاء المجتمع من خلال الإنجاب الشرعي للأطفال وتربية وتنشئة الأطفال وفقاً للطريقة التي يراها المجتمع مناسبة في سياق مجموعة القيم والعادات ونسق المعايير المفضلة إليه.

ثالثاً: البناء الاجتماعي Social Structural

في الحقيقة أن مفهوم البناء الاجتماعي مفهوم محوري في العلوم الاجتماعية خاصة علم الاجتماع في الحقيقة أن مفهوم البناء الاجتماعي مفهوم محوري في العلوم الاجتماعية خاصة علم الاجتماع وعلم الإنسان، ويفهم معناه وفقاً لرؤية أحمد زكي أنه النمط المقرر لأي نظام داخلي لجماعة ما، ويتضمن مجموع العلاقات الموجودة بين أعضاء الجماعة وبعضهم البعض وبينهم وبين الجماعة نفسها، وبعبارة أخرى البناء الاجتماعي يعني إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة (التجمعات القائمة على القرابة والجنس والسن والمصلحة المشتركة والمكانة والمنزلة) أو كنموذج مقام تبعاً لهذه العلاقة، وفي المجتمعات المتحضرة يعتبر الحزب السياسي، نقابات العمال وما شابهها هي التي تؤلف بناءها الاجتماعي.

ويعرف أحمد أبو زيد البناء الاجتماعي الكلي لأي مجتمع من المجتمعات بأنه عبارة عن نسق من الأبنية المنفصلة المتميزة التي تقوم بينها رغم تمايزها وانفصالها علاقات متبادلة مثل البناء القرابي والبناء السياسي والبناء الاقتصادي ويضم كل هذه الأبنية الجزئية عدد من النظم

الاجتماعية التي تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متكاملة ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعي إلا بدراسة تلك الأبنية الجزئية التي تتداخل وتتفاعل بعضها مع بعض^(١).

ومفهوم البناء الاجتماعي يستخدم على نطاق واسع في مجال الأنثروبولوجيا ويستخدم للإشارة إلى ملامح التنظيم الاجتماعي بما يشتمل عليه من نظم اجتماعية وأدوار ومكانات من شأنها أن تضمن استمرار أنماط السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية عبر الزمن وعليه يشير مفهوم البناء الاجتماعي إلى الآليات التي تكفل الاستمرار الاجتماعي أو الحفاظ على ما هو قائم أو إعادة الإنتاج الاجتماعي بلغة التحليل الماركسي^(٢).

وبسبب دلالة المفهوم الاستاتيكية ونظريته اللاتاريخية للأنساق الاجتماعية يتجنب كثير من الأنثروبولوجيين استخدامه ويتعرض الاتجاه البنائي الوظيفي للنقد بسبب افتراضه أن الأنساق الاجتماعية عبارة عن مجموعات متناغمة وغير متغيرة نسبياً من المعايير والأدوار والمكانات التي يتلقها الفرد أو يمارسها بسلبية.

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول، المفاهيم، الطبعة الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٥٥ - ٥٦.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

وبرغم أوجه النقد السابقة إلا أن الواقع في التراث الأنثروبولوجي برصد لظهور فكرة البناء الاجتماعي وتصور المجتمع كوحدة متماسكة الأثر البالغ في توجيه البحوث الأنثروبولوجية والدراسات الاجتماعية بصفة عامة إلى محاولة الكشف عن تشابك النظم التي تسود في المجتمعات المحلية على أساس أنه لن يمكن فهم أي نظام اجتماعي دون دراسته في علاقته بالنظم الأخرى السائدة في المجتمع المحلي بالذات ثم في علاقته بالكل الذي يدخل في تكوينه^(١).

والحقيقة أن ظهور البنيوية كما جاءت في تراث ليفي شتراوس زاد من موجات النقد الموجه لمفهوم البناء الاجتماعي وقدراته التحليلية حيث هاجم الفهم المغرق في الأمبريقية للبناء، كما لو كان شيئاً يمكن ملاحظته أو تجريده من السلوك الاجتماعي الفعلي الذي يمارس في الواقع وقد طرح بدلاً من هذا فكرة مؤداها أنه يمكن فهم بناء المجتمع كمنظومة من المبادئ الأساسية التي تتحكم في التعبير الإمبريقي عن الأنساق الاجتماعية^(٢).

رابعاً: النسق الاجتماعي Social System

مفهوم النسق كغيره من مفاهيم الوظيفة والبنائية الوظيفية في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يمثل محور الاهتمام واستخدام بكثافة في

(١) السيد حنفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٣.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

التحليلات والدراسات الاجتماعية حيث استخدم بشكل عام ليصف الطبيعة النظامية والمستمرة ذاتياً للعلاقات الاجتماعية وبالتالي يمكن فهم النسق الاجتماعي باعتباره مجموعة من العلاقات المنظمة القائمة سواء داخل المجتمعات المحلية أو الجماعات البشرية أو بين بعضها البعض والتي تميل إلى الحفاظ على استمرارها عبر الزمن، ومن ذلك فإن فكرة النسق ليست استاتيكية كما هو الحال بالنسبة لفكرة البناء الاجتماعي بل تتطوي على إمكانية تكيف وتحدد الأنساق الاجتماعية عبر الزمن كاستجابة للتغيرات والتناقضات الداخلية والخارجية^(١).

ولقد وضع منظري القرن التاسع عشر تصورات دقيقة عن الوحدات الرئيسية للأنساق الاجتماعية وعن العلاقات فيما بينها ومع ذلك لم يكن تعبير النسق الاجتماعي يستخدم بشكل رئيسي لديهم وأكثر التصورات استخداماً وشهرة في نفس الوقت هي تصورات تالكوت بارسونز ١٣٩٧م، ١٩٥١م، وقد جاء اهتمامه بمفهوم النسق الاجتماعي في سياق اهتمامه بمشكلة النظام الاجتماعي العام أي طبيعة القوى التي تؤدي إلى التفاعل والتنظيم الاجتماعي وتؤدي كذلك إلى حدوث تغير منظم، وقد اعتمد بارسونز على أعمال كمل من إميل دوركايم وماكس فيبر خاصة وظائف العوامل المعيارية كالمثل والقيم في الحياة الاجتماعية، وقد كانت تلك العوامل دافعاً رئيسياً لتحديد طبيعة مفهوم النسق الاجتماعي حيث

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص

عرفه بأنه يتكون من عدد من الفاعلين الأفراد الذين يتفاعل أحدهم مع الآخر في أحد المواقف يحركهم الميل إلى الحصول على أكبر قدر من الإشباع ويتم تحديد علاقتهم بما في ذلك أحدهم بالآخر ويتم التوفيق بينهم في ضوء نسق من الرموز المشتركة المتكونة ثقافياً، ويذهب بارسونز إلى أن الوحدات الرئيسية للنسق الاجتماعي تتكون من جماعات وأدوار (أي لا تتكون من أفراد) ترتبط معاً من خلال القيم (غايات أو موجّهات الفعل) والمعايير (قواعد تحكم أداة الدور في سياق قيم النسق).

وقد وجه العديد من العلماء نقداً شديداً لتصورات بارسونز عن النسق الاجتماعي حيث أشاروا إلى أن تلك الصيغة أهملت الصراع الاجتماعي فهو لا يرى الخلاف في الحياة الواقعية^(١).

في كل الحالات يجب في هذا السياق التمييز بين الأنساق الاجتماعية عن أنساق الشخصية والأنساق الثقافية برغم من أن النسق الاجتماعي يتضمن في استخداماته تلك الأنساق الثلاث ومع ذلك يعرف نسق الشخصية بأنه تلك الجوانب من الشخصية الإنسانية التي تؤثر على الوظيفة الاجتماعية للفرد.

أما النسق الثقافي فيغطي المعتقدات والأنساق الملموسة من القيم ومعاني الاتصال الرمزي.

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

والنسق الاجتماعي في هذا السياق يشير إلى صور وأساليب التفاعل والتنظيم مثل بناء السلطة في المنظمة أو تقسيم الوظائف في الأسرة.

وفي الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة حدث تحول عن استخدامات النسق الاجتماعي بمفهومه الكلاسيكي وقد تبنت كبديل عنه مفهوم النسق الاجتماعي الثقافي ويستخدم أيضاً كبديل عن النسق الثقافي من جانب أولئك الذين أرادوا تجنب الحتمية السوسولوجية أو الثقافية وينطوي استخدام هذا المفهوم على عدم إمكانية فصل أو إعطاء أسبقية لأي من الجانبين الاجتماعي والثقافي للتنظيم البشري^(١).

خامساً: التوازن Equilibrium

التوازن بصفة عامة هو حالة تلازم الاستقرار الناشئ عن تساوي القوى أو حالة الاحتفاظ بوضع معين بين مؤثرات متعارضة ويرى أنصار المادية الميتافيزيقية أن التوازن هو حالة طبيعية وسوية في حين أن الحركة هي حالة الانتقالية بينما يرى أنصار المادية الديالكتية أن المتناقضات في المجتمع في حالة صراع يؤدي في النهاية إلى تغيير في المجتمع^(٢).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص ٦٧٩.

(٢) أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧.

والتوازن هو حالة الموازنة التي تقع في النظام الاجتماعي أي الموازنة بين أجزائه ومكوناته المتناسقة خصوصاً الموازنة بين النظام والبيئة التي يوجد فيها، وقد انتقل مفهوم التوازن من علم الميكانيكا إلى العلوم الاجتماعية واستعمله علماء الاجتماع مع المفاهيم الأخرى التي اشتقها من العلوم الطبيعية كالتكيف والانسجام والتوافق.

ويستخدم هذا المفهوم في الأنثروبولوجيا الأيكولوجية وفي النظرية الوظيفية الاجتماعية أيضاً للإشارة لإحدى سمات النسق الذي يعتقد أنه يحاول الوصول إلى حالة الاستقرار وتتضمن هذه الحالة المستقرة توازناً وظيفياً بين الديناميات الداخلية للنسق وبيئة معينة.

وقد استخدم مفهوم التوازن في أواخر القرن التاسع عشر من قبل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وذلك لرغبتهم في تحويل العلوم الاجتماعية إلى موضوعات نظامية قادرة على بناء النماذج النظرية التي تستعملها في تفسير الظواهر الاجتماعية بالإضافة إلى رغبة العلماء في بناء نظام مثالي لدراسة العلاقة بين الأشياء والمتغيرات التي تؤثر عليها.

وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن المنصرم تنامت استخدامات هذا المفهوم وخاصة لدى أنصار نظرية بارسونز حيث اعتبرها فكرة محورية في نظريته الاجتماعية وذلك حينما حاول وضع نظام نظري لدراسة العلاقة السببية بين المتغيرات الاجتماعية، وقد ذهب إلى أن الأنظمة الاجتماعية جميعها تهدف إلى الوصول إلى حالة تقريبية من التوازن الاجتماعي رغم تأكيده عدم استطاعة النظام الاجتماعي تحقيق ذلك التوازن^(١).

(١) عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ٧٤-٧٥.

إلا أن هذا المفهوم وجهت إليه انتقادات جوهرية خاصة من سوركين
١٩٤١م ومنذ ذلك التاريخ تشهد مجالات العلوم الاجتماعية تنامياً في الشك في
قدرة هذا المفهوم التحليلية ويذهب أولئك إلى عدم إمكانية تطبيق مفهوم التوازن
على المجتمع البشري تطبيقاً ناجحاً وكذلك لا يمكن استخدام مفهوم التوازن أو عدم
التوازن كمبدأ تفسيري في التحليل الاجتماعي على أساس أن توضيح الآثار
التكيفية أو غير التكيفية لسلوك أو مؤسسة معينة لا تمثل تفسيراً لوجودها أو
استمرارها في سياق تاريخي معين حيث قد يدرك الأفراد وقد لا يدركون هذه
المضامين الوظيفية^(١).

قضايا وتساؤلات البنائية الوظيفية

لقد وضح مما سبق طرحه أن البنائية الوظيفية اتجاهاً من الاتجاهات
السائدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وأنه لم يتبلور نتيجة جهد فردي بل شارك
فيه مجموعة من المنظرين في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وأن
هذا الاتجاه لم يبدأ من فراغ بل سبقه تراث علمي غزير سواء فيما يتعلق بالإنسان
أو الطبيعة وقد جاءت بعض من تلك الأفكار لأسباب أيديولوجية ويرى عبد
المعطي أن التحليل البنائي الوظيفي نتيجة تبلور حاجة عدد من الباحثين في
علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا نحو تطوير أدوات وأساليب نظرية ومنهجية تتواءم
ودراسة الصور المختلفة للترابطات الاجتماعية والتفاعل بين السمات والنظم
والجماعات داخل النسق الاجتماعي الكلي^(٢).

(١) شارلوت سميور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٢) عبد الباسط عبد المعطي: عادل الهواري، في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة
الجامعية، ١٩٨٦م، ص ٩٩.

إن واقع الدراسات الأنثروبولوجية يظهر اختلافات وتباين بين رؤى وتصورات البنائيين والوظيفيين في اهتماماتهم وطرح تساؤلاتهم وقضاياهم الرئيسية إلا أنه يمكن القول أن المنظور الأساسي للاتجاه البنائي الوظيفي جعل محور اهتمامه حول المجتمع والعلاقات المتبادلة بين النظم السائدة فيه أكثر من الاهتمام بالفرد أو الجماعات مثل الأسرة ويطرح الاتجاه البنائي الوظيفي تساؤلاً محورياً مؤداه: كيف تستطيع الحياة الاجتماعية أن تحقق بقاءها وتستمر خلال الزمن بالرغم من ذلك التحول التام الذي يطرأ على عضوية المجتمع مع كل جيل جديد؟

ويقدم الإجابة على ما طرحه من تساؤل بأن الحياة الاجتماعية مستمرة لأن المجتمعات لديها وسائل (بناءات) تشبع بها الحاجات (الوظائف) التي إما أن تكون ظروفًا سابقة أو نتائج للحياة الاجتماعية المنظمة^(١).

ووفقاً لتلك الرؤية فإن الاتجاه البنائي الوظيفي يتضمن تصوراً محدوداً عن الزمن حيث يوقف حركة النسق عند نقطة زمنية معينة لكي يتمكن من فهم كيفية قيامه بعمله كنسق وهنا تأكيد على محاولة فهم كيفية إسهام النظام في المحافظة على استمرار المجتمع ويؤخذ على تلك الرؤية إهمالها عملية التغير، ورغم ذلك فقد أسهمت بفاعلية في تطور الفكر

(١) أليكس أنكلز: مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٩٨٣م، ص ٨٤.

الاجتماعي والبحث الأنثروبولوجي حيث أن كثير من ملامح المجتمع التي كانت تبدو محيرة لا تخضع لمنطق يبرر وجودها، أصبحت واضحة مفهومة حينما ينظر إليها في علاقتها بالوظيفة، فأوضح هذا الاتجاه أهمية عناصر ووظائف كثيرة لاستمرار الحياة الاجتماعية كانت مهملة أو لم تعطي الاهتمام الكافي مثل الطقوس العاملة كوسيلة لزيادة التضامن الاجتماعي، ووفقاً لرؤية إنكلز في إطار الاتجاه البنائي الوظيفي تنامت القدرة على فهم وإدراك العلاقة المتبادلة بين الأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي، مما أدى إلى زيادة فهمنا للتغير الاجتماعي بصفة عامة حيث يرى أن مجرد إدراك أن التغيرات التي تحدث في جانب معين من المجتمع تحدث نتائج هامة للأجزاء الأخرى من النسق قد ساعدنا كثيراً لفهم أسباب تعدد نتائج التغيرات التي تستهدف تحقيق هدف معين بحيث تختلف هذه النتائج عن تلك التي نقصدها أو نتوقعها وكذلك أسباب مقاومة الاكتشافات الجديدة والذي لاشك فيه أن الاتجاه البناء الوظيفي قد قدم دعماً كبيراً للدراسات المقارنة وبخاصة تلك التي تناولت الثقافات البدائية وغير الأوروبية خاصة المجتمعات التي لا توجد بها حكومات مما شجعت البحث عن الطرائق التي تستعين بها تلك المجتمعات على ترتيب ما يتعلق بالسلع والخدمات أو الممارسة الشرعية للقوة.

ويكشف تراث الدراسات في الاتجاه البنائي الوظيفي أن معظم محاور تدور حول ثلاثة أسئلة تلك التي الدراسات في الاتجاه البنائي الوظيفي أن معظم محاوره تدور حول ثلاثة أسئلة تلك التي أوضحها ماريون ليفي أحد رواد هذا الاتجاه وهي:

١- ما هي الأنماط التي يمكن الكشف عنها أو إقرار وجودها في الظاهرة موضوع الدراسة؟

٢- ما هي الظروف والمصاحبات الاجتماعية التي تنتج عن تفاعل هذه الأنماط معاً؟

٣- ما هي الوظائف التي تدل على وجود هذه الأنماط وتبرهن على ما بينها من تفاعل اجتماعي؟

وتلك الأسئلة كما يذهب عبد المعطي يتضح منها أنها أولاً تركز على البناء الاجتماعي ومكوناته وأنماطه.

وتركز ثانياً على الوظائف الاجتماعية من خلال آثارها أو نتائجها داخل النسق وتركز ثالثاً على محاول التوفيق بين البناء الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية^(١).

(١) عبد الباسط عبد المعطي: في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٠.

إن تلك التساؤلات المحورية والقضايا التي تطرحها البنائية الوظيفية تقوم على أسس عامة تظهر من خلال تراث تلك الدراسات يمكن الإشارة إليها في الآتي:

١- تفسير أية سمة حضارية على أساس معناها بالنسبة لمركب حضاري أو نسق اجتماعي أكبر منها.

٢- أن كل أجزاء الحضارة ترتبط وظيفياً ويعتمد بعضها على بعض اعتماداً متبادلاً لذا فلا يمكن فهم أي سمة حضارية بمعزل عن الكل الحضاري^(١).

٣- أن للمجتمع بناء ووظيفة وأن النظم الاجتماعية تقوم بوظائفها داخل إطار البناء الاجتماعي المكون من الأفراد المرتبطة بعلاقات اجتماعية محددة مكونين بذلك كلا متكاملًا لذا فالحياة الاجتماعية لأي مجتمع هي أداء البناء الاجتماعي لوظائفه^(٢).

ورغم أن تلك القضايا التي أشرنا إليها عامة تهتم بالاتجاه البنائي الوظيفي إلا أن هناك تباين في الرؤى الفكرية فيما بين النماذج والاتجاهات المنبثقة عنها أو المتفرعة منها ولقد رصدت مرجريت كولسون M. Colson وكذلك دافيد ريدل Riddell D. ثلاثة اتجاهات أو نماذج فرعية لهذا الاتجاه تعبر عن الاختلافات النوعية في القضايا أو الفهم العلمي لها وهي:

(١) السيد حنفي عوض: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٨٣.

(٢) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦٨.

الأول: ويسمى البنائية الوظيفية وهي اتجاه هام يمثله رهط غير قليل من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ويرى أن غرض أو غاية المجتمع هو الحفاظ على النظام والثبات الاجتماعيين وأن وظيفة أجزاء البناء ومكوناته وكذلك الطريقة التي ترتب وتنظم بها هذه المكونات بل ووظيفة البناء الاجتماعي بصفة عامة تتمثل في الحفاظ على هذا النظام وذلك الثبات، ويعتبر رادكليف براون راند هذا الاتجاه حيث تولى مهمة تفسير ونشر تلك الرؤية^(١).

الثاني: ويطلق عليه الوظيفة البيولوجية حيث يؤكد هذا الاتجاه على أن غاية المجتمع هو إشباع حاجات بيولوجية محددة للبشر المكونين لهذا المجتمع ومن أبرز أنصار تلك الرؤية الفكرية مالمينوفسكي.

أما الثالث: فيسمى بالوظيفة المعيارية ويتأسس على فكرة أن الحفاظ على النظام والتوازن يمكن تحقيقه وذلك من خلال وجود معايير وقيم عامة تشترك فيها الغالبية العظمى من الناس في المجتمع ويتضح أن هذا النموذج يركز على النسق القيمي بصفة عامة أكثر من البناء الاجتماعي ويعتبر من أبرز المنظرين لهذا الاتجاه: تالكوت بارسونز.

(١) عبد الباسط عبد المعطي: في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

الخلفية التاريخية للبناءية الوظيفية

يمكن إرجاع النظرية الوظيفية في الأنثروبولوجيا إلى هيربرت سبنسر والذي يعتبر أول مفكر اجتماعي استخدم المماثلة العضوية في تفسيره للتطور الاجتماعي الثقافي وعلى صعيد آخر قدم إميل دور كايم العديد من المفاهيم الأساسية التي أثرت على القضايا والتساؤلات الرئيسية في البناءية الوظيفية خاصة في بريطانيا.

بصفة عامة يمكن القول أن منظري القرن التاسع عشر قد بينوا فكرة المماثلة العضوية مقرونة بالنظريات التطورية في النمو الاجتماعي في المقابل يتلاحظ أن النظرية الوظيفية المعاصرة في الأنثروبولوجيا ترتبط على نحو خاص بأعمال مالينوفسكي الذي رفض التأمّلات التطورية للمنظرين الاجتماعيين الأوائل وصاغ نظرية بديلة تعرضت للنقد كثيراً في الأوساط الأنثروبولوجية لكونها نظرية لا تاريخية ومع ذلك فقد توسعت استخدامات مفهوماته وتفسيره للنظام الاجتماعي العام حيث ذهب في تفسير وجود العادة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي أو أي علاقة اجتماعية إلى وجوب أن تتم تلك العملية في سياق الوظيفة التي يؤديها كل منها بمعنى آخر أي يتم التفسير في ضوء الإسهام الذي تقدمه في إشباع الحاجات سواء الحاجات الفسيولوجية والعاطفية الأولية أو الاجتماعية أي الثانوية وعلى المستوى المنهجي فقد ارتبطت طريقة الملاحظة بالمشاركة بأعمال مالينوفسكي حيث كان رائداً في تطبيقها.

وقد تعرضت تلك الصياغة لانتقادات عنيفة لأنها تخلط بين احتياجات الكائن الحي الفرد الذي لا يستطيع العيش بدون طعام وبين احتياجات النوع (الجنس) الذي لا يستطيع البقاء بدون تكاثر واحتياجات المجتمع الذي يستطيع البقاء حتى إذا مات عدد كبير من أفراده بسبب الجوع أو عدم الإنجاب، كما أن تناوله لموضوع علاقة النظام الاجتماعية بالاحتياجات البيولوجية كان قاصراً على الاحتياجات الخاصة بالبقاء على قيد الحياة الخاصة بالزواج والأسرة^(١).

وقد أثرت نظرية إميل دور كايم عن الظواهر الاجتماعية وخاصة إصراره على استقلال التفسير السوسيولوجي وخصوصيته على توجهات الوظيفيين النظرية حيث أدت إلى تفسير الأنساق الاجتماعية ككيانات كلية دون إشارة إلى الأنماط النفسية أو البيئية أو غيرها من الحاجات.

وفي حين ارتبطت النظرية الوظيفية في الأنثروبولوجيا بالنزعة اللاتاريخية عند مالينوفسكي نجد أن المدرسة البنائية الوظيفية التي مثلها رادكليف براون وفورترس والوظيفة الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية قد ارتبطت بالأنثروبولوجية التطورية والأيكولوجية.

وخلاصة ذلك نجد أن مالينوفسكي ربط الثقافة بكل جوانبها المادية والروحية بالاحتياجات الإنسانية فالثقافة في رأيه عبارة عن كيان

(١) لوسي ماير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٦١.

كلي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي، ومن خلال هذا التشابه بين الثقافة والكائن العضوي للإنسان في دراسة الدور أو الوظيفة التي يؤديهما كل عنصر ثقافي تمكن الباحث الأنثروبولوجي من اكتشاف ماهيته وضرورته، ولهذا ينظر مالمينوفسكي إلى مفهوم النظام الاجتماعي كمفهوم أساسي في تحليل الثقافة البدائية إلى عناصر جزئية تسهل معها الدراسة الوظيفية وفهم الطريقة التي تسير بها الأمور في المجتمع والتي تعمل على تماسكه واستمراره، فلنظام الاجتماعي هنا يعتبر نسق منظم وهادف لجهد وإنجاز إنساني^(١).

أما رادكليف براون فقد تأثر كثيراً بأعمال إميل دوركايم واختلف مع مالمينوفسكي في تفسيره للثقافة في إطار بيولوجي حيث اتجه إلى دراسة المجتمع وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً بنائياً وظيفياً وفكرة المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ووفقاً لذلك تصور أن المجتمع له تركيب أو بناء اجتماعي يتكون من الأفراد الذين يرتبطون بعضهم ببعض، وكل واحد منهم متماسك مع الآخر عن طريق علاقات اجتماعية مقررة.

ويرتبط استمرار هذا البناء بعملية الحياة ذاتها بمعنى أن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع معين هي التي تكون ذلك البناء وتحافظ عليه.

(١) السيد حنفي: علم الإنسان، ص ٨٦.

وفي رأي براون ١٩٥٢م أن البناء هو في الأساس بناء اجتماعي أو شبكة من النظم والعلاقات الاجتماعية التي تكون الإطار العام للمجتمع أما الوظيفة فهي طريقة إسهام تلك النظم والعلاقات الاجتماعية في أداء المجتمع لوظائفه أداءً مستقراً متناغماً وباعتبار هذا المجتمع كياناً كلياً يدعم بقاءه ذاتياً.

في الحقيقة أن تلك النظرية استاتيكية لا تاريخية تعبر عنها في تعريفه للبناء والوظيفة وعجز عن تفسير الصراع الداخلي أو عمليات التغيير الاجتماعي مما دعا الكثيرون فيما بعد لبذل الجهد من داخل الاتجاه الوظيفي البنائي نفسه لتطوير تلك المقولات ممن أصحاب نظرية الفعل الاجتماعي والأنثروبولوجيا الماركسية.

المدرسة السيكولوجية Psychological

إن تراكم لمعارف وتنامي الدراسات الأنثروبولوجية بالإضافة إلى تنوع مجالات الدراسة في علم الإنسان جعل الأنثروبولوجيين في سباق حول تجديد المنهجية البحثية وارتداد أدوات وصيغ تفسيرية وتحليلية لم تكن معتادة لديهم في الدراسات الكلاسيكية، ومن هذا المنطلق بدأ علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية منذ العقود الأولى للقرن العشرين بتدعيم دراستهم بتصورات حديثة يغلب عليها طرق التحليل والتفسير السيكولوجي وتلك كانت محاولة للاستفادة من نظريات علم النفس في مناقشة وطرح القضايا المتعلقة بعبادات الشعوب واختلاف مستويات السلالات في الانتقالات والعواطف والقدرة على التعلم والذكاء والتفاوت العنصري.

ويتمحور الاهتمام فب هذه المدرسة على دراسة علاقة الفرد بالثقافة والمجتمع وكذلك العلاقة بين علمي النفس والأنثروبولوجيا وبصفة عامة تتفرع مجالات الدراسة والاهتمام إلى نوعين من الدراسات يتمثل الأول في الدراسات ذات النمط المسمى بالدراسات التعميمية أو المسحية تلك التي تتناول موضوعات التنشئة الاجتماعية وأنماط الإعاشة، الإدراك، الفهم....الخ، وتتحصر مهمة تلك الدراسات هذه في الربط بين أنماط السلوك الإنساني هذه وعوامل أكثر عمومية قد تكون بيولوجية أو اجتماعية أو بيئية أو تاريخية أو متصلة بالبناء الاجتماعي، والنوع الثاني يتعلق بمحاولة فهم وتفسير المواقف الفردية والاجتماعية المركبة ويولى اهتماماً بدراسة الشخصية والتغير الثقافي، دراسة مفهوم الهوية، والدراسة المقارنة للتغير المرتبط بالنمو على امتداد دوره حياة الفرد^(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك الدراسات قد تأثرت بمقولات النسبية الثقافية ونظرية التشكيل ونظرية التفاعل، كما أن مدرسة الثقافة والشخصية تلك التي تعتبر باكورة الاهتمام المنظم في مجال الأنثروبولوجيا النفسية، قد سيطر عليها نظرية التحليل النفسي في دراسة الشخصية والنظرية السلوكية خاصة فيما يتعلق بدراسات الطابع القومي التي قام بها الأنثروبولوجيون.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٨.

وقد وضح في دراسات الأنثروبولوجيا الاهتمام بمفهوم الثقافة الشخصية والتي تعني الانطباع الفردي عن الثقافة الخاصة بفرد معين وقد تلازم الاهتمام بهذا المفهوم بعد أن ثبتت الدراسات أن مسألة الإجماع على القيم وتمائل المعتقدات والمعارف التي نادت بها النظرية الوظيفية الكلاسيكية لا تمثل تصويراً دقيقاً لواقع الثقافة وانطلاقاً من ذلك تأسست مقولات مؤداهها وجوب دراسة الجماعة البشرية في ضوء ما يتم من تفاعل ومفاوضة بين صور فردية كثيرة ومختلفة لتلك الثقافة وليس في ضوء ثقافة واخدة موحدة يشترك فيها كافة أفرادها^(١).

ومن الدراسات الشهيرة في هذا المجال محاولات ليفي برييل حيث أوضح أن هناك تمايزاً نوعياً بين عقلية الرجل البدائي والرجل المتمدين وبلور في إطار ذلك مفهوم العقلية البدائية باعتبارها لم تصل بعد في نضوجها إلى المرحلة المنطقية تلك التي تخضع فيها الفكر للقوانين الأساسية للتفكير كمبدأ الذاتية وعدم التناقض وذهب إلى الإنسان البدائي يسير في تفكيره وفقاً لقانون المشاركة حيث يعتقد أن صورة الأشياء لا تختلف عن حقائقها سواء كانت هذه الصورة منقوشة أو منحوتة فهي تكتسب نفس الخصائص التي تتميز بها الأشياء ذاتها وإذا كان وجود نظم وعادات وطقوس سحرية ومحركات لا تخضع لمنطق العقل أمر مسلم به إلا أن ذلك لا يعني أو يقيم دليل على أن العقلية البدائية تختلف اختلافاً

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٠.

نوعياً عن العقلية المتحضرة، فقد تكون المقولات العقلية والقيم الاجتماعية متفاوتة بين المجتمعات بتفاوت مستواها الحضاري وقد تبدو كثير من الأمور غريبة على عقولنا إلا أنها تكون منطقية إذا فسرت في إطار المستوى الثقافي وظروف المجتمع الذي تسود فيه^(١).

ويسوق الخشاب ما يدل به على فساد تلك المقولات في بعض الأمثلة حيث يشير إلى أنه إذا كان الإنسان البدائي يعتقد أنه يصاب بضرر إذا ما أصيب شعره أو ظفره بعد انفصاله عنه بسوء فلا يعني ذلك أنه يعتقد أن الجزء يساوي الكل، كما يدعى ليفي برييل ولكنه يعلل وقوع ضرر بالكل إذا أصيب الجزء المنفصل عن الكل بضرر، وقد يتصور الرجل البدائي قانون العلية على نحو مخالف لما يتصوره المتحضر مثلاً فقد يقرر أن شبح الميت أو روح شريرة هي التي تسبب المرض أو الوباء بينما يعلله المتمدين بالجراثيم والميكروبات والفيروس، وفي كلتا الحالتين تتخذ احتياطات وقاية فالعبرة بالوظيفة التي يؤديها والغاية التي ينشرها، والنتيجة التي يريها^(٢).

وتعد بندكت Benedict رائدة في مجال الدراسات الخاصة بالعلاقة بين الثقافة والشخصية تلك التي بنت تتمطيلها للثقافات على أنماط سيكولوجية وقد ذهبت إلى أن الثقافات المتكاملة هي نتاج للانتقاء التاريخي

(١) اليد حنفي عوض: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٩١ - ٩٣.

(٢) أحمد الخشاب: دراسات أنثروبولوجية، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

للعادات والقيم وفقاً لنمط الشخصية السائد، وترى في هذا الإطار أن الثقافة مثلها مثل الفرد عبارة عن نمط متسق من الفكر والفعل وفي داخل كل ثقافة تظهر أعراض مميزة لها وتتجه عناصر سلوكية غير متجانسة إلى اتخاذ أشكال متطابقة أكثر فأكثر ولا يمكن فهم الشكل الذي تتخذه هذه الأفعال إلا من خلال فهم البواعث العاطفية والفكرية الرئيسية للمجتمع إلا أن هذا النمط من الدراسات تعرض لانتقادات عنيفة بسبب وصف الثقافة بأنها تدوين واسع النطاق للشخصية^(١).

وقد خطت الدراسات الأنثروبولوجية النفسية تلك التي تركز على الشخصية والثقافة خطوة أخرى بفضل أعمال لينتون ١٩٥٤م وديبوا حول مفهوم الشخصية المتوالية للإشارة إلى التعبيرات السلوكية.

وقد تبني مقولات كاردينر النظرية حول الشخصية الأساسية والتي يرى فيها أن هذا النمط من الشخصية يؤدي دور الوسيط بين المؤسسات الأولية والثانوية في المجتمع وعليه فإن خصائص الشخصية الأساسية التي تتشكل من خلال أنماط التنشئة الاجتماعية والمعيشة تنعكس على المؤسسات الثانوية كالدين والسياسة... الخ^(٢).

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٣١١.

(٢) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٢.

ووفقاً لرأي هوارد تكمن مهمة الأنثروبولوجيا النفسية في معرفة كيفية تنظيم المواقف بواسطة المتغيرات والتي يطلق عليها المتغيرات الدائرة حول الشخص وتشمل الدوافع والإدراك والطباع المكتسبة وعلى الجانب الآخر تحاول تقديم إجابة على التساؤل الذي مؤداه كيف تعمل المتغيرات الثقافية على الثقافية على اختيار تلك المتغيرات الدائرة حول الشخص والتأثير فيها في الإطار الاجتماعي العام وفي مجال العلاقات النفسية بين الأفراد ويذهب في خلاصة رأيه حول هذا السياق إذا ما تم معرفة المشكلات على هذه الصورة فقد نستطيع تجنب مشكلات الحتمية الثقافية.

وتعتبر قضايا الطب النفسي السلالي من الموضوعات التي ارتادها الدارسين في مجال الأنثروبولوجيا النفسية وذلك لدراسة بعض الأعراض المرتبطة بثقافات معينة ومدى التنوع أو التماثل في أنماط وأعراض المرض العقلي في ثقافات مختلفة وقد أوضحت تلك الدراسات أن مضمون الأمراض النفسية ومسار الشخصي المريض نفسياً وتفسير مرضه يتباين تبايناً واسعاً ويعتمد أكبر الاعتماد على السياق الثقافي والاجتماعي، فإن ما يعد مرضاً عقلياً في إطار ثقافة معينة قد لا يعيره أحد الثقافات في ثقافة أخرى وفي ثقافة ثالثة يعد دليلاً على امتلاك هذا الشخص قوة روحية أو دينية خاصة.

وبالتالي فإن مضمون الأمراض العقلية وشكلها يعكس مضمون السلوك السوي وشكله في نفس الثقافة مع احتمال وجود أنواع نمطية من الخط والمبالغة^(١).

ونتيجة لظهور مناهج دقيقة اختلف تناول العلاقة بين الثقافة والشخصية حيث يتفق أغلب العلماء على أن الشخصية الفردية هي نتاج لتركيب معقد من الإمكانيات الخاصة بالنوع الإنساني والميول المزاجية الفردية وخبراتنا الاجتماعية والثقافية، وأوضحت الاتجاهات الحديثة مدركة لحقيقة أن الفرد لا يعيد إنتاج نموذج لثقافته في شخصيته وإنما يوجد تنوع كبير في أنماط الشخصية داخل الثقافة.

(١) شارلوت سيمور - سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٠.

الفصل الثامن

مناهج البحث الأنثروبولوجي والدراسات الحقلية

مناهج البحث الأنثروبولوجية والدراسات الحقلية

مفاهيم أساسية

يعتمد أي علم من العلوم الاجتماعية على ثلاثة عناصر أساسية والتي تتمثل في الموضوع بمعنى عدد وجود عدد من القضايا أو التساؤلات أو الموضوعات التي ينشغل بها المهتمين بالعلم وتميزه عن غيرها من العلوم الاجتماعية الأخرى ويتمثل العنصر الثاني في الهدف العام من دراسة تلك الموضوعات التي يختص بها دون غيره تلك الأهداف تتباين وفقاً للتخصصات المختلفة سواء كانت تهدف للوصف أم لها أهداف تفسيرية أو تتعدى ذلك بمحاولة اكتشاف القوانين التي تحكم في صياغة الظواهر الاجتماعية وبرغم هذا التباين إلا أن الهدف العام لتلك العلوم الاجتماعية ينحصر في دراسة السلوك الإنساني، وإن اقتسموا هذا السلوك وتخصص كل علم في أحد جوانبه ويتمثل العنصر الثالث في منهجية البحث الخاصة به، فبرغم أن العلوم الاجتماعية تكاد تشترك في إجراءات منهجية عامة للدراسة المنظمة للظواهر الاجتماعية إلا أن كل علم منها له طريقه ومناهجه التي تتباين بدرجات متفاوتة عن العلوم الأخرى.

والحقيقة أن أي علم من العلوم يعتمد في تقدمه على وجود منهج محدد واضح المعالم للبحث يساعد في التوصل إلى معرفة منظمة بجوانب الواقع حتى يعتمد الدارسين على هذه المعارف لبناء النظريات العلمية أو نقدها وإعادة تقييمها أو إضافة عناصر جديدة لتأتي أكثر تكاملاً وشمولاً وأكثر ملائمة لتفسير الواقع الإنساني المتغير.

ويرتبط الفهم الجيد لمنهجية البحث بل وإجراء البحوث بتقهم مضمون وطبيعة سلة المفهومات التي تستخدم ويتكرر استخدامها في سياق الحديث عن أساليب ومناهج البحث في الأنثروبولوجيا بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة، وسنحاول فيما يلي طرح بعض المفاهيم الضرورية وتقديم تعريفات أو تحديدات مبسطة لها.

البحث Research

ويقصد بالبحث تلك العملية التي تستهدف نقص عن الحقائق وتبويبها وتحليلها بالنسبة لمشكلة معينة لإظهار حقيقة المشكلة وأسبابها وما يناسبها من حلول وذلك بطريقة محايدة وغير متحيزة للمشكلة^(١) وعليه يفهم البحث بأنه العملية التي يتم من خلالها تقصي الوقائع بطريقة منظمة لتحقيق هدف من الأهداف.

وكثيراً ما يعرف البحث الاجتماعي بأنه الملاحظة المنظمة أو التسجيل المنظم للسلوك الإنساني الذي يمارس داخل الأنساق الاجتماعي وذلك من أجل تطوير نظريات اجتماعية جديدة تفسر هذا السلوك أو اختيار وتمحيص نظريات اجتماعية قائمة فعلاً^(٢).

(١) أحمد زكي: معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٥٦.

(٢) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ١٥.

المنهج Method

المنهج ترجمة للكلمة الإنجليزية Method استعملها أرسطو وأفلاطون بمعنى البحث واستخدمت منذ بداية عصر النهضة الأوروبية بمعنى جملة القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلوم، وتستخدم الآن وفقاً لرؤية بدوي لتشير إلى الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهمين على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة^(١) بصفة عامة يعني لفظ المنهج في اللغة الطريق إلى هدف ما وهذا يعني أن المنهج أسلوب لتنظيم النشاط الإنساني أما المنهج العلمي فهو تعبير يشير إلى مجموعة من القواعد العامة التي تحدد الإجراءات العملية والعمليات العقلية التي تتبع من أجل الوصول إلى الحقيقة فيما يتعلق بظواهر الكون الطبيعية الفيزيائية والبيولوجية والإنسانية والعلم في حالة تطور مستمر وكذلك المنهج العلمي^(٢).

والواقع أن المنهج وفقاً لمعناه المتداول في الدراسات المعاصرة لا يخرج عن كونه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة وكذلك البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق

(١) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، ص ٥.

(٢) سمير نعيم: محاضرات في المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، جامعة عين شمس، القاهرة.

وطرق اكتشافها، والمنهج بمعناه الواسع يعني مجموعة الأطر والإجراءات والخطوات التي وضعها الباحث عند دراسته لمشكلته أما المنهج بمعناه الضيق فينحصر في الإجابة على تساؤل مؤداه على مَن مِن شرائح المجتمع أو البشر سوف تجري الدراسة، فإذا كانت ستجري على كل البشر فيسمى بالمنهج المسحي، أما إذا كانت ستجري على مجموعة من البشر في الماضي البعيد أو القريب فيكون هو المنهج التاريخي، أما إذا أجريت الدراسة على مجموعتين من البشر أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية فيكون هو المنهج التجريبي، وإذا أجريت الدراسة على عينة محدودة مختارة من البشرية بقصد دراستهم دراسة متعمقة فإن المنهج هنا هو منهج دراسة الحالة^(١).

الأسلوب Approach

يستخدمها الباحث في دراسة ظاهرة ما ولكل علم أساليبه الخاصة به والتي تتفق مع طبيعة الظواهر التي يدرسها، كما أن كل ظاهرة قد يناسبها أسلوب معين لدراستها فأساليب البحث التي يستخدمها البيولوجي مثلاً تختلف عن تلك التي يلجأ إليها الباحث الاجتماعي.

(١) محمد شفيق: البحث العلمي، الخطوات المنهجية لأعداد البحوث العلمية، وكتابة التقرير، منشور.

وتعرف أحياناً على أنها الاتجاهات الفكرية حيث يقصد بهذا المصطلح في مناهج البحث الاتجاه الفكري نحو موضوع أو موقف ما، وقد يكون هذا الاتجاه موضوعياً ويكون بعيداً عن المصلحة الشخصية أو التحيز، وقد يكون الاتجاه ذاتياً ويكون متأثراً بالمصلحة الشخصية أو التحيز^(١).

الأداة Technique

كما هو معروف أن كل علم يستخدم أدوات مناسبة للظواهر التي يقوم بدراستها وملاحظتها ويستخدم مفهوم الأداة في العلوم الاجتماعية ليشير إلى الوسيلة التي تستخدم في البحث سواء أكانت تلك الوسائل متعلقة بجمع البيانات أو بعمليات التصنيف والجدولة والأدوات جميعها ليست سوى مساعدات لأعضاء الحس لدى الإنسان، فالميكروسكوب والترنومتر أدوات يستخدمها العلماء كمساعدات لحواسهم تساعدهم في إجراء الملاحظات الدقيقة للظواهر التي يدرسونها ومن هذا المنطلق يتلاحظ أن هناك ارتباط بين مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية بم؟ فإذا تساءلنا بم يجمع الباحث بياناته؟ فإن الإجابة تستلزم تحديد نوع الأداة اللازمة للبحث^(٢).

(١) أحمد زكي: معجم العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤.

(٢) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، الطبعة التاسعة، ١٩٨٥م، ص ٣٠٧.

ويستخدم الدارسين في العلوم الاجتماعية أدوات مختلفة مثل المقابلة والملاحظة بالمشاركة والإحصاءات ودراسة الحالة وتحليل الوثائق للحصول على ملاحظات وبيانات موضوعية ودقيقة وتجدر الإشارة هنا إلى اختيار الباحث للأداة أو الأدوات اللازمة لجمع البيانات يتوقف على عوامل كثيرة، وقد يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات وقد يكون في حاجة لأكثر من أداة أو وسيلة وهنا يجمع بين أداتين أو أكثر لجمع البيانات.

النظرية Theory

لا يوجد ثمة خلاف على أهمية النظرية العلمية حيث تحتل مكانة متميزة في ميادين البحث العلمي المتنوعة وهناك من يربط بين النظرية وتحديد هوية العلم وانطلاقاً من تلك الأهمية البالغة للنظرية الاجتماعية بالنسبة للبحث العلمي في هذا الميدان وعلم الأنثروبولوجيا بصفة خاصة حاول الرواد وكثير من المعاصرين تجديد معنى النظرية العلمية وشروطها ومكوناتها ووظائفها.

إن هناك ثمة حد أدنى من الاتفاق على أن النظرية عبارة عن نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة وتتضمن إطاراً تصورياً ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الواقع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى كما أنها ذات بعد إمبريقي بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته وذات توجيهه تبنؤي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية^(١).

(١) عبد الباسط عبد المعطي، عادل الهواري: في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦م، ص ١٣.

ويعرض عبد الباسط حسن لمجموعة من التعريفات التي تمثل الرؤى الشائعة والمتداولة في البحوث الاجتماعية حيث تعرف النظرية بأنها عبارة عن إطار فكري يفسر مجموعة من الحقائق العلمية ويضعها في نسق علمي مترابط كما تعرف أيضاً بأنها تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي وأيضاً بأنها مجموعة من القضايا التي ترتبط معاً بطريقة علمية منظمة والتي تعمل على تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات ويعرفها البعض أيضاً بأنها مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تكون رؤية منتظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف الظواهر والتنبؤ بها^(١).

وانطلاقاً من تلك التعريفات السابقة يستوجب بناء النظرية أن يتضمن بعض العناصر الهامة وفقاً لرؤية عبد الباسط حسن حيث يتحتم وجود إطار تصوري أو مجموعة من المفاهيم تتناول موضوع النظرية، ويميز في هذه الحالة بين المفاهيم الوصفية (مفهوم الانتحار والمفاهيم الواقعية (معدل الانتحار) كما يجب التحديد الإجرائي لكافة المفاهيم التي تتضمنها النظرية ليتمكن ربطها بالشواهد الأمبريقية، بالإضافة إلى ذلك يجب أن تشمل النظرية عدد من القضايا بحيث تقرر كل قضية علاقة معينة بين متغيرين على الأقل وأن تكون تلك القضايا مرتبة التشكل نسق استنتاجي بمعنى وضع المقدمات في البداية ثم الانتقال منها إلى النتائج، ويراعي عدم التناقض بين هذه القضايا بمعنى استنتاج كل قضية من القضية التي تسبقها.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٥٥.

وعليه يجب أن تكون النظرية قادرة على تفسير الوقائع التي تشمل عليها وكلما استطاعت النظرية تفسير قادراً أكبر من الوقائع زادت قوة و يقيناً.

ويمكن عرض أهم شروط النظرية العلمية كما تحددت في أغلب الدراسات الاجتماعية وفقاً للآتي^(١):

١- الوضوح: بمعنى ضرورة أن تكون مكونات النظرية واضحة ودقيقة محددة الألفاظ والمعاني والمضامين.

٢- الشمول: يجب أن تتضمن النظرية جميع الحقائق التي تنطوي عليها وأن تكون قادرة على تفسير أكبر عدد من الظواهر.

٣- التفرد: بمعنى أن تتفرد النظرية بتفسير الحقائق التي تشمل عليها حيث أن وجود نظرية تفسر نفس الحقائق التي تفسرها النظرية يضعف الأهمية العلمية للنظرية

٤- القدرة على التنبؤ: من الضروري أن تكون النظرية دور هام في التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة قبل حدوثها فإذا ظهر أن هذه التنبؤات صحيحة ازدادت قوة و يقيناً.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٥٢.

٥- الواقعية: بمعنى أن يكون للنظرية أرضية واقعية بحيث تعتمد في صوغها على ملاحظات ودراسات واقعية من ناحية وأن تكون قابلة للاختبار العلمي الذي يثريها ويكسبها مشروعيتها العلمية من ناحية أخرى^(١).

ووفقاً لما سبق طرحه تقوم النظرية العلمية بعدة وظائف رئيسية منها^(٢):

١- تساعد النظرية العلمية في تحديد قضايا وموضوعات العلم والتساؤلات الرئيسية التي تتدرج في ميادين الدراسة حيث يرى البعض أنه بدون النظرية العلمية تتداخل ميادين البحث وتتلاشى الحدود التي تفصلها بعضها عن بعض ولا يتحقق التراكم المعرفي حيث توجه النظرية العلمية تفكير الباحث ناحية الموضوعات والقضايا التي تشتمل عليها نظرية العقد الاجتماعي نظرية دارون.

٢- تقوم النظرية العلمية بتلخيص كثير من الحقائق العلمية وتصنيفها وإيجاد العلاقات بينها وعليه تكشف النظرية عن مدى القصور في المعارف العلمية حيث تشير إلى النواحي التي لم تبحث من قبل.

(١) عبد الباسط عبد المعطي: في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٤.
(٢) لمزيد من التفاصيل حول أهمية ووظائف النظرية العلمية، راجع عبد الباسط حسن، أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥ - ٥٦.

٣- تطرح النظرية العلمية العديد من المفاهيم والمصطلحات العلمية التي لا غنى عنها تلك التي تساعد على نمو وتقدم العلوم حيث أن كل مفهوم يتضمن خبرة اجتماعية وعلمية طويلة وهي بمثابة تلخيص لكثير من الحقائق التي تشتمل عليها النظرية العلمية.

٤- إن القدرة التنبؤية للنظرية العلمية لما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة تساعد على الانتقال من الحالات المألوفة إلى الحالات المجهولة أو الحالات المتشابهة.

٥- تحقق الاستفادة العلمية حيث يستطيع الإنسان بمساعدة النظرية العلمية أن يتحكم في ظواهر الطبيعة المختلفة ويوجهها لخدمة الإنسانية ويتنبأ بالمشكلات قبل حدوثها ويضع أحسن الحلول لمواجهتها.

الدراسة الحقلية Field Work Study

إن تراث الدراسات العلمية في الأنثروبولوجيا يظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك إشكالية منهجية في هذا العلم تفوق مثيلتها في جميع العلوم الاجتماعية وتلك التي تكمن في الأهمية البالغة للدراسات الحقلية في صياغة تحليلات الباحث وتفسيراته العلمية للمجتمعات التي يتناولها بالدراسة حيث لا يمكن للباحث أن يستنتج أشياء ذات قيمة دون الاعتماد على دراساته الحقلية أو تحليلات لدراسات قام بها باحثون آخرون.

تجدر الإشارة هنا إلى أهمية تقديم تعريف يحدد طبيعة الدراسة الحقلية وتعرف الدراسة الحقلية بأنها دراسة الناس وثقافتهم في مكان إقامتهم الطبيعي وتميز الدراسة الأنثروبولوجية الحقلية بإقامة الباحث لفترة طويلة في المجتمع موضوع الدراسة وملاحظ سلوك أعضائه ومشاركتهم مختلف نواحي نشاطهم ومحاولة فهم وجهة نظرهم الخاصة وتحقيق النظرية الكلية الشاملة التي يعتنقها المتخصص في العلوم الاجتماعية^(١).

إذا كانت البداية الأولى للدراسات الأنثروبولوجية حول المساق التطوري المفترض للثقافة الإنسانية وكذلك الأسباب التي أدت إلى ظهور الاختلافات بين المجتمعات قد اعتمد على الدراسات المكتبية وما توفر من أعمال الرحالة إلا إنه بمرور الوقت أدرك الأنثروبولوجيون أنه إذا ما أرادوا صياغة نظريات علمية فإنهم بحاجة ماسة للحصول على وصف دقيق وكامل للثقافات في كل جزء من أجزاء العالم وعليه ظهرت حتمية الاعتماد على الدراسة الحقلية لتحقيق هذا الهدف على أسس ومنطلقات مبنية على الواقع الثقافي لتجارب بني الإنسان أياً كانوا.

ومع تنامي واتساع مجالات وميادين الدراسة في علم الأنثروبولوجيا والتحول من الموضوعات التقليدية إلى موضوعات أخرى كثيرة متشعبة ومتنوعة ظهرت حتمية أخرى تتمثل في ضرورة تطوير أدوات بحثها ومفاهيمها الخاصة وترتيباً بدأت مراجعة كفاءة الأدوات التقليدية في بحث أنماط المجتمعات والثقافات والقضايا الحديثة.

(١) سليمان نجم خلف: كيف يجمع علماء الإنسان مادتهم في علم الإنسان، جامعة الإمارات، ١٩٩٥م، ص ٣٩.

وقد أوضح في هذا السياق أيزنشتات أن المفاهيم التقليدية التي كان الأنثروبولوجيون يستخدمونها غير كافية لدراسة المجتمعات الحديثة حيث ظهرت مفاهيم جديدة كان لها أثرها على إثراء وتطوير البحث الأنثروبولوجي مثل مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية ومفهوم الحقل الاجتماعي ومفهوم التنظيم الاجتماعي والذي استخدم ليشير إلى الاختلاف بين البناء الاجتماعي وبين سلوك الأفراد الذي يظهر داخل هذا البناء^(١).

وإذا سلمنا بأن الدراسة العقلية لا غنى عنها بالنسبة للأنثروبولوجيون فإن تساؤلاً حول استغراق الدراسة العقلية فترات طويلة وما أهمية الوقت في ذلك يفرض نفسه؟ حيث يقضي غالبية الدارسين في دراستهم العقلية فترة زمنية لا تقل عن سنة وقد تصل إلى سنوات وهناك من يجد نفسه مضطراً للعودة في زيارات لاحقة ومتكررة إلى المجتمع ذاته ويمكن القول في هذا الصدد أن هنالك أسباب منطقية وراء طول الفترة نشير إلى بعض منها^(٢):

١- ضرورة مشاهدة تنوع النشاط الاقتصادية والاجتماعية وهي تتغير وتتوالى عبر فصول السنة حتى الوصف الاثنوجرافي شاملاً قدر الإمكان كافة جوانب الحياة في المجتمع المحلي الذي اختاره الباحث.

(1) S.N Eisenschadt: Anthropological studies of complex, Noemlier 1967, p43.

(٢) نقلاً عن السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

٢- إن ثمة سبب يتعلق بطبيعة الأداة المستخدمة حيث أن طريقة الملاحظة بالمشاركة تتطلب وعليه فإن الدراسة الحقلية يقصد بها البحوث التي يقوم بها الأنثروبولوجي أو الإثنولوجي في منطقة أو في مجتمع محلي، وفي الأنثروبولوجيا المعاصرة لم تعد هذه المنطقة الاثنوجرافية مقصورة بالضرورة على المجتمع المحلي التقليدي القبلي أو القروي بل يمكن أن تغطي دراسات للمجتمعات الحضرية أو الصناعة أو غيرها التي يختارها الأنثروبولوجي لدراستها دراسة مركزة، كما استخدم نفس الاتجاه الأنثروبولوجي في دراسة الثقافات الفرعية وفي إجراء البحوث على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث.

تكرار الملاحظات وتنوعها عبر وقائع وأحداث وفترات متباينة

زمانياً.

٣- تقف لغة مجتمع البحث أمام الإنجاز السريع حيث يجب على الباحث تعلم لغة المجتمع المحلية ولهجته بمستوى يؤهله لإجراء المحادثة والمقابلات مع الناس وتلك عملية تستغرق وقت طويلاً.

٤- تتوقف قيمة المعلومات والوصف الاثنوجرافي الذي يحصل عليه الباحث على مستوى الثقة وعلاقات التفاهم بينه وبين أبناء المجتمع إلا أن بناء الثقة وعلاقات إنسانية والمحافظة عليها نسبياً تتطلب وقتاً طويلاً وتحتاج مثابرة.

٥- قد لا تسير الأمور وفق ما خطه الباحث وطبيعي أن يكون حدوث مشكلات أو مواقف طارئة أمر واد جداً ويتوقعه الباحثين فقد يتعرض الباحث الأنثروبولوجي في أحيان كثيرة لما يسمى بالصدمة الثقافية عند دخوله للمجتمع الغريب لأول مرة وقد يمر بحالات إحباط بسبب الوحدة أو عدم قدرته على تحقيق اندماج سريع مع أبناء المجتمع وتحتاج تلك المواقف التي يتعرض لها الباحث سعة من الوقت لمجابتها أو تخطيها والتكيف معها بطرق تتلاءم وأحوال المجتمع وظروف الدراسة بشكل عام.

٦- من الإشكاليات التي تصادف الباحث وجود انقسام وانشقاقات داخل المجتمع المحلي وحل تلك الإشكاليات ليس باليسير ويجد نفسه مضطراً بالاقصرار على علاقة مكثفة مع واحد أو اثنين من الإخباريين أو الأسر وعليه سيضطر الباحث في ضوء تلك الظروف إلى أن ينحاز إلى جانب دون آخر حتى ولو كان ذلك عكس رغبته.

٧- في كثير من المجتمعات ينظر إلى الأنثروبولوجيا الغربية عموماً على إنها شكل من أشكال التجسس أو إنها مجرد وصف للعناصر الفلكلورية والعادات الغريبة ويعتقد أن ذلك يكرس صورة مزيفة تماماً لواقعهم القومي والمشكلات الحقيقية لجماعة الأقلية التي يمثلونها ويتعلق بتلك القضية ما يعانیه الأنثروبولوجيون من سوء السمعة والسبب بعض مظاهر السلوك اللاأخلاقي وقد وجهت إليهم في كثير من الأحيان

انتقادات بعدم التزامهم باطلاع الجامعات الوطنية على نتائج بحوثهم ويتهم الأنثروبولوجي أحياناً من بعض المجتمعات المحلية الفقيرة باستغلاله للمجتمع المحلي في تحقيق أهدافه البحثية وتحسين ظروفه الفردية دون تطلعات السكان المحليين واحتياجاتهم الأساسية في الاعتبار.

٨- يمثل نوع وجنس الباحث الأنثروبولوجي في بعض الأحيان معوقاً أو ميسراً لمهمة الدراسة العقلية ويمكن القول أن درجة تفضيل الباحث الأنثروبولوجي رجل أو امرأة يحددها طبيعة موضوع البحث أو مشكلة الدراسة ونوع المجتمع الذي سيكون مجالاً للبحث والقضايا أو التساؤلات الفرعية المتصلة بمشكلة البحث.

٩- وهناك بعض الدارسين ما يضع طبيعة التوجه الأيديولوجي للباحث وطبيعة انتمائه العقائدي والفكري والقيمي والسياسي وانتماءاته بصفة عامة على أولوية القضايا التي يتأثر بها العمل الحقلية في الدراسات الأنثروبولوجية ويكثر الجدل حول مدى تأثير الجهة التي يعمل الأنثروبولوجي لحسابها حيث يعتقد أن انتماء الباحث لجهة عمل تكون محدداً هاماً في صياغة تلك النتائج بما يخدم أهداف تلك المؤسسة ويتوقف ذلك على مدى تحرر الباحث الأنثروبولوجي من تلك القيود والضوابط المؤسسية.

مبادئ تعتمد عليها الدراسة الحقلية

هناك عدد من المسلمات والمبادئ تتطلق منها الدراسة الحقلية وقد جاءت متضمنة في كتابات الأنثروبولوجيين خاصة الأمريكية روبرت إدجرتن ولويس لانجنس ويمكن استعراض بعض من تلك المسلمات الأساسية فيما يلي^(١):

١- أولى تلك المسلمات هو الاعتقاد بأن أفضل أداة لدراسة الثقافات الغريبة علينا وفهمها هي فكر الإنسان ومشاعره وعواطفه ويبرر ذلك المبدأ بأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي هياً بطريقة مثلى لفهم أبناء نوعه وكذلك قدرته على فهم رموز الحياة الثقافية ومعانيها المختلفة ورغم استخدام العديد من الوسائل لجمع المادة العلمية بطرق إحصائية مختلفة إلا أنه يظل الإنسان هو القادر على تفسير الرموز الثقافية المعقدة وقيلم الأنثروبولوجي بالملاحظة بالمشاركة تحقق ذلك الهدف.

٢- ويأتي ثاني تلك المبادئ مرتبطاً بفكرة وجوب النظر إلى ثقافة مجتمع ما من خلال منظور أهلها مضافاً لذلك منظور الملاحظ العلمي وفي هذا السياق يجب على الباحث الغربي عدم استخدام مقاييس الفكر والآراء الخاصة بثقافته على الثقافات الأخرى وأن يتم فهم حياة الناس كما يفهمها أصحابها أنفسهم وليس كما يحول لنا نحن الغرباء فهمها أو

(١) سليمان نجم خلف: كيف يجمع علماء الإنسان مادتهم العلمية، مرجع سبق ذكره، ص ١٩، ٢٠.

تصورها، لذا تتطلب رؤية الحياة الثقافية كما يراها أهلها أ يندمج الباحث مع مجتمع البحث وأن يكون قادراً على الإحساس بتجاربه الإنسانية وخصوصيته الثقافية.

٣- ويتمحور المبدأ الثالث حول فكرة المنظور الكلي التكاملي ويعني دراسة ثقافة مجتمع ما على إنها كل متكامل ومتربط وعدم النظر إلى أشكال السلوك الثقافي على أنها أجزاء منفصلة ومتناثرة عن إطارها الذي تقع داخله وترتكز فكرة هذا المبدأ على التزام الأنثروبولوجي بتقديم تفسير طبيعي للسلوك الإنساني ويقصد بفكرة الطبيعي هنا هو أن ننظر إلى السلوك الإنساني في الإطار الذي يحدث فيه هذا السلوك بصورة طبيعية أي كجزء من حياة مستمرة لمجتمع ما بدلاً من أن يكون جزءاً خاصاً لتجربة في المختبر.

خطوات الدراسة الحقلية

١- اختيار منطقة الدراسة: أكدت خبرة الدراسات الأنثروبولوجية على أنه أصبح من المسلم به الآن أن تجري الدراسة الميدانية أو الحقلية على مجتمع محلي صغير محدود العدد وذلك حتى يتمكن الباحث أو فريق البحث أن يغطي جميع جوانب الحياة منه في خلال فترة زمنية معقولة، وإذا كان الاتفاق على أن ترتبط المادة التي يجمعها الباحث بمجتمع محلي محدود إلا أن اختيار منطقة الدراسة أو المجتمع المعني بالدراسة تختلف وتتباين وفقاً لنوع البحث وطبيعة المشكلة

التي يقوم بدراستها واهتمامات الباحث والمشرفين عليه والجهة التي تتولى التمويل وتنتظر نتائجها.

٢- **الإعداد البيليوجرافي:** إن الإعداد البيليوجرافي السليم والذي يسبق كتابة مشروع البحث يجب أن يشمل قراءة كل ما يتصل بمنقطة الدراسة مثل البحوث والدراسات العلمية المنهجية التي أجريت على هذا المجتمع أو المنطقة التي وقع عليها الاختيار بالإضافة إلى التقارير والنشرات والملاحظات التي تتعرض لهذا المجتمع، وفي هذا السياق يتعين على الباحث الاطلاع على الخطوط الأساسية والاتجاهات العامة للبحث في الموضوع الذي يكون الباحث بصدد دراسته بجانب الإلمام الكافي باتجاهات البحث الراهنة في ميدان البحث خاصة ما يتعلق بالنظريات السوسولوجية والنفسية^(١).

٣- **كتابة مشروع البحث أو وضع خطة الدراسة:** حيث تتضمن تحديد أهداف الدراسة ومجالات الدراسة زمانياً ومكانياً وبشرياً وتوزيع خطة العمل على مراحل زمنية مع الاستعانة برأي الخبراء الأنثروبولوجيون المهتمين بموضوع أو تساؤلات البحث ووفقاً لرؤية محمد الجوهري على الباحث أن يجيب على التساؤلات الأساسية التالية:

- ما هو الشيء الذي يعترم الباحث عمله على وجه التحديد؟

(١) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة، ١٩٩٥م، ص ٤٧٢.

- كيف ينوي إنجاز هذا البحث؟
- ما هي الدراسات السابقة التي تم إنجازها من قبل بالنسبة للموضوع المراد دراسته وتلك التي أجريت بوجه خاص على المجتمع الذي يرغب في دراسته؟

- ما هي الميزانية التقديرية لإتمام البحث؟

- ما هو الإطار الزمني اللازم لإنجاز البحث؟

٤- إعداد ميزانية البحث: وإن كانت بنود ميزانية البحوث الأنثروبولوجية تختلف في حجمها وفقاً لهدفه ومكانه وبالتالي تختلف الميزانية إذا كان المجتمع المحلي في الداخل عنه إذا كان البحث سوف يجري على مجتمعات محلية في ثقافات خارجية بعيدة أو قريبة ورغم ضرورة أن تتضمن إعداد الميزانية الوضوح والدقة والشمول إلا أن هناك أهمية لأن تتصف بالمرونة في تقدير بنود الميزانية وأن يكون الاختلاف عن الواقع في حدود ٢٠٪ بين أعلى وأدنى تقدير وأن تراعي ما قد يطرأ على الأسعار من تقلبات أو ما قد يطرأ على تغيير خطة البحث وفي كل الحالات يجب أن تتضمن الميزانية البنود التالية^(١):

• نفقات السفر من وإلى منطقة البحث.

(١) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي، المرجع السابق، ص ٤٧٧.

- التنقلات الداخلية في الإقليم خاصة في حالة ضرورة إجراء مقارنات بين مجتمعات محلية داخل الإقليم.
- مصاريف الإقامة (السكن أو الفنادق).
- الهدايا في بعض الظروف الاضطرارية.
- تكاليف المعدات (الأجهزة) نفسها كآلات التصوير وأجهزة التسجيل... الخ، والمواد كالأقلام والشرائط والورق والأقلام والخرائط والبطاقات التي ستدون عليها مادة البحث.
- نثرات كنفقات البريد والبرق والتليفون والمواد الطبية... الخ.

٥- وضع الترتيبات الرسمية والحصول على تصريح رسمي بإجراء الدراسة: خاصة إذا كان المجتمع في منطقة غريبة عن الباحث ويرتبط بهذا الإجراء الاتصال بالقيادات الرسمية وطلب مساعدتهم وتقديم العون وتسهيل مأموريته في أمور ومواقف مثل الإقامة، والإعاشة والانتقالات، وفي هذا السياق يجب على الباحث تحديد بعض الأشخاص للاستعانة بهم كإخباريين من أهالي المجتمع الذي ينوي دراسته وذلك لمساعدته في فهم ثقافة المجتمع ورموزها وتفسير جوانبها في المواقف الاجتماعية لارتباطها بالسياق الثقافي للمجتمع ككل.

٦- فتح قنوات الاتصال بالمعاهد أو المؤسسات العلمية القريبة من مجتمع البحث: فقد يمكنه الاستفادة منها أو يترتب على هذا الاتصال تحقيق نوع من التعاون العلمي الوثيق بين ممثلي هذه الهيئة والباحث وقد يعود عليه ذلك بالفائدة في بحثه وعمله بالمستقبل.

٧- يجب على الباحث أن يتخذ العديد من التدابير بعد الوصول إلى مجتمع البحث في إطارها يكسب ود وثقة السكان فعليه مثلاً ألا يتجاوز السلطات والزعامات المحلية وأن يعلن عن مهمته بطريقة سليمة وكافية وعليه أن يتصل ويضع ضمن اهتماماته في البداية الجماعة التي يعتبرها المجتمع أفضل ناس ويتخذ من بينهم إخبارية وأن يوسع دائرة معارفه ومخاطبيه وأنه لا يقتصر على فئة معينة بشكل زائد^(١).

٨- على الباحث أن يتعلم اللغة السائدة بالمجتمع الذي حدده مجالاً لدراسته وعليه أن يتفهم المعاني الحقيقية لمفرداتها فاللغة هي أداة التواصل الإنساني ولا يستطيع الباحث إدراك حقيقة الثقافة السائدة إلا إذا أدرك حقيقة رموزها من خلال اللغة^(٢) بالإضافة إلى ذلك تسهل عملية الإلمام الجيد باللغة فتح قنوات الاتصال المختلفة مع أبناء المجتمع وإخباريه وتسهل بناء الثقة والتفاهم بين الباحث ومصادر بياناته الأصلية.

(١) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: المرجع السابق، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٢) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.

٩- من الضروري أن يقوم الباحث باختيار وحدة الدراسة داخل المجتمع المحلي الذي يقوم بدراسته وقد يحدث اعتراض لهذا الاختيار من السلطات المحلية أو الزعامات المحلية بحجة عدم تمثيل القبيلة أو الجزء المختار للمجتمع بدعوة تخلفها عن المناطق الأخرى وفي هذه الحالة يجب على الباحث التعبير عن وجهة نظره باللياقة والحياسة وبيان أهمية هذا الاختيار بالنسبة لهدف البحث.

١٠- ضرورة الإعلام الكافي والجيد عن مهمة الباحث وأن يتسم أسلوبه في الإعلام عن طبيعة مهمته بالدقة والصدق والصراحة وأن ذلك يجعله يكسب تأييد المواطنين لمهمته وعلى الباحث أن يكون واضحاً في الإعلام عن الوسائل التي سيستخدمها في الدراسة، ومن الأهمية أن يتجنب إعطاء وعود من أي نوع من أعمال إصلاحات وتغييرات في الأمور التي يسأل عنها أو يوليها اهتمامه.

١١- هناك مشكلات كثيرة تصادف الباحث من ميادين الأنثروبولوجيا خاصة في الأيام الأولى التي يقضيها في المجتمع المحلي الذي يوليه بالدراسة منها مبالغة أبناء المجتمع المحلي في الضيافة مما يعطل وقته وجهده أو يصر البعض على طرح أحاديث خارجه عن موضوع الدراسة وقد يسيء الظن بالباحث فيعتقد أنه ممثل لبعض الأجهزة كالضرائب أو أنه جاسوس أو محاولة إخفاء الحقائق أو فرض معلومات بعينها على الباحث^(١).

(١) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٨٧:

١٢- ضرورة وضع خريطة تفصيلية للمجتمع تشمل حصر الأسر المقيمة فيه ومعرفة قوائم النسب وعلاقات المصاهرة والعلاقات القرابية والعادات والتقاليد والقيم والأعراف والسنن الاجتماعية السائدة ودراسة التركيب السكاني والثقافة المادية المنتشرة في المجتمع والتي تشمل الملابس والمأكل والمسكن والآلات والأدوات والمعدات والتكنولوجيا ويؤدي ذلك إلى فهم الباحث الأنثروبولوجي لطبيعة شبكة البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية التي يتكون منها نسيج المجتمع^(١).

١٣- بالرغم من أن إيقاع يوم العمل بالنسبة للباحث يتوقف على نوع الدراسة التي يريها سواء كانت شاملة للثقافة التقليدية للمجتمع أو تكون متخصصة لأحد جوانب تلك الدراسة وكذلك يتحدد طبيعة عمله في ضوء إيقاع يوم العمل بالنسبة لأبناء المجتمع أنفسهم ساعات استيقاظهم وعملهم ولهوهم ونومهم وعليه أن يراعي مواسم الفراغ ومواعيد الراحة بالنسبة للفلاحين مثلاً إذا كان مجتمع ريفي ومواعيد الأعياد الدورية والموائد والمناسبات التي يتعود المجتمع الاحتفال بها، وعليه الالتزام بخطة وهدف البحث الذي يجريه ولا ينساق وراء المعلومات حول الفروع التي قد لا تتصل بموضوعه المباشر^(٢).

(١) السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.

(٢) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩٢.

١٤- تعتبر عملية التسجيل بأنماطه المختلفة أهم أساليب الباحث الأنثروبولوجي في الدراسة الحقلية وعليه أن يستخدم كافة أنماط التسجيل المتاحة له مثل أجهزة التسجيل الصوتي في حوار مع مبحوثيه ويستخدم التصوير الفوتوغرافي لتسجيل أنماط وأشكال التغيير الثقافي والاجتماعي في المجتمع، الاستعانة بالخرائط المساحية التي يمكن الحصول عليها أو يقوم هو نفسه بعمل خرائط كروكية لتوضيح الموقع الجغرافي لمجتمع البحث وموارده البيئية والاقتصادية والبشرية المختلفة وكثافة السكان وتوزيع الخدمات المتاحة.

أدوات البحث في المنهج الأنثروبولوجي

المقابلة Interview

الباحث الأنثروبولوجي الميداني يجري مقابلات مع أفراد المجتمع الذي يقوم بدراسته ليحصل على معلومات معينة حول بعض الأحداث أو أنماط السلوك الإنساني المختلفة أو للتعرف على أنماط التفكير ونظرة أبناء المجتمع تجاه بعضهم البعض بمعنى آخر فإن الباحث الأنثروبولوجي يقوم بإجراء المقابلات للحصول على أية مادة إثنوجرافية تفيد البحث أو تلقي الضوء على أحد جوانبه.

والمقابلة وسيلة هامة من وسائل جمع المعلومات والبيانات وينتشر استخدام المقابلة في البحوث الاجتماعية حينما تكون البيانات المطلوبة لها صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم نحو موضوع معين وكذلك بالنسبة للمواقف التي يصعب الحصول على بيانات عنها بطريق الملاحظة كالمواقف الماضية والمستقبلية، وتعتمد المقابلة على التقرير الذاتي اللفظي للفرد عن سلوكه وعن المؤثرات التي يتعرض لها وعليه يتوقف نجاح الباحث في الحصول على بيانات يحتاجها على مدى فهمه للمواقف التي يفضل استخدام تلك الوسيلة فيها والقواعد التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الاستمارة التي تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة^(١).

وبالرغم من أن المقابلة تستخدم في أغراض كثيرة ويختلف الهدف منها وفقاً للمجال الذي تستخدم فيه إلا أن الأسس التي تقوم عليها والشروط التي ينبغي أن تتوفر في استخدامها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع المقابلات.

وتعرف المقابلة وفقاً لمحمد الجوهري كأداة بحث عبارة عن حوار لفظي وجهاً لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين^(٢) وانطلاقاً من هذا التعريف تتكون المقابلة من الباحث القائم بالمقابلة والمبحوثين والرسالة أو الموضوع الخاص الذي تدور حوله المقابلة.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٥.

(٢) محمد الجوهري وآخرون: دراسة علم الاجتماع، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٢م، ص ١٦٥.

وقد حدد بنجهاز طبيعة المقابلة ووضع لها تعريفاً مؤداه إنها
المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة
لذاتها^(١) ويتضمن هذا التعريف عنصرين يتمثل الأول في أن المحادثة بين
شخصين أو أكثر في مواقف مواجهة ولا يعتبر الكلمة هي آلية الاتصال
الوحيدة بل يعتبر الصوت وتعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات
والسلوك العام مكمل للكلمة في عملية الاتصال، ويتمثل العنصر الثاني في
توجيه المحادثة نحو هدف معين ووضوح هذا الهدف هو شرط أساسي
لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

وعلى الجانب الآخر يعرف إنجلش المقابلة بأنها محادثة موجهة
يقوم بها شخص مع شخص أو أشخاص آخرين هدفها استثارة أنواع معينة
من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو للاستعانة بها في التوجيه
والتشخيص والعلاج^(٢) وقد لا يختلف هذا التعريف عن سابقه إلا أنه يتميز
في تحديده للأهداف الأساسية للمقابلة وهي:-

١- جمع الحقائق لغرض البحث

٢- الاستفادة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج

(١) والتر بنجهايم وآخرون: سيكولوجية المقابلة، ترجمة فاروق عبد القادر وعزت إسماعيل، دار
النهضة العربية، ١٩٦١م، ص ٥.

(٢) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣١.

ووفقاً لما تتضمنه التعريفات المشار إليها يمكن تحديد أهم

السمات الجوهرية للمقابلة في الآتي:

- ١- التبادل اللفظي الذي يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث وما قد يرتبط بذلك التبادل اللفظي من استخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام.
- ٢- المواجهة بين الباحث والمبحوث.
- ٣- توجيه المقابلة نحو غرض واضح محدد وبذلك تختلف عن الحديث العادي الذي قد لا يهدف إلى تحقيق غرض معين.

أهمية واستخدامات المقابلة

- ١- تسهم المقابلة في المراحل الأولى من البحث في الكشف عن الأبعاد العامة للمشكلة وفي تنمية الفروض وكذلك في إلقاء الضوء على الإطارات المرجعية لاستجابات أفراد التجربة
- ٢- تكتسب المقابلة أهمية كبرى في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة حيث يقوم الباحث بقراءة وتوجيه الأسئلة بنفسه وكذلك تتميز بالمرونة حيث يمكن للباحث شرح ما قد يكون غامضاً على المبحوثين من أسئلة وتتيح المقابلة فرصة التعمق في فهم الموقف الكلي وملاحظة سلوك المبحوث وتساعد الباحث على الكشف عن التناقض في الإجابة ومراجعة المبحوث في تفسير أسباب التناقض.

٣- من خلال أداة المقابلة يمكن للباحث توجيه أسئلة إضافية ويحصل على إجابات وافية ويمكن أيضاً من توجيه الأسئلة بالترتيب والتسلسل الذي يرغب فيه وقد يحصل الباحث على تلك الاستجابات مع ضمان عدم تأثير المبحوث بآراء غيره من الناس ويضمن الباحث أيضاً أنه سيحصل على إجابات لجميع الأسئلة.

٤- ومع تلك الاستخدامات والتي تجعل من المقابلة أداة مميزة في جميع البيانات من الميدان إلا أن المقابلة عليها بعض المآخذ خاصة إذا لم يتم الإعداد لها جيداً وإذا لم يحسن الباحث إدارتها ومن تلك المآخذ ما يتمثل في تعرض النتائج إلى أخطاء التحيز الشخصي في التقدير أو التفسير كما أنها تتأثر بالاستجابات الانفعالية لأطراف المقابلة وتعتبر المقابلة من الأدوات المكلفة حيث تحتاج لعدد كبير من جامعي البيانات المدربين تدريباً جيداً وقد يتخرج المبحوث من ذكر بعض البيانات الشخصية للباحث^(١).

أنواع المقابلات

تنقسم المقابلة إلى عدة أنماط متميزة ومتباينة في الاستخدامات والأهمية وفقاً لموضوع الدراسة وطبيعة مجتمع البحث فإذا نظر لهذا التقسيم في سياق الغرض أو الهدف من إجراء تلك المقابلات فيمكن تقسيم

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٤.

المقابلة لثلاثة أنواع يتمثل النوع الأول في مقابلة لجمع البيانات وغالباً ما تكون تلك البيانات من النوع الذي يصعب الحصول عليه بأداة أخرى حيث تكون البيانات متعلقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم واتجاهاتهم ويمثل النوع الثاني ما يطلق عليه بالمقابلات التشخيصية وتستخدم في تشخيص حالات العملاء من المرضى وذو المشكلات، والنوع الثالث يطلق عليه المقابلات العلاجية ويهدف إلى رسم خطة لعلاج العميل وتخفيف حدة التوتر لديه.

أما إذا وضع معيار عدد المبحوثين في الاعتبار فيمكن تقسيم المقابلات إلى نمطين فقط يطلق على الأول المقابلات الفردية والنوع الثاني يسمى بالمقابلات الجماعية.

ويستخدم النمط الأخير في كثير من البحوث الاجتماعية لتوفير الوقت والجهد والحصول على معلومات أوفر ومع ذلك يجب ألا يكون حجم الجماعة كبيراً وأن تكون متجانسة إلى حد كبير.

ويمكن تقسيم المقابلات إلى أنماط وفقاً لدرجة المرونة في موقف المقابلة إلى ثلاث أنواع وهي: المقابلة المقننة والمقابلة غير المقننة والمقابلة البؤرية ويعتبر هذا التقسيم هو الأكثر شيوعاً وأن تلك الأنماط هي الأكثر استخداماً في البحوث الاجتماعية خاصة علم الأنثروبولوجيا وسنحاول الإشارة إلى أهم سمات تلك الأنماط.

١ - المقابلة المقننة Standardized interview

في هذا النمط من المقابلات المقننة يتحدد شكل ومضمون المقابلة بقدر الإمكان قبل القيام بها حيث يتم تحديد الأسئلة وترتيبها وأن توجه الأسئلة بنفس الكلمات وبنفس الترتيب ويهدف تقنين الأسئلة إلى أن الأفراد يستجيبون لنفس المثير أو المنبه.

٢ - المقابلة الحرة Free- Interview

هذا النمط من المقابلات يتميز بالمرونة حيث تترك مساحة كافية بالتعمق في الحصول على معلومات متعلقة بالمبحوث والموقف الذي تدور حوله المقابلة ويستخدم هذا النوع في الدراسات الأنثروبولوجية حيث تسمح للمبحوث بالإفصاح عن آرائه واتجاهاته وانفعالاته ومشاعره ورغباته ولهذا السبب فهي تستخدم بكثرة في التعرف على تقييم المبحوث للأمور وتلقي الضوء بطبيعة الحال على السياق الشخصي والاجتماعي لمعتقداته ومشاعره إلا أن هذا النوع يتطلب تلقائية وتعمق من المبحوث.

٣ - المقابلة البؤرية Focused interview

ووفقاً لرؤية عبد الباسط حسن يقصد بذلك النمط من المقابلات الذي يركز على خبرة معينة مر بها المبحوث والآثار المترتبة على هذه الخبرة فقد يكون هناك موقف معين أو مجموعة مواقف اشترك فيها المبحوثين (رؤية مسرحية، قراءة رواية معينة) وعليه يقوم الباحث بتحليل

المواقف تحليلاً مبدئياً للوقوف على عناصرها وتحديد بعض الفروض المؤقتة، و ثم يحدد الموضوعات التي يرغب في دراستها ويعد دليلاً للمقابلة يتضمن الجوانب الرئيسية التي سبق تحديدها دون أن يتضمن تحديداً دقيقاً للأسئلة لأن أسلوب السؤال وتوقيته يترك لتقدير القائم بالمقابلة، وفي هذه الحالة تساعد استجابات المبحوثين على اختبار الفروض، كما أن الاستجابات غير المتوقعة تؤدي إلى فروض جديدة يمكن إخضاعها للبحث العلمي المنظم^(١).

إجراء المقابلة

إن نجاح المقابلة يتوقف إلى حد كبير على مهارة القائم بها ومدى فهمه لدوافع السلوك ومقدار وعيه بمختلف العوامل التي يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفاً سلبياً من الباحث أو إلى إعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق والثبات وكما يذهب الجوهري في هذا السياق فإن المقابلة فن يحتاج إلى مهارة وخبرة ومران وتدريب يكتسبها الباحث عن طريق الممارسة العملية بالنزل للميدان والاحتكام بجمهور البحث والقدرة على النفاذ إلى دوافع السلوك ومكونات الشخصية وأساليب الاتصال والتأثير وأنواع العلاقات الاجتماعية ويمكن الإشارة لبعض القواعد التي يجب أن يلتزم بها الباحث^(٢):

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٢: ٣٣٨.

(٢) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص

١ - استشارة دوافع المبحوث للاستجابة

لاشك أن درجة الاستعداد للاستجابة تختلف باختلاف الدور الذي يقوم به الباحث وباختلاف المجتمع الذي يجري فيه البحث ونوع الثقافة السائدة فيه والواقع أن المبحوث يواجهه شخصاً غريباً عنه لا تربطه به صلة سابقة ويطلب إليه إن يدل ببيانات قد تكون متصلة بشئون حياته الخاصة وقد تكون من النوع الذي يحتاج إلى السرية أو ما يرتبط بتقاليد خاصة راسخة لديه، ولذلك تتوقف كثير من عوامل نجاح المقابلة على الباحث ومدى فهمه للأشخاص الذين يواجههم ونوع العلاقة التي يستطيع أن يكونها معهم والانطباع الذي يتركه في نفوسهم ولا بد أن يحاول الباحث كسب ثقة المبحوثين بمقدمة مختصرة توضح لهم أن البيانات المطلوبة سرية ولن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي وينبغي عليه أن يقدم ما يثبت شخصيته إذا ما طلب منه ذلك.

٢ - تهيئة جو المقابلة وتخصيص الوقت المناسب

من الإجراءات الهامة لإنجاح المقابلة هو تخصيص الوقت المناسب مع تهيئة المكان والظروف المناسبة ويقتضي الأمر في كثير من الأحيان أن تكون المقابلة مقصورة على كل من الباحث والمبحوث لأن وجود أفراد آخرين قد يثير مخاوف المبحوث ويدفعه إلى العدول عن أقواله كما أن إشاعة جو من التقبل وعدم الكلفة يؤدي إلى عدم ظهور توترات نفسية لدى المبحوث وإلى تحرره من الخوف والقلق وهناك بعض النصائح التي تقوم في هذا السياق منها:

- حدد موعد المقابلة مع المبحوثين قبل القيام بها
- خصص الوقت الكافي للمقابلة واجعل المبحوث يشعر بأنك متفرغ لمقابلته
- دعه المبحوث يتخذ الجلسة المريحة قبل البدء في الأسئلة
- تجنب إجهاد المبحوث بكل الوسائل الممكنة

٣- كيفية إدارة وتوجيه الأسئلة

في كل الحالات يجب على الباحث أن يدير المناقشة بمرونة وبطريقة تثير اهتمام المبحوث مع الوضع في الاعتبار أن يكون التدرج في توجيه الأسئلة متمشياً مع تدرج العلاقة الودية التي تنشأ بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وعلى الباحث أن يتدرب على طريقة طرح الأسئلة وأن يعرف بدقة ترتيبها المنطقي ويجب أن يمنح الباحث المبحوث الفرصة الكامنة التي تجعله يعطي أفكاره وإجابته دون أن يستحثه على التأنى أو الإسراع في الإجابة وعلى الباحث عدم توجيه أكثر من سؤال في وقت واحد حتى يستطيع المبحوث استجماع أفكاره وتنظيم إجابته، ويجب أن توجه الأسئلة بلغة سهلة وبطريقة يفهمها المبحوث، وفي كل الحالات يجب على الباحث أن يظل ممسكاً بزمام المناقشة يوجهها إلى الناحية التي تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما يشاء.

٤ - استكمال المعلومات الناقصة

يجب أن يحصل الباحث على إجابات عن جميع الأسئلة واستكمال المعلومات الناقصة والتي يرى أنها ضرورية للبحث وأن يعرف العوامل التي تدفع المبحوث لعدم الإجابة عن بعض الأسئلة فقد يكون غير قادر على التعبير أو أن السؤال غير واضح وعلى الباحث أن يتصرف في كل موقف بما يناسبه، ومن المهم أن يتجنب الباحث الإيحاء إلى المبحوث بإجابات معينة وأن يصغي جيداً لكل ما يقوله وأن يعطيه الفرصة الكاملة ليقول كل ما يريده بالصورة التي يريدها دون أن يخرج عن الموضوع، وفي ذات الوقت يجب ألا يظهر الباحث استنكار لما يقوله المبحوث أو يصدر عليه أحكاماً خلقية فوظيفته الحصول على معلومات فقط دون أن يقف منه موقف الناقد أو المحقق أو الواعظ، ومن الأهمية بمكان أيضاً أن يلاحظ الباحث الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمبحوثين أثناء إجراء المقابلة ومطابقتها بما يحصل عليه من إجابات وكذلك ملاحظة سلوك المبحوثين أثناء توجيه الأسئلة وتلقي الإجابة.

٥ - تسجيل إجابات المبحوثين أثناء المقابلة

إن عدم تدوين إجابات المبحوثين أثناء المقابلة يؤدي إلى نسيان كثير من المعلومات وتشويه كثير من الحقائق وعليه يجب ألا تؤجل عملية تسجيل إجابات المبحوثين لما بعد المقابلة.

وقد يؤدي تسجيل إجابات المبحوثين إحساسهم بجدية الموقف فيجعلهم يهتمون بالإجابة ويمكن استخدام المقابلة للمساعدة في عمليات التسجيل أو استخدام أجهزة التسجيل لتسجيل كل ما يقوله المبحوث.

الملاحظة

يذهب البعض إلى أن الملاحظة عبارة عن حصر الانتباه نحو شيء ما للتعرف عليه وفهمه وهي وسيلة من وسائل جمع البيانات في البحوث الاجتماعية والملاحظة التي نقصدها هي تلك الملاحظة العلمية والتي يقوم فيها العقل بنصيب كبير في ملاحظة الظواهر وتفسيرها وإيجاد العلاقات القائمة بينها هذا بالإضافة إلى أن الملاحظة العلمية لا تقتصر على مجرد الحواس بل تستعين بأدوات علمية دقيقة للقياس ضماناً لدقة النتائج وموضوعيتها من ناحية وتقادياً لقصور الحواس من ناحية أخرى^(١).

والملاحظة كوسيلة لجمع البيانات تفيد في جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء وتفيد كذلك في جمع البيانات في المواقف التي يبدي فيها المبحوثين مقاومة ويرفضون الإجابة على الأسئلة، وتستخدم كذلك في البحوث الوصفية والكشفية والتجريبية وتحتل البيانات التي يتم تجميعها عن طريق الملاحظة أهمية وخصوصية متميزة.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٨.

إلا أن الملاحظة الدقيقة ليست هيئة أو يسيره فهناك كثير من العوامل التي تتداخل وتعوق الملاحظة المنظمة وعليه يجب على الباحث أن يتدرب جيداً على الملاحظة حتى يستطيع الحصول على بيانات علمية بالمعنى الدقيق وعلى الباحث أن يحدد من البداية:-

١- الوقائع التي يجب ملاحظتها

٢- كيفية تسجيل الملاحظة

٣- الإجراءات التي يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظة

٤- نوع العلاقة التي يجب أن تقو بين الملاحظ والوقائع الملاحظة وكيفية تكوين هذه العلاقة ووفقاً لما سبق يمكن القول أن الملاحظة العلمية بما تتميز به من خصائص تصبح مصدراً أساسياً من مصادر الحصول على بيانات بل أن البعض ذهب على حد اعتبارها منهجاً مستقلاً من مناهج البحث العلمي

أنواع الملاحظة

تجدر الإشارة إلى أن الموقف الذي يحيط بالباحث الحقلية سواء في الأنثروبولوجيا أو في العلوم الاجتماعية بصفة عامة بالغ التعقيد ويختلف كلية عنه في العلوم الطبيعية والموقف في الملاحظة بصفة عامة يتكون أساساً من أربعة عناصر والتي لا تخرج عن الآتي^(١):

- القائم بالملاحظة

(١) محمد الجوهري وآخرون: دراسة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

- الظاهرة التي يعمل الباحث على ملاحظتها
- المعلومات التي يسعى الباحث الحصول عليها
- دور القائم بالملاحظة

إلا أن هناك تفاعل شديد بين كل هذه العناصر وعليه يجب على الباحث أن يحدد نوع المعلومات التي توجد في المجتمع والتي يحتاج إلى اكتسابها وأن يحدد الدور الاجتماعي الذي سيقوم به كملاحظ للحصول على هذه المعلومات من الناس في مجتمع البحث ومن هذا المنطلق نجد أن هناك أنماط متعددة للملاحظة، فهناك فارق بين الملاحظة السريعة السطحية التي يقدم بها الإنسان في ظروف الحياة العادية وبين الملاحظة العلمية التي تمثل محاولة منهجية وتؤدي وفق إجراءات علمية محددة للكشف عن تفاصيل الظواهر والعلاقات التي توجد بين عناصرها، ووفقاً لذلك يمكن التمييز بين الملاحظة بدون مشاركة والملاحظة بالمشاركة والملاحظة المنظمة أو ما يطلق عليها التجريبية وفيما يلي سنحاول طرح دلالة تلك المفاهيم.

أ- الملاحظة بدون مشاركة **Observation without participation**

تعتبر الملاحظة بدون مشاركة أحد أنماط الملاحظة البسيطة حيث يقصد بالملاحظة البسيطة ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائياً في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي وبغير أدوات دقيقة للقياس

ويستخدم هذا النوع من الملاحظة في التعرف على ظواهر الحياة المحيطة، وتستخدم في البحوث الاجتماعية غالباً في الدراسات الاستطلاعية لجمع البيانات الأولية عن جماعة معينة من الناس في بيئة معينة وتحت ظروف معينة من حيث أوجه نشاطهم وطرق معيشتهم كدراسة أوجه النشاط التي يمارسها طلبة مدرسة معينة أو أنواع العلاقات التي تقوم بين جماعة من العمال في أحد المصانع^(١).

ويقصد بالملاحظة بدون مشاركة تلك النمط من الملاحظة الذي يقوم الباحث فيها بالملاحظة دون أن يشترك في أي نشاط تقوم بها الجماعة التي يعمد ملاحظة سلوكها الاجتماعي ويتميز هذا النوع في أنه يهيئ للباحث فرصة ملاحظة السلوك الاجتماعي الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية وذلك كما يحدث في مواقف الحياة الواقعة

ب- الملاحظة بالمشاركة Participant Observation

ويتم هذا النوع بوجود الملاحظة اشترك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومساهماتهم في أوجه النشاط الذي يقومون به لفترة مؤقتة وهي فترة الملاحظة ويعيش الباحث الذي يقوم بالملاحظة مع الأشخاص المطلوب ملاحظتهم لفترة زمنية طويلة نسبياً قد تمتد إلى ما يقارب من العام وذلك للتعمق في فهم خصائصهم الاجتماعية والثقافية والسلوكية والاقتصادية.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣١١.

والملاحظة بالمشاركة طريقة منهجية في البحث الأنثروبولوجي وتستخدم استخداماً مكثفهاً ولكنها ترتبط في الحقيقة بأعمال ماليفوفسكي ١٩٢٢م حتى أصبحت في الدراسات المعاصرة عنصراً أساسياً خاصة في الدراسات الميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ويذهب ماليفوفسكي إلى ضرورة إطالة الفترات الزمنية للدراسة الحقلية لكي تتاح للأنثروبولوجي الحقلية فرصة الاندماج في الحياة اليومية لأبناء مجتمع البحث حتى يقلل من تأثيره وجوده وتدخله إلى أدنى حد ممكن، وأن يتوصل إلى فهم كامل للمعاني الثقافية والإحاطة بالبناء الاجتماعي للجماعة وما يسوده من علاقات وظيفية متداخلة ومتبادلة بين العادات والمعتقدات التي قد تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة ومستعصية على التفسير، وتجدر الإشارة إلى أن الملاحظة بالمشاركة عنصراً رئيسياً في البحث الأنثروبولوجي المعاصر لأن نوع البيانات والمادة الأنثروجرافية وعمق النظرة التي تتوصل إليها من خلالها بالإضافة إلى القدرة التفسيرية الفائقة يصعب أن توفرها الطرق والأدوات الأخرى للبحث، ومع ذلك فقد حدث اهتمام متزايد في الدراسات الأنثروبولوجية بتطوير أساليب الملاحظة بالمشاركة وتزويدها بمناهج بحث أكثر دقة وانضباطاً^(١).

(١) شارلوت سيمورت سميث: موسوعة علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ٦٥٠.

وتستخدم الملاحظة بالمشاركة في دراسة المجتمعات المحلية الصغيرة والثابتة والمجتمعات البدائية وثقافات وأحياء من مدن ومصانع وجماعات ذات أنواع مختلفة وعلى الباحث الحقلية أن يبتعد عن التحيز لفئة من الفئات أو عقيدة أو أيديولوجية معينة ويستلزم على الباحث أن تكون الطريقة التي يقدم بها نفسه لأفراد الجماعة مقبولة، ومن الضروري أن يحدد الباحث منذ البداية درجة المشاركة التي يتطلبها البحث، وهناك آراء كثيرة تذهب بعدم مشاركة الباحث في نشاط المجتمع مشاركة كاملة حتى يستطيع أن يجمع البيانات المتعلقة بالبحث من أفراد الجماعة على اختلاف أوضاعهم ومستوياتهم^(١).

وكثيراً ما يطلق بعض الباحثين على الملاحظة العلمية اسم الملاحظة المنظمة حيث تختلف عن الملاحظات البسيطة في مستوى الضبط العلمي والتحديد الدقيق لإجراءاتها فالملاحظة المنظمة كما يعرفها عبد الباسط حسن هي تلك النمط الذي يخضع للضبط العلمي سواء كان ذلك بالنسبة للباحث أو بالنسبة للأفراد أو للموقف الذي تجري فيه الملاحظة، كما إنها تنحصر في موضوعات محددة سلفاً وتقتصر على إجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التي وضعها الباحث، وتستخدم كثيراً من الدراسات الوصفية والدراسات التي تختبر فروضاً سببية وتتم الملاحظة المنظمة أما في مواقف طبيعية بالنسبة لمجتمع البحث وذلك بنزول الباحث

(١) محمد الجوهري وآخرون: دراسة علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٥.

بنفسه إلى حيث تجري الظاهرة التي يدرسها على طبيعتها أو بملاحظة الظاهرة في جو المعمل الصناعي إلا أنه كلما كان الموقف طبيعياً كانت النتائج أدق لأن كثير من الظواهر يتغير إذا لوحظ في جو المعمل الصناعي.

ج- الملاحظة التجريبية **Experimental observation**

تجدر الإشارة إلى وجود صعوبات بالغة تعترض الملاحظة بالمشاركة والمنظمة وذلك لسببين أولهما: الموقف الاجتماعي أو الظاهرة التي يقوم الباحث بملاحظتها لا يمكن التحكم فيها ولا الإحاطة بالظروف المحيطة بها.

وثانيهما: أن الموقف أو الظواهر موضوع الدراسة والملاحظة ليست من البساطة حتى يمكن الإحاطة بجمع جوانبها بسهولة ولكنها عادة معقدة، ويحاول الباحثين التغلب على هاتين الصعوبتين بالسيطرة على الأوجه المختلفة للظاهرة والتخلص من بعض العوامل التي قد تؤثر على خط سيرها في طورها الطبيعي حتى تكون الملاحظة مركزة على السلوك أو التفاعل موضوع الدراسة فقط ووفقاً لظروف الباحث بإعدادها في تجربة.

موضوعات الملاحظات

ينزل الباحث الحقلي في الأنثروبولوجيا لمجتمع البحث ولديه قائمة طويلة من الموضوعات التي يجب أن يولها اهتمامه ويدون

ملاحظاته عليها بكل دقة ففي الدراسات الاستطلاعية يستعين الباحث بالملاحظة البسيطة وفي هذه الحالة تتسم موضوعاتها بالمرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق، حيث يتجه الباحث في البداية لجمع أكبر قدر من المعلومات وذلك عن طريق ملاحظة جميع الظروف المحيطة بالظاهرة ثم يتجه إلى قصر الملاحظة على المواقف التي تبرز أهميتها لموضوع دراسته، وفي كل الحالات تتحدد الملاحظة إلى حد كبير بمشكلة الدراسة والموقف الاجتماعي الذي يحيط بها والذي يتضمن^(١):

١- المشتركون من هم وعليه يجب أن يسجل البيانات المتعلقة بهم من حيث السن والجنس ووضع الفرد ومكانته في المجتمع وأدواره التي يقوم بها، طبيعة الجماعة وعدد المشاركين...الخ.

٢- المكان: نوع المكان الذي يحدث فيه الموقف وأي أنواع السلوك تناسب المكان؟

٣- الهدف: أي الغرض الذي يجمع الأفراد في هذا المكان وما هي أهداف التجمع؟

وكيف يستجيب الأفراد للهدف وهل تتوافق أم تتعارض أهداف

الجماعة؟

٤- سلوك الأفراد الاجتماعي: ماذا يفعل المشتركين وكيف يتصرفون ومع

من وبأي الأساليب؟

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٤، ٣١٨.

٥- النظام وتواتر الموقف: متى حدث هذا الموقف وما المدة التي استغرقها؟ وهل هو موقف اجتماعي عادي متكرر أو موقف فردي وما درجة تواتر المواقف؟ وما الظروف التي تساعد على حدوثه؟

الوسائل المستخدمة في الملاحظة العلمية

يستعان في الملاحظة العلمية بعدد من الإجراءات والوسائل حتى يمكن الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الدقة العلمية ومن هذه الوسائل التسجيل والمذكرات التفصيلية والخرائط واستمارات البحث وسنحاول الإشارة إلى تلك الوسائل فيما يلي:

١- **التسجيل:** تتفق أغلب الدراسات في العلوم الاجتماعية على التسجيل في نفس الوقت الذي تجري فيه الملاحظة حتى تقل احتمالات التحيز وضماناً لعدم النسيان أو أن تضيع بعض تفصيلات الأمور من الذاكرة أو تحرف ورغم اعتراض البعض على التسجيل أثناء الملاحظة إلا أنه في بعض الحالات التي يخشى من تشتت انتباه الباحث أثناء الملاحظة فيمكن الاكتفاء بكتابة بعض الكلمات أو النقاط الرئيسية على بطاقة خاصة معدة لهذا الغرض وفي حالات التسجيل التفصيلي يجب مراعاة الآتي:-

- التسجيل الزمني للحوادث أي ترتيبها لزمن حدوثها
- تنظيم البيانات أو المادة في موضوعات أو فئات معينة

- عدم الخلط بين الحوادث التي لاحظها الباحث وبين التفسيرات الشخصية حتى لا تخلط الحقائق الموضوعية بالجوانب الذاتية
- يفضل العمل الفرقي أي أكثر من ملاحظة يستخدمون نفس الطريقة ويتم مقارنة ما تم تدوينه واستبعاد ما لا يتفق عليه
- الاهتمام بتسجيل جميع التفاصيل حتى لا تفقد الأحداث دلالتها وتصبح من الأمور العادية الروتينية
- العناية بتحليل الملاحظات أول بأول
- يجب عرض البيانات التي سجلها الباحث على أفراد يهتمهم موضوع الدراسة وأن تتم الاستفادة بما يبدونه من ملاحظات في تعديل موقف الملاحظة

٢- المذكرات التفصيلية

يفضل في الملاحظة العلمية تدوين وقائع الملاحظة في مذكرات وافية تتضمن دقائق وجوانب الموقف الاجتماعي حتى يمكن في إطار تلك المذكرات فهم الظواهر والوقوف على العلاقات القائمة بين أجزائها كما يمكن الاستعانة بها في مواقف مشابهة.

٣- الصور الفوتوغرافية

تستخدم الصور الفوتوغرافية في الدراسات الحقلية لتحديد جوانب الموقف الاجتماعي كما يبدو في صورته الحقيقية لا كما يبدو أمام الباحث ويفيد ذلك في تسجيل جميع التفاصيل المتعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة والتي يغيب بعضها عن ذهن الباحث، كما تفيد الصور أيضاً في توضيح مدى التغير الذي يطرأ على حياة الأفراد والجماعات ومثال ذلك التقاط صور تبين طرق العمل ونظام المعيشة ووسائل قضاء وقت الفراغ وأنواع العلاقات القائمة بين الأفراد وشكل المساكن....الخ.

٤- الخرائط

حيث توضح الخرائط العلاقة بين البيئة الجغرافية وبين التنظيمات الاجتماعية القائمة بالمجتمع وموضوع الدراسة وكذلك توضح توزيع السكان بالنسبة للموارد الطبيعية وأماكن التجمعات السكانية وتوزيع المؤسسات الاجتماعية والخدمات.

٥- استمارة البحث

يمكن تصميم استمارة بحث بحيث تحتوي وحداتها على العناصر الرئيسية والنوعية للظاهرة التي تخضع للملاحظة حيث تهيئ للباحثين فرصة استيفاء البيانات المتعلقة بهذه العناصر دون غيرها بطريقة موحدة.

٦- مقاييس التقدير

وتستخدم مقاييس التقدير في تسجيل المواقف الاجتماعية بطريقة كمية فإذا أراد الباحث مثلاً أن يسجل درجة مساهمة كل عضو من أعضاء الجماعة في المناقشة العامة فإنه يستطيع أن يستخدم مقياساً للتقدير من حيث يقيم درجات ورتب متدرجة من الصفر إلى أي درجة يحددها الباحث.

٧- المقاييس السوسيوومترية

باعتبارها وسيلة توضح في بساطة وبمساعدة الرسم التكوين الكامل للعلاقات الكائنة في وقت محدود بين أفراد جماعة خاصة

دراسة الحالة Case- study method

يطلق على منهج دراسة الحالة أحياناً المونوجرافيا تلك التي تعني وصف موضوع واحد مفرد أي القيام بدراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة ومستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة.

ويذهب أحمد زكي إلى أنها المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فرداً أو مؤسسة أو نطاقاً اجتماعياً أو مجتمعياً محلياً أو مجتمعاً عاماً، وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة معينة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها.

وفي السياق ذاته يذهب شارلوت سيمور إلى أن دراسة الحالة عبارة عن تسجيل مفصل لخبرة فرد أو سلسلة من الأحداث التي تظهر في إطار محدد مثل تاريخ نزاع معين بالنسبة الميدان الأنثروبولوجيا القانونية أو تاريخ مريض معين ووصف أو جماعة بالنسبة للأنثروبولوجيا الطبية أو وصف لدورة الحياة، وقد استخدمت كثيراً وبشكل منظم في ميدان الأنثروبولوجيا القانونية.

وتتفق أغلب التعريفات على أن منهج دراسة الحالة هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فرداً أو مؤسسة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً عاماً ينهض على الدراسة المتعمقة لمرحلة أو جميع مراحل الوحدة وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد العناصر الأساسية للمنهج فيما يلي^(١):

١- أنه ليس من الضروري أن تكون الحالة جماعة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً فقد تكون فرداً.

٢- إن الوحدة الصغيرة قد تكون جزءاً من حالة في إحدى الدراسات بينما تكون حالة قائمة بذاتها في دراسة أخرى فإذا كان المقصود دراسة المجتمع المحلي فإنه يكون بمثابة الحالة بينما تصبح الأنظمة الاجتماعية والجماعات المكونة للمجتمع المحلي وكذلك الأفراد بمثابة أجزاء أو مواقف داخلية في تكوين الحالة.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤١.

٣- يقوم المنهج على أساس التعمق في دراسة الوحدات المختلفة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي أو الظاهري للموقف.

٤- يهدف المنهج إما إلى تحديد مختلف العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة.

الحقيقة أن دراسة الحالة تشتمل على تقارير وصفية حول أمثلة نمطية أو إرشادية أو شاذة ووصف للممارسات الجيدة في البحوث التطبيقية وتقويم للسياسات بعد تنفيذها في مؤسسة ما، وتلك الدراسات التي تركز على الحالات المتطرفة أو الاستراتيجية والاختبار الصارم لفرض محدد بدقة من خلال الاختبار الدقيق لحالات متناقضة ودراسات التجارب الطبيعية وقد تستخدم أدوات متنوعة في ذلك مثل الملاحظة بأنماطها المختلفة والمقابلات وتحليل الأدلة والوثائق.... الخ^(١).

ويرجع شيوع استخدام دراسة الحالة لأفكار نظيرة الجشطالت والذي دعت للاهتمام بالموقف الكلية الذي يتفاعل فيه الكائن الحي باعتباره جزء من الموقف لا ينفصل عنه وأن الجزئيات مجرد مظهراً من مظاهر الحقيقة الكلية ولا يكون لها معنى إلا إذا نظر إليها من حيث علاقتها

(١) جوردين مارشال: موسوعة علم الاجتماع، الجزء الثاني، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المشروع القوي للترجمة، ط ٢٠٠٠م، ص ٧٢٠.

بالكل الذي يحتويها ويكثر استخدام منهج دراسة الحالة في الحالات التالية^(١):

١- حينما يريد الباحث أن يدرس المواقف المختلفة دراسة تفصيلية في مجالها الاجتماعي ومحيطها الثقافي بما تشمله من عادات وتقاليد وقيم وآراء وأفكار واتجاهات سائدة.

٢- حينما يريد الباحث أن يدرس التاريخ التطوري لشيء أو شخص أو موقف معين.

٣- حينما يريد الباحث أن يتوصل إلى معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص ما ودراسة حاجاته الاجتماعية واهتماماته ودوافعه على أن ينظر إلى الفرد باعتباره عضواً في الجماعة التي يعيش فيها ويتفاعل معها في إطار ثقافتها الكلية.

٤- حينما يرغب الباحث في الحصول على حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعي أو في التوصل إلى معرفة العوامل المتشابكة التي يمكن استخدامها في وصف وتحليل العمليات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد نتيجة لحدوث التفاعل بينهم كالتعاون والتنافس والتوافق والتكيف.

(١) عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

ويستخدم منهج دراسة الحالة في علم الأنثروبولوجيا غالباً لدراسة المجتمعات المحلية الصغيرة وبالتالي يكون منهج دراسة الحالة هنا هو الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن مجتمع محلي معين بحيث تساعد هذه البيانات على تكوين صورة واضحة عن الحياة في داخل المجتمع ككل، وقد ينصب مجال الدراسة على نسق أو نظام واحد من أنظمة المجتمع أو يشمل عدة أنظمة وقد يشمل جميع الأنظمة القائمة في المجتمع ليتمكن الباحث من الوصول إلى مزيد من الدقة والفهم.

وينبغي في تلك الدراسات أن يحدد الباحث مشكلة الدراسة تحديداً دقيقاً وأن يجعلها على درجة كبيرة من الوضوح وأن يحدد المجتمع المحلي خاصة أنه ليست هناك حدود واضحة المعالم تفصل بين مجتمع وآخر حيث إن الفواصل بين المجتمعات ليس لها وجود واقعي ملموس نتيجة للتفاعلات الاجتماعية المتبادلة بين المجتمعات كما يجب على الباحث أن يتأكد من وجود الإحصاءات والبيانات والمصادر التاريخية التي تعطي صورة واضحة عن المجتمع وخصائصه وتطوره وأن يفكر في أهم الصعوبات التي قد تعترض سير البحث وكيفية مواجهتها كما يجب تحديد الطريقة المناسبة لجمع البيانات.

أدوات أخرى في البحث الحقلّي

لقد كان التركيز على طريقة جمع المادة الأنثروبولوجية من خلال الملاحظة بالمشاركة قد تم صياغتها لتلائم دراسة المجتمعات القبلية الصغيرة المتجانسة والمعزولة نسبياً حيث يصعب فيها على الباحث تجنب العلاقات المباشرة بالناس إلا أن تنوع وتباين الاهتمامات الأنثروبولوجية المعاصرة حيث اتجه إلى نماذج مجتمعية وثقافية مختلفة بأحجامها ومستويات تنظيمها وتركيبها ترتب عليه ظهور مشكلات بحثية جديدة وطرق وأدوات جديدة، تلك التي تعتبر مكملة لطريقة الملاحظة بالمشاركة وأهم هذه الأساليب والأدوات البحثية التي يلجأ الأنثروبولوجيون إليها تبعاً لمتطلبات موضوعاتهم البحثية هي:

- البيانات والمسوح الإحصائية

- المعلومات الخاصة بعلاقات النسب والقرابة

- سيرة الحياة

- الإخباريون

١- البيانات والمسوح الإحصائية

يجب على الباحث أن يسعى للحصول على بيانات إحصائية متنوعة حول المجتمع الذي اختاره لدراسته الحقلية وتتضمن تلك الإحصائيات في الغالب على عدد السكان وعدد البيوت أو العائلات

ومعدل حجم الأسرة والنسب العمرية للسكان وملكية الأراضي والحيوانات (تقريباً) أي كل البيانات التي تعطي القارئ فكرة واقعية عن المجتمع موضوع الدراسة، وهذا الأسلوب شائع الاستخدام كأسلوب مكمل في الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، ومع تزايد الاهتمام بالوصف الإحصائي الكمي للظواهر الاجتماعية واستخداماته في الأنثروبولوجيا حدث تحول في توجهات الأنثروبولوجيا وقضاياها فقد تبلور على سبيل المثال إمكانية الاستفادة من الوصف الإحصائي في دراسة التاريخ التطوري التقليدي للظواهر والمشكلات السائدة في المجتمع وكذلك تزايد الاهتمام بدراسة التغير الاجتماعي والثقافي، والاهتمام بمجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع^(١).

٢- سيرة الحياة Life History

يعتبر تاريخ الحياة والذي يركز على حياة الأشخاص أداة مساعدة في الأنثروبولوجية ويشجع استخدامها في الدراسات الأنثروبولوجية للوقوف على البيانات البيوجرافية الخاصة بسير حياة الأفراد وغالباً ما تستخدم لتأكيد الوجود الواقعي للاتجاهات والنظريات العلمية الاجتماعية أو لتوضيحها ويعتمد الحصول على هذا النوع من المعلومات أصلاً على وجود علاقة ثقة متبادلة أو صداقة بين كل من الباحث والإخباري (المبحوث) ابن المجتمع المحلي.

(١) سيد عفيفي: علم الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص ١١٣.

ويجب على الباحث أن يكون حريصاً على توجيه مقابلاته في هذا الغرض حتى لا يكون انسياب المعلومات منصباً في شعاب واتجاهات متباعدة ويكون في هذه الحالة محدود الفائدة في إلقاء الضوء على الموضوعات التحليلية والنظرية التي قد يكون حددها الأنثروبولوجي في دراسته.

وإستخدام سير الحياة مثل أي اتجاه اثولوجرافي لآخر قد يؤدي إلى عرض الأحداث بطريقة انتقائية محرفة أو مشوهة للأحداث والسلوكيات.

وفي كل الحالات لا تخرج تلك الأداة عن كونها تعطي وصفاً كاملاً لحياة الفرد بوصف وتحليل شخصيته وطريقة سلوكه وبيئته ويتضمن التاريخ التطوري للفرد منذ نشأته واستجابات الفرد المختلفة للمؤثرات التي مرت به منذ بداية حياته والتي كان لها أثر في تكوين قيمة واتجاهاته، كما يتضمن أيضاً فلسفة الفرد في الحياة والخبرات التي اكتسبها وأنواع الأزمات النفسية والعقلية التي أثرت في بناء شخصيته ويساعد ذلك الباحث على فهم ثقافة المجتمع الذي يوليه الاهتمام وكذلك بنائه الاجتماعي.

٣- المعلومات الخاصة بدراسة النسب والقرابة

ابتكر الأنثروبولوجيون أنماط متعددة رمزية ورسوم توضيحية (جينالوجية) يستخدمها الأنثروبولوجي في الدراسات العقلية لتوثيق علاقات

النسب وتحديدها بشكل دقيق وتلك العملية تطلب إجراء مقابلات مع أفراد المجتمع وخاصة كبار السن لمعرفة خبراتهم ومثل هذه الموضوعات.

وتمثل العلاقات القرابية والقيم المصاحبة لها نظاماً أيديولوجياً عاماً يؤثر في جوانب كثيرة في حياة الأفراد والجماعات في المجتمعات القبلية عامة والمجتمعات البسيطة أو البدائية بصورة خاصة ولأنها تؤثر بدرجة كبيرة في مسائل الزواج والمصاهرة وأشكال التكاتف السياسي وتنوعه وعمليات الإنتاج والتبادل وغير ذلك من المناشط الاجتماعية فإن الأنثروبولوجي يجد نفسه ملزماً للتعرف على هوية الجماعات القرابية وتحديد أصول هذه الجماعات وفروعها ومعرفة الأحداث التاريخية المحلية التي تكون قد أثرت في حجم هذه الجماعات وهجراتها حتى يتسنى له أن يقدم صورة تحليلية موضوعية ومكتملة بجوانبها وأبعادها المختلفة^(١).

٤ - الإخباريون Informants

من الأدوات التي يستخدمها الأنثروبولوجي في الدراسات الحقلية الاستعانة بالإخباري وهم أفراد من مجتمع البحث الذي تتم دراسته ويمد الإخباري الأنثروبولوجي بالمعلومات والبيانات اللازمة لفهم ثقافة المجتمع وبناءه الاجتماعي وفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي طرأت على البناء الاجتماعي للمجتمع وأساليب تطور الحياة، وقد أصبحت العلاقة بين الإخباري والأنثروبولوجي محل اهتمام منذ أن تختل الدراسات

(١) سليمان نجم خلف: كيف يجمع علماء الإنسان مادتهم العلمية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧.

الأنثروبولوجيا عن مسلماتها الساذجة حول تجانس المجتمع البدائي، إلا أن ذلك لكي يتم وفق ما يتمناه الباحث، يجب أن يأخذ في الاعتبار طبيعة المقاصد التي يسعى إليها الإخباري عند تقييم المعلومات الناتجة عن هذه العلاقة، وكيف تؤثر المكانة والوضع الاجتماعي للإخباريين على طبيعة المعلومات التي يحصل عليها الأنثروبولوجي ، لأن المعتقدات والقيم والاتجاهات تختلف من شخص لآخر وتختلف طبقاً للمكانة ووضعية كل فرد داخل شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع المحلي.

وعليه يجب اختيار الإخباريين بعناية فائقة من حيث الوضع والمكانة الاجتماعية ومن حيث قدرتهم على تفسير الواقع وموضوعية أحكامهم على الأشياء وكذلك من حيث العدد الذي يجب أن يناسب الدراسة.

الفصل التاسع

الثقافة

أولاً: مفهوم الثقافة وعناصرها

حظى مفهوم الثقافة باهتمام كبير من العامة والخاصة أكثر من غيره من المفاهيم بيد أن هذا المفهوم قد اشتمل عند عامة الناس على معان خاصة حيث ربط كثير من العامة بين الثقافة كمرادف من ناحية وارتفاع مستوى كفاية الفرد في تخصصه أو تعليمه من ناحية أخرى، بينما يرى البعض أن الثقافة تعني تمكن الفرد وحصوله على قدر عال من المعرفة في الفنون والآداب المختلفة كما يرون إمكانية التفرقة بين الإنسان المثقف والإنسان غير المثقف على أسس نسبة ما حصل عليه من المعرفة في تلك المجالات.

ولكن علماء الأنثروبولوجيا ينظرون إلى مفهوم الثقافة نظرة مغايرة لذلك تماماً فهم يرون أن التمييز بين الإنسان المثقف وغير المثقف لا يعدو عن كونه اختلافاً في حظ الفرد من التعليم والثقافة ولكنه لا يدل على وجودها أو عدم وجودها.

وقد قدم إدوارد تايلور تعريفاً شاملاً لمفهوم الثقافة بقوله: هي ذلك الكل المركب الذي يشمل العقيدة والمعرفة واللغة والفنون والأخلاق والقانون والعادات والتقاليد والقيم والاعراف والجوانب المادية الأخرى كالملبس والمأكل والمسكن وكل ما أنتجه الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع^(١).

(١) محمد عاطف غيث (محرر): قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٠٠، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

Tylor: the primitive culture, London, O.U.P, 1913, p2.

وبعد عدة سنوات من هذا التعريف قام كل من كروبر وكلاكهون
بفحص وتحليل ما يزيد عن مائة وستين تعريفاً عن مفهوم الثقافة لعلماء
الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس وقد لاحظنا أن معظمها خلطت بين
مفهوم الثقافة من ناحية وعناصر الثقافة من ناحية أخرى، ثم انتهى هذا
العالمان إلى وضع المفهوم التالي:

يقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى
التاريخ بما في ذلك المخططات الصريحة والضمنية العقلية وغير العقلية
وهي موجودة في أي وقت حيث تعمل كموجهات لسلوك الناس عند
الحاجة.

ومن ناحية أخرى قدم العالمان ماكيفر ، بيچ، تعريفاً آخر لمفهوم
الثقافة بأنها هي مجتمع التراث الاجتماعي لشعب من الشعوب تشتمل على
كل ما صنعه أو أوجده لنفسه من نظم اجتماعية أو أدوات أو أساليب
مختلفة للحياة^(١).

كما قام بعض العلماء بتحليل الثقافة ومكوناتها وقسموها إلى عناصر وأجزاء
تشكل مجتمعة بناء الثقافة، وقد ركز بعض العلماء أمثال مالفينوسكي على تحليل
العلاقات الوظيفية لهذه العناصر وبذلك قسموا الثقافة إلى جانبين رئيسيين هما: الثقافة
المادية والثقافة اللامادية (غير المادية) أو المعنوية، وتشتمل الثقافة المادية على

(١) ماكيفر، تشارلزبيج: المجتمع، ترجمة: علي أحمد عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،
١٩٥٧م، ص ١١٥ - ١١٦.

العناصر الصريحة أو الملموسة مهما كانت درجة تعقدها أو بساطتها ومن أمثلة ذلك كل ما أنتجه الإنسان من آلات ومعدات وأدوات وملابس ومساكن وطرق ومواصلات وغيرها، أما الثقافة غير المادية أو المعنوية فتشمل الأفكار والمعتقدات والمعارف والعادات والتقاليد والقيم والأعراف والسنن الاجتماعية واللغة وغيرها^(١).

وتظهر عناصر الثقافة بشكل واضح في التعريف التاريخ الذي قدمه تايلور عن الثقافة وعلى الرغم من هذا التصنيف للجوانب والعناصر المادية للثقافة والعناصر غير المادية أو المعنوية إلا أن الثقافة تمثل وحدة متكاملة تتفاعل فيها العناصر المختلفة مع بعضها البعض حيث يصعب الفصل بين العناصر المعنوية (الضمنية) والعناصر المادية للثقافة وتأتي أهمية هذا التحديد فقد في الجانب التحليلي لأغراض الدراسة وفهم مكونات الثقافة السائدة في أي مجتمع.

وتتميز نظرة مالمينوفسكي إلى الثقافة باستخدامها لمفهوم الوظيفية أي وظيفة كل عنصر من عناصر الثقافة وتأكيدها على الاتجاه الآني (غير التاريخي) في فهم الظواهر الثقافية، وربما كانت تلك السمة الأخيرة هي التي تربط مالمينوفسكي براد كليف براون الذي كثيراً ما يعد خطأ عاماً وظيفياً مثل مالمينوفسكي وعلى خلاف مالمينوفسكي يوجه راد كليف براون اهتمامه إلى دراسة المجتمع لا إلى دراسة الثقافة ويعتبر نفسه عالم اجتماع مقارن أو أنثروبولوجيا اجتماعية أكثر منه دارساً للثقافة.

(١) أحمد الخشاب: دراسات أنثروبولوجية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٧٠.

وقد استفاد بعض علماء الأنثروبولوجيا من دراسات مالفينوفسكي ورواد كليف براون في تحويل اتجاهاتهم عن الدراسات التاريخية التقليدية حيث بدأ الاهتمام بالدراسات الآتية الوظيفية ويتضح هذا التأثير على سبيل المثال في تحليل لنتون Linton للعنصر الثقافي الذي يرى أنه يتميز بأربعة جوانب أو سمات رئيسية على الأقل هي الشكل والاستخدام والوظيفة والمعنى ويظهر ذلك على النحو التالي:

١- يتضمن شكل العنصر الثقافي بعض الجوانب مثل الهيئة والأبعاد وطرق الصياغة وكل العوامل الأخرى التي تسهم في وجوده الظاهر أو الملموس وتتميز أشكال العناصر الثقافية المادية أو غير المادية بإمكان ملاحظتها وانتقالها من ثقافة لأخرى بسهولة.

٢- يتميز استخدام العنصر الثقافي بسهولة ملاحظته وتنقله وهو يتضمن طرق استخدام شعب معين للعنصر الثقافي ومن أمثلة ذلك تعدد استخدامات بعض الأدوات كعناصر مادية للثقافة باختلاف الثقافات مثل استخدام الفأس في قطع الأشجار وقطع رؤوس الأعداء في بعض المجتمعات والمناسبات الطقوسية في مجتمعات وثقافات أخرى.

٣- تتميز وظيفة العنصر الثقافي بأنها أوسع من استخدامه ويتوقف ذلك على مكانة العنصر الثقافي في الثقافة الكلية إذ يمكن تعدد استخدام العنصر الواحد في عمليات متعددة كاستخدام الفأس في الزراعة وتطهري الأرض وإعدادها لإنتاج المحصولات الزراعية بينما لا تستخدم الفأس في بعض الثقافات الأخرى التي لا تعرف الزراعة إلا في أعمال البناء.

٤- يعكس معنى العنصر الثقافي في مجموع الارتباطات التي يقيمها شعب معين حول عنصر ثقافي ما^(١).

وقد أفاد هذا التحليل في إلقاء ضوء جديد على الدراسات والبحوث التي تتناول توزيع العناصر الثقافية وعلى مفهومات المنطقة الثقافية والعمر والمنطقة وفهم طبيعة التداخل والترابط القائم بين عناصر الثقافات المتباينة كما اتجهت الأنثروبولوجيا المعاصرة إلى الاهتمام الكبير بدراسة بناء الثقافة أي دراسة العلاقة القائمة بين عناصر الثقافة وأجزائها.

ثانياً: خصائص الثقافة

تتميز الثقافة في أي مجتمع بعدد من الخصائص والسمات التي تميزها عن غيرها وإن كانت كل الثقافات تشترك معا في أنه تؤدي إلى إشباع احتياجات أفراد المجتمع البيولوجية والاجتماعية والثقافية والنفسية مما يحقق التكيف والتوافق لأفراد المجتمع وتستوي في ذلك الثقافة الأوروبية والأمريكية مع ثقافة الشعوب البدائية على السواء.

كما أنه لا توجد ثقافة أفضل من ثقافة أخرى فالأنثروبولوجيا لا تعرف المفاضلة بين ثقافة وأخرى مهما اختلفت درجة تطور كل منها إذ أن لكل مجتمع ثقافته التي ينقلها لأفراده حيث تضطلع كل ثقافة بإشباع حاجات الأفراد والجماعات والمجتمع وفيما يلي نعرض أهم خصائص الثقافة:

(١) محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا، اسس نظرية وتطبيقات عملية، مرجع سابق، ص ٣٢٢-

١ - الثقافة موجه للسلوك الإنساني

الثقافة عبارة عن تجريد للسلوك الفعلي للإنسان وعلينا ألا نخلط بينها وبين الأفعال السلوكية نفسها أو المنتجات المادية كالأدوات والأواني والاعمال الفنية وغيرها من المنتجات الثقافية التي يصنعها الإنسان ويستخدمها وبذلك فإن الأنثروبولوجي لا يستطيع أن يلاحظ الثقافة بشكل مباشر ولكنه يلاحظها بشكل غير مباشر من خلال ملاحظته لأفعال الناس وأقوالهم والعمليات والأساليب التي يستخدمونها في صناعة المنتجات المادية.

ويؤكد رد فيلد هذا الرأي بقوله: تتضح الثقافة في الأفعال والأشياء المادية ولكنها لا تتكون من تلك الأفعال والأشياء ذاتها ويهتم الأنثروبولوجيون بدراسة أنواع كثيرة من الأفعال الإنسانية لا كمجرد عناصر سلوكية منعزلة وإنما بسبب ما تلقيه من ضوء على الأساليب التي يتعلم الأفراد من خلالها كيف يسلكون في المجتمعات التي يعيشون فيها حيث يخضع الأفراد للثقافة السائدة نتيجة لاكتسابهم القيم السائدة والعادات والتقاليد والأعراف التي تمثل الجوانب المعنوية أو غير المادية من الثقافة وبالتالي تعتبر الثقافة بصفة عامة موجهة عاماً للسلوك الإنساني.

ومن أمثلة ذلك العديد من الدراسات الحقلية التي قام بها الباحثون الأنثروبولوجيون أمثال موريس أوبلر M. Opler وغيره في شرق نيومكسيكو وخضوع الفرد لعادات وتقاليد الزواج السائد التي تعتبر عنصراً هاماً من عناصر الثقافة السائدة بتلك المجتمعات.

٢ - تعدد أنماط الثقافة

يشير مصطلح نمط Pattern إلى أسلوب معين من أساليب السلوك يمثل جزء من ثقافة معينة والأنماط الثقافية ليست جميعها من نوع واحد ومن الخطأ الاعتقاد بان أي ثقافة من الثقافات تحدد نفس السلوك بدقة لكل فرد من أفرادها.

وتشتمل أساليب السلوك التي تتكون منها الثقافة على تعميمات للسلوك السائد بين أفراد المجتمع ولكنها لا تصف تفصيلاً ما يجب أن يفعله كل فرد في المواقف الاجتماعية المختلفة ومن الأمثلة على ذلك سلوك الأفراد في بعض المواقف مثل طريقة تحية الفرد للآخرين إذ تلزم ثقافة بعض المجتمعات ضرورة القيام بها يداً بيد أو بالعناق، بينما تكتفي بعض الثقافات بالتعبير عنها بكلمة واحدة دون مصافحة أو بالإشارة أو هز الرأس، كما تستهجن الثقافتين الأوروبية والأمريكية تقبل الرجال بعضهم بعضاً تعبيراً عن المحبة أو إظهاراً للتحية والترحيب.

وهكذا نجد تبايناً شديداً بين الثقافات المتعددة في مختلف المجتمعات وحتى داخل المجتمع الواحد حيث تختلف أنماط السلوك في الثقافة القريّة عنها في الثقافة الحضرية إذ يمارس سكان الريف سلوكاً يختلف إلى حد ما عن سكان الحضر وفقاً للعادات والتقاليد والقيم السائدة أو بالأحرى وفقاً للثقافة السائدة.

وتشتمل أنماط الثقافة على نمطين رئيسيين من أنماط السلوك هما: الأنماط المثالية والأنماط السلوكية الواقعية ويقصد بالأنماط المثالية ما ينبغي أن يفعله أو يقوله أفراد مجتمع معين في مواقف معينة على حد قول كلاكهون إذا أرادوا الامتثال الكامل لمعايير السلوك التي تحددها ثقافتهم أما الأنماط السلوكية الواقعية فهي تمثل ما يمارسه الناس بالفعل في المواقف المختلفة ومن أمثلة ذلك دراسة سلوك قائدي السيارات عند إشارات المرور التي قام بها الباحثان فبرنج وكرايز Fearing & Krise حيث أوضحت دراستهما تناقض أنماط السلوك الفعلي لهم مع أنماط السلوك المثالي الخاص بضرورة احترام إشارات المرور .

وقد قسم كلاكهون الأنماط المثالية للسلوك إلى خمس فئات وهي:

- **الزامية:** وذلك بتحديد الثقافة لوسيلة واحدة للاستجابة في موقف معين كالاستجابة للمشاركة في حفل زفاف.
- **مفضلة:** حيث تتيح الثقافة أكثر من وسيلة لمواجهة الموقف وإن كانت أحدهما تعتبر مفضلة عن غيرها وتتميز عليها ومن أمثلة ذلك الحضور شخصيا للمشاركة في الحفل أو إرسال باقة من الورد أو إرسال برقية للتهنئة... الخ.
- **نمطية أو شائعة:** وذلك عندما تتيح الثقافة أكثر من وسيلة لمواجهة الموقف وتقرها جميعا بنفس الدرجة وأن كانت أحدهما أكثر انتشارا مما عداها.

- **بديلة:** حيث تتيح الثقافة عدة وسائل تقرها جميعا بنفس الدرجة ولا يوجد بينها اختلاف من حيث القيمة والانتشار.
- **محددة:** وذلك عندما تقصر الثقافة بعض أساليب السلوك على قطاع معين من أفراد المجتمع ويحظره على بقية المجتمع^(١).

٣- تكامل الثقافة

تتسم الدراسة الأنثروبولوجية للثقافة بالكلية والشمول إذ أن مختلف العناصر الثقافية مترابطة ومتداخلة ذلك لأن القدر الأكبر من السلوك البشري ليس مجرد تجمع عشوائي من الأنشطة وإنما يمثل أنساقا ترتبط أجزاءها ببعضها البعض تؤثر وتتأثر بها، وقد أدى الاقتناع بأن الثقافات تمثل كيانات كلية متكاملة إلى ظهور دراسات أنثروبولوجية وصفية مفصلة لعدد كبير من الثقافات ولكنه سرعان ما برزت صعوبة تحليل تلك الثقافات في ضوء النظرة الكلية التي تميزت بها الدراسات الأنثروبولوجية الرائدة للمجتمعات والثقافات البدائية البسيطة لهذا فإن ظهور الاتجاه الوظيفي على يد كل من مالينوسكي بارسونز وتلاميذهما قد أدى إلى العناية بالوظيفة التي تضطلع بها الثقافة بوصفها وسيلة لإشباع احتياجات الإنسان الأساسية والمشنقة باعتبارها مرتبطة بالسمات البيولوجية والنفسية للإنسان كما عني هذا الاتجاه بتحليل كل عنصر من عناصر النسق الاجتماعي في ضوء إسهامه في العناصر الأخرى وخاصة في تحقيق الأداء الوظيفي للنسق الكلي.

(١) فاروق مصطفى إسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية، مرجع سابق، ص ١٠٧.

هذا ويعتقد العالم سمنر أن التكامل الثقافي يتحقق بصورة أدق في المجتمع البسيط المتجانس حيث تندر فيه عناصر التغيير الخارجية ونادراً ما تتغير عناصر التغيير الأصلية ولا يظهر هذا التكامل واضحاً في الثقافة المركبة غير المتجانسة حيث تكون العناصر في تغير مستمر وبصفة عامة تظهر الثقافات اتجاهات عديدة من التكامل الثقافي وذلك للمحافظة على تماسك المجتمع كوحدة واحدة.

٤ - الثقافة كقوة للضبط الاجتماعي

تعتبر الثقافة في أي مجتمع قوة هامة لتحقيق الضبط الاجتماعي الذي يمارس سطوته ونفوذه وتأثيره على سلوك الأفراد كما تتولى تقويم هذا السلوك بوصفها الموجه له حيث لا يستطيع الأشخاص الخروج عليها وإلا تعرضوا للجزاء الاجتماعي لخروجهم عن العادات والتقاليد والقيم والأعراف والسنن الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي تعتبر جانباً هاماً (الجانب المعنوي) للثقافة.

وترسم الثقافة لأفراد المجتمع الإطار العام لسلوك أفراده والحدود الواضحة للمقبول والممنوع أو المرفوض منها وبذلك تمثل الثقافة أهمية أخلاقية تكسب تفاعل المجتمع دعائم قوته ولهذا فهمي تمثل ضرورة إنسانية عامة لتحقيق التقدم والرقي وذلك فإن للثقافة أهمية كبيرة في تطويع سلوك الأفراد والتسليم بأهميتها للمجتمع وهي على حد قول شابيرو Shairo كالهواء الذي نستنشقه نسلم به تسليماً ولا نكاد نشعر به.

٥- اكتساب الثقافة بالتعليم

تعتبر الثقافة تاريخية أي أنها تنمو عبر الأجيال المختلفة على مر التاريخ وهي كما سبق القول تمثل الميراث أو التراث الاجتماعي للأجيال السابقة والحاضرة التي تحدد التوجهات المحتملة لسلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المختلفة ولهذا فهي تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق التعليم ويتم الجزء الأكبر من هذا التعليم من خلال أفراد الجماعة الآخرين الذين تعلموا بدورهم سلوكهم الثقافي عن الآخرين ممن قبلهم.

وعلى ذلك فالثقافة عملية مكتسبة تنتقل عبر الأجيال المختلفة ولكننا يجب أن ندرك بأنه ليس كل سلوك متعلم عبارة عن ثقافة ذلك لأن الحيوانات تتعلم هي الأخرى ولكنها ليست صاحبة ثقافة ولهذا فالفرق كبير وهام بين السلوك المتعلم عند الحيوانات وسلوك الإنسان القائم على الثقافة وهناك تجربتان شهريتان لإثبات ذلك وهما:

تجربة دكتور/ وولف Woolf: من جامعة ييل Yale الأمريكية للكشف عن مدى قدرة الشمبانزي على التعلم وحل المشكلات إذ أحضر هذا الباحث عدداً من الآلات ذات الثقوب التي توضع فيها عملات معدنية للحصول على الطعام وقام الباحث بتدريب القردة على التعامل مع تلك الآلات واكتساب المهارة في استخراج طعامها منها باستخدام العملات المعدنية، ثم قام بخلط تلك العملات بعملات مزيفة من الصفائح ومن خلال التجربة والخطأ تعلمت قردة الشمبانزي أي العملات المناسبة لاستخراج الطعام من الماكينة وميزت بين العملات الحقيقية والمزيفة.

تجربة دكتور/ كيلوج وزوجته Kelog & Wife حيث قام بتربية قرد شمبانزي حديث الولادة مع طفلها الوليد الذي يبلغ نفس العمر وقد حاولا الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان والحيوان في موضوع القدرة على التعلم، وقدم الباحثان نفس ألوان الرعاية للشمبانزي وطفلها الوليد، وقد لاحظنا أن الشمبانزي كان يتعلم بنفس سرعة الطفل بل فاقه في بعض الجواب نتيجة لنموه البدني السريع وزيادة لياقته البدنية خاصة في الألعاب التي تتطلب قوة ورشاقة ولكن ما أن بدأ الطفل في تعلم اللغة حتى تفوق تفوقاً كبيراً على الشمبانزي حيث أدرك الطفل بعض أساليب السلوك التي لا يمكن تعليمها لحيوان غير ناطق وبالرغم من أوجه الشبه بين الإنسان والحيوان في عملية التعلم إلا أنه ليس هناك أي نوع حيواني استطاع أن يخلق لنفسه ثقافة مثل ما فعل الإنسان، وقد اختص الله الإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى بنعمة العقل المتميز، واللغة التي مكنته من نقل ثقافته من جيل إلى آخر الأمر الذي جعل المخلوق الوحيد الذي له ثقافة وتلعب اللغة دوراً هاماً في نقل الثقافة باستخدام الرموز الثقافية التي تحمل المعاني والدلالات للمفردات اللغوية لكل ثقافة وقد عبر ليزلي هوابت L-White عن ذلك بقوله: إن السلوك البشري سلوك رمزي وقد نشأت الحضارات كافة واستمرت عن طريق استخدام الرموز، فالرمز هو الذي يحول الطفل إلى كائن بشري مكتمل⁽¹⁾.

(1) Lolla White: the symbol the origin and Basis of Human Behavior, philosophy of science 1940, p451.

٦- دور السلوك الرمزي في الثقافة

يمكن تعريف الرمز Symbol باختصار بأنه ظاهرة مادية مثل شيء ما أو منتج مادي أو مجموعة من الأصوات يضيف عليها مستخدموها معنى معيناً ويكون هذا المعنى حرفياً ولا توجد علاقة حتمية لازمة بينه وبين الخصائص المادية للظاهرة التي يعبر عنها ومن الأمثلة على ذلك المعنى الذي يعكسه الهلال عند المسلمين كرمز وإشارات المرور واستخدام بعض الصور كرموز لمرشحي الأحزاب السياسية مثل الساعة والجمل والنخلة وهكذا.

وعلى ذلك فإن الناس يضيف على الرمز المعاني التي يقصدونها والإنسان هو الكائن الوحيد القادر على ممارسة السلوك الرمزي واختلافه للتعبير عن تلك المعاني ومن هنا فإن الثقافة في جوهرها هي تراكم لأنماط السلوك المتعلم التي نشأت وتطورت بفضل الرموز التي ظهرت إلى الوجود عندما تعلم الإنسان كيف يرمز للأشياء.

٧- الوحدة والتنوع في الثقافة

تتسم الثقافات بالتنوع الكبير إذ يوجد العديد من الثقافات التي تتباين من مجتمع لآخر حيث يصوع كل مجتمع ثقافته الخاصة به وفقاً لقيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه والنظم الاجتماعية السائدة فيه والتكنولوجيا التي يستخدمها وبالتالي تتباين أنماط السلوك من مجتمع لآخر تبعا للثقافة السائدة.

أما عن الوحدة بين الثقافات فهي تعني صور التشابه والسمات المشتركة بين الثقافات وقد يبدو لنا من الوهلة الأولى أننا إذا نظرنا على ثقافتين مختلفتين كثقافة الأسكيمو وثقافة سكان نيويورك أنه لا يوجد ثمة شيء مشترك بينهما، ولكننا إذا أمعنا التحليل فسوف نتبين بعض السمات المشتركة بين هاتين الثقافتين ويظهر وجه الشبه بينهما في أنهما يعملان على إشباع الاحتياجات النفسية والاجتماعية والفسولوجية الأساسية لأفراد كل ثقافة كل بطريقتها الخاصة وفي ظل ظروفها المتميزة عن غيرها.

ثالثاً: الثبات والتغير في الثقافة

أوضحت تعريفات الثقافة وخصائصها السابقة أن جانباً من الثقافة يتسم بانه تقليدي ويتصف بالثبات إلى حد كبير ويظهر ذلك في عملية انتقال الثقافة من جيل إلى آخر عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية حيث تتولى الأسرة وغيرها من الجماعات الاجتماعية مهمة تعليم الأجيال الصاعدة وتلقينهم الثقافة السائدة في المجتمع كما تترك كل ثقافة بعض الآثار والشواهد التاريخية الدالة عليها عبر المراحل الزمنية المختلفة.

وفي نفس الوقت فإن الثقافات ليست ساكنة أو جامدة على حال واحد ولكنها تتغير في بعض جوانبها من جيل إلى آخر كالتغير الذي يطرأ على العادات والتقاليد والقيم وأنماط المسكن والملبس والمأكل وبذلك يمكن القول أن الثبات والتغير معا سمة من سمات أي ثقافة، وقد ارتبطت فكرة

الثبات والتغير في الثقافة ارتباطاً وثيقاً بالاتجاهات العلمية التي سيطرت على الفكر الأنثروبولوجي منذ نشأته حتى الآن، فنجد الدراسة التاريخية والتطورية للثقافة كانت تؤمن بإمكانية حدوث التغير الثقافي عبر المراحل المختلفة على مر التاريخ ولهذا لجأت الدراسات التاريخية في الأنثروبولوجيا (الدراسات التتابعية) إلى استكمال الحلقات في تاريخ الإنسانية ودراسة الثقافات عبر المراحل التاريخية المختلفة والتي لا توجد عنها آثار وشواهد ملموسة أو تاريخ مكتوب عن طريق ما يسمى بالخيال الظني لإعادة بناء التاريخ الإنساني حيث شيد العلماء من وحي خيالهم في ضوء الشواهد الثقافية المؤكدة ما يمكن أن تكون عليه أوضاع الثقافة في الحقب التاريخية المفقودة ولهذا عانى هؤلاء العلماء من النقد الموجه إلى الدراسات الظنية لافتقادها إلى الأدلة التاريخية الموثقة.

ومع مطلع ثلاثينيات القرن العشرين ظهر التحليل البنائي الوظيفي في ميدان الأنثروبولوجيا مما أدى إلى رفض العوامل التاريخية والاتجاهات التطورية إذ كانت الدراسات الوظيفية تصف نفسها بفخر بأنها دراسات آنية أي أنها تدرس الثقافة في لحظة معينة وقد أكدت الدراسات الآتية في البداية وجود الثبات الثقافي ولكنه مع تطور التفكير العلمي في النصف الثاني من القرن العشرين وتغير النظرة إلى العلم باعتباره بحثاً عن قوانين ثابتة لا تتغير، أصبحت العلوم الطبيعية والاجتماعية تنظر إلى معظم نتائجها باعتبارها قضايا احتمالية قابلة للتغير^(١)

(١) محمد الجوهري: الأنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات عملية، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

وبصفة عامة فإن الأنثروبولوجيين قد انتبهوا إلى أنه لا تعارض بين الدراسات الآنية والتتابعية في دراسة الثقافة فكلا النوعين من الدراسات نحتاج إليها في دراسة الظواهر الثقافية دراسة متعمقة وشاملة وفقاً للمنهج الذي يتبناه الباحث الأنثروبولوجي.

رابعاً: نظريات التغير الثقافي

ارتبطت دراسة التغير الثقافي بالاهتمام المتزايد بالبحوث العقلية والدراسات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة والدول الأوروبية بصفة عامة مما أدى إلى تراكم المعرفة الأنثروبولوجية عن علاقة الثقافات البدائية (ثقافات الشعوب الأمية) بالثقافات الأمريكية والأوروبية وفهم وتحليل جوانب التغير الثقافي وفيما يلي عرض موجز لأهم نظريات التغير الثقافي:

١- نظرية التدهور الثقافي

تقوم هذه النظرية على افتراض مستمد من اللاهوت مؤداه أن الإنسان قد خلق في أول الأمر متحضراً أو شبه متحضر في الشعوب الأمية ولكنه لأسباب متباينة سقط أبناء الثقافات الأمية من هذا المستوى الحضاري الذي كان مرتفعاً في الأصل ووصلوا إلى مستوى لا يزيد كثيراً عن مستوى الأنعام.

وقد تعرضت هذه النظرية لنقد شديد إذ أنه لا يوجد تقسيم واضح للتفرقة بين المتحضرين والمتدهورين هذا بالإضافة إلى أن الثقافة الأوروبية أو الأمريكية ذاتها قد مرت بنفس المرحلة من التطور ولم تكن حضاراتها هي أصل الحضارات الأخرى كما أوضحت ذلك البحوث والدراسات الأركيولوجية إلى جانب ذلك فإن الشعوب الأمية ذاتها تتفاوت في الإنجاز الثقافي الذي حققته مما يجعل أمر تصنيفها إلى شعوب أمية وشعوب متحضرة أمراً يتسم بالسطحية والتعسف.

٢- نظرية النزعة التطورية الثقافية

تركزت هذه النظرية على فكرة التقديم أو التطور للأمام كرد فعل لنظرية التدهور الثقافي وقد نادى بها العالمان تايلور ولويس مورجان إذ يؤكدان على فكرة التقدم الثقافي لكافة المجتمعات بوجه عام ويفصح مورجان Morgan عن ذلك بقوله: أن تاريخ النوع الإنساني واحد في مصدره واحد في تجربته وواحد في تقدمه^(١).

وقد قسم مورجان مراحل تطور الثقافة إلى ثلاث مراحل رئيسية هي:

- مرحلة التوحش بمراحلها الدنيا والوسطى والعليا حيث عاش الإنسان ثقافة بدائية.

(١) لمزيد من التفاصيل انظر

Lewis Morgan: Ancient Society, N.Y, Henry Holt and co, 1877, p.v1.

- مرحلة البربرية بمراحلها الدنيا والوسطى والعليا حيث اكتشف الإنسان الزراعة فعرف معنى الفائض الغذائي لأول مرة ونشأت القرية.
- مرحلة الحضارة حيث عرف الإنسان القراءة والكتابة وبرزت ملامح بداية الثقافة الأوروبية.

وقد تعرضت هذه النظرية لنقد شديد يتلخص في افتراضها أن التطور يسير في اتجاه واحد من مرحلة التوحش الدنيا حتى مرحلة الحضارة بوصفها أرقى مراحل تطور الثقافة كما تفترض هذه النظرية أن الثقافة الأوروبية هي قمة الحضارة ومنتهى مراحل التطور وهذا قول غير صحيح إذ يحمل نوعاً من التحيز العنصري أو العرقي نحو هذه الثقافة.

هذا ولم يحاول أي من العلماء التطوريين أن يطبق هذه النظرية على الثقافة في مجموعها وإنما طبقوها على بعض جوانب الثقافة كعادات الزواج والمعتقدات الدينية وعلى الرغم من ذلك فلقد قدم المفكرون التطوريون بهذه النظرية عدداً من الإسهامات الإيجابية نوجزها فيما يلي:

- يعتبر المفكرون التطوريون أول من أدركوا واستخدموا مفهوم الثقافة وخلصوه من الخلط الشائع بينه وبين مفهوم العرق والسلالة.
- أسرى التطوريون الأساس لإقامة علم الأنثروبولوجيا الثقافية الذي ارتكز في بداية نشأته على الاهتمام بالدراسات التطورية والتتابعية للثقافات المختلفة عبر المراحل والحقب التاريخية منذ بدأ الإنسان مسيرته على سطح الأرض.

- أدت الانتقادات الموجهة للتطوريين إلى تراكم البحوث الأنثروبولوجية الحقلية لمحاولة الرد على تلك الانتقادات مما ساعد على تطوير الفكر الأنثروبولوجي بصفة عامة وساهم في إمكانية إقامة نموذج إجمالي للتغير الثقافي^(١).

٣- نظرية الدائرة الثقافية

تقوم هذه النظرية على أساس أن الثقافة تتطور وتتقدم عن طريق الاختراع ثم تنتشر الاختراعات في مناطق مختلفة من العالم نتيجة للاتصال الثقافي على شكل دوائر متداخلة تبدأ من مركز الاختراع لتعم ثقافات متعددة إذ أن الاختراع على حد قول هذه النظرية لا يوجد أساسا عند كل البشر، وبعد أن تنتشر الاختراعات تحدث عملية الانصهار الثقافي أي الاندماج بين عناصر الثقافة السائدة والعناصر الوافدة مع الاختراعات الحديثة مما يؤدي إلى استيعاب وخلق ثقافة متميزة وقد ظهرت هذه النظرية في ألمانيا ولاقت في بدايتها بعض التأييد ولكنها سرعان ما ظهرت أمامها صعوبات المواءمة بين النظرية والواقع الأميركي.

٤- نظرية المدرسة الأبولوتية

نشأت هذه المدرسة في بريطانيا على يد إليوت سميث حيث تنسب كل الاختراعات الأساسية إلى المصريين القدماء وحدهم ومن مصر

(١) وُلف بيلز، هاري هويجر: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، مرجع سابق، ص ٧٦٧.

كمركز للاختراعات انتشرت العناصر الثقافية إلى الخارج حاملة لواء المعرفة إلى سائر المجتمعات التي لم تكن تتعدى مرحلة التوحش وتستمد هذه النظرية أهميتها من أن مبالغتها قد أدت إلى الاقتناع بالدراسات الآتية التي تبنت الاتجاه الوظيفي ونبذت الاتجاه التاريخي والدراسات التتابعية في دراسة الثقافة.

٥ - انتشار الثقافة والمدرسة الأمريكية

عارض بواس Boas وتلاميذه من اتباع المدرسة الأمريكية نظرية الدائرة الثقافية وهاجموها بشدة باعتبارها نظرية فلسفية منطقية مباشرة تقوم على التآكل أكثر مما تقوم على البحث العلمي الدقيق.

واتجه بواس إلى الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية لبناء نظرية تفسر التغير الثقافي وإن كان بالفعل لم يفلح في ذلك ولكنه قام بدراسة للقصاص الخرافية الشعبية لقبائل التسمشيان على الساحل الشمالي الغربي بالولايات المتحدة الأمريكية (ميثولوجيا التسمشيان) بوصفها أحد الأنماط الشائعة في الثقافة الأمريكية حيث كانت التسمشيان وهي قبيلة هندية تمثل ثقافة الهنود الحمر الأمريكيين (سكان أمريكا الأصليين) وقد ركز بواس وتلاميذه على دراسة طرق انتشار الثقافة ومناطق انتشارها مما مهد الطريق لظهور نظريات كلارك ويسلر كما سيظهر فيما بعد.

٦- نظرية المنطقة الثقافية ونظرية العمر والمنطقة

صاغ كلارك ويسلر C.Wissler وهو معاصر للعالم بواس هاتين النظريتين^(١) وكان ويسلر يعمل أميناً للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وتقوم فكرة المنطقة الثقافية على أساس ميل عناصر الثقافة إلى التجمع في أقاليمك أو مناطق معينة ومن أمثلة هذه العناصر الأدوات والأواني والملابس وغيرها من عناصر الثقافة المادية.

ويتميز كل شعب من شعوب منطقة ثقافية معينة بالعناصر المميزة للمنطقة بدرجة تقل أو تكثر من شعب إلى آخر، كما تزداد هذه العناصر أو تقل تبعاً لدرجة بعد هذه الشعوب عن المركز الثقافي للمنطقة كما أن الشعوب التي تعيش على حافة المنطقة الثقافية تكون ذات ثقافة مختلفة أو هامشية لتأثرها بعدد من الثقافات المجاورة والتي تنتمي لعدة مراكز ثقافية.

وتقوم نظرية العمر والمنطقة على فرضين أساسيين هما:

- أن العناصر الثقافية تتجه إلى الانتشار انطلاقاً من نقطة المنشأ.
- يقاس عمر انتشار العنصر الثقافي الواحد بمدى انتشاره بصورة أكبر من غيره في المنطقة الثقافية.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٧٢١.

وقد أفادت هاتين النظريتين في تصنيف كميات هائلة من العناصر الثقافية المادية في متاحف التاريخ الطبيعي والمتاحف الأنثروبولوجية كما استطاع ويسلر أن يصنف سكان أمريكا الأصليين الهمود الحمر إلى خمس عشرة منطقة ثقافية بالإضافة إلى الاستفادة من هاتين النظريتين إلى تصنيف العالم إلى مناطق ثقافية.

٧- الوظيفية والثقافة

يعتبر مالمينوفسكي هو رائد الوظيفية التي ظهرت منذ عشرينات القرن العشرين في كتاباته حيث أكد أن كل ثقافة حية هي عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل لا يمكن فهم أحد عناصرها إلا في ضوء علاقته بالكل وأن كل الثقافات تسعى لإشباع الاحتياجات الإنسانية المختلفة البيولوجية والاجتماعية والثقافية كالحاجة إلى الغذاء والتناسب والراحة والأمن والحركة والنمو والصحة، وتؤدي الاستجابات الثقافية للاحتياجات البيولوجية الأساسية بدورها إلى خلق بعض الاحتياجات الثانوية وهي احتياجات ثقافية في طبيعتها أكثر منها بيولوجية.

وتتقسم الاحتياجات الثانوية في مجموعة إلى أربعة دوافع ثقافية فعالة رئيسية يجد كل منها استجابة له في قسم أو جانب كبير من جوانب الثقافة، فنجد أن الأنساق الاقتصادية تعتبر استجابة للدافع إلى صناعة الأدوات الضرورية والمعدات، كما تعد نظم الضبط الاجتماعي استجابة للدافع إلى وضع القواعد والقوانين المنظمة للسلوك الإنساني بينما تبدو التربية استجابة للدافع إلى إعداد أفراد المجتمع لاستيعاب الثقافة وأخيراً فإن التنظيم السياسي يقوم بوظيفة هامة في تحديد السلطة واستخدامها.

وقد أدت النظرية الوظيفية إلى إثراء التحليل البنائي للثقافة إذ يؤكد نادل Nadel على أن النسق أو مجموعة الأنساق الفرعية تمثل البناء الاجتماعي للثقافة وبهذا الفهم الناتج عن النظرية واستخداماتها في دراسة الثقافة تعتبر الوظيفية مصدر للعديد من الأدوات التحليلية الفعالة في دراسة الثبات والتغير الثقافي إذ أن التغير في الثقافة ليس مجرد عملية حذف أو إضافة لبعض العناصر المتفرقة من عناصر الثقافة وإنما ينطوي على أحداث تغيرات في البناء الثقافي ككل نتيجة للتساند الوظيفي والترابط والتكامل بين هذه العناصر.

٨- نظرية النسبية الثقافية

ظهر مفهوم النسبية الثقافية نتيجة لتراكم البحوث الأنثروبولوجية الإمبريقية عن الثقافات المختلفة وتغير النظرة الأحادية التي كان يؤمن بها التطوريون الأوائل وإحلال النظرية التعددية إلى تاريخ الثقافة محل النظرة الأحادية وقد قامت النسبية الثقافية وفكرة التعدد الثقافي المرتبطة به كرد فعل للنزعة التطورية التي سادت في القرن التاسع عشر والتي تبنت تفسير التطور الثقافي على أساس سيره في اتجاه واحد هو اتجاه الحضارة الأوروبية الأمر الذي أدى بروز نزعة التمركز حول السلالة الأوروبية، أما اليوم فإن علماء الأنثروبولوجيا المحدثين يرون استحالة وضع معيار واحد لقياس التقدم الثقافي في مختلف أنحاء العالم كما يرون أن كل ثقافة يمكن أن تقوم على أساس ظروفها الخاصة وواقعها.

ومع ذلك فعلى الرغم من التعدد الثقافي إلا أن هناك درجة من التشابه بين مختلف الثقافات حتى بين أشدها تبايناً (مثل ثقافة سكان مدينة نيويورك وثقافة الأسكيمو كمثال لمجتمع غاية في التحضر وآخر غاية في البدائية)، ومن أمثلة هذا التشابه وجود بعض السمات المشتركة بين كافة الثقافات مثل الأخلاق والإحساس بالجمال وبعض معايير الصدق والتي تعرف بالعموميات الثقافية هذا بالإضافة إلى أن جميع الثقافات على اختلاف درجات تطورها وتقدمها تقوم بإشباع الاحتياجات المختلفة لأفرادها.

٩- نظرية النزعة التطورية المحدثة

قامت هذه النظرية على يد الأنثروبولوجي الأمريكي المعاصر ليزلي هويت L.White الذي حاول تصحيح أخطاء لويس مورجان L.Morgan وتلاشي أوجه النقد التي وجهت إلى نظريته التقليدية علن النزعة التطورية للثقافة ومرورها بالمراحل التاريخية السبعة التي عرضنا لها من قبل حتى تصل إلى أعلى مراحلها وهي مرحلة الحضارة المعاصرة.

وقد أيد هويت فكرة التعدد الثقافي وهو يرى أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي استطاع أن يخلق لنفسه ثقافة تساعده على تدعيم حياته والمحافظة على النوع الإنساني كما أرجع أسباب التطور الثقافي إلى وجود علاقة طريفة بين الثقافة وبين نوع الطاقة السائدة في كل مرحلة من مراحل التطور الثقافي ويفسر هويت ذلك بالمراحل الثلاث للتطور الثقافي

التي أشار إليها لويس مورجان وهي مراحل: التوحش والبربرية والحضارة إذ يرى أن الإنسان لم يعرف سوى طاقته الجسمية في مرحلة التوحش التي ظهرت في كافة لشعوب البدائية المعاصرة أو التاريخية التي مرت بالعصر الحجري القديم أما مرحلة البربرية فقد ضاعف فيها الإنسان من الطاقة التي أمكنه الحصول عليها نتيجة لاستئناسه للحيوانات حيث عرف الزراعة والوفرة في الغذاء وأضاف إلى طاقته الجسمية طاقة الحيوانات المستأنسة وقد ظهرت ثقافات عظمت خلال تلك المرحلة مثل ثقافة ما بين النهرين ومصر والصين والمكسيك وبيرو^(١).

أما المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الحضارة فتبدأ عن هويت بمعرفة الإنسان للطاقة البخارية الناتجة عن احتراق الفحم وغيره من مواد الوقود في مطلع القرن التاسع عشر والثورة الصناعية ويختلف هويت مع كل من مورجان وتايلور في تحديدهما لبداية هذه المرحلة بمعرفة الإنسان واختراعه للكتابة وتمثل النظرية التطورية المحدثة التي صاغها ليزلي هويت رؤية أكثر شمولاً واتساعاً للثقافة الإنسانية بصفة عامة على مستوى الوحدات الكبرى Macro Level ثم ظهر نموذج أكثر تحديد لنطاق الثقافة على مستوى الوحدات الصغرى Micro Level يعرف بنموذج التطور المتعدد الخطوط قاده ستيوارد Steward وهو يجمع بين النسبية الثقافية الواسعة النطاق والتطور الشامل الذي يؤكد على الثقافة ككل.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٧٩٠.

ويركز سيتوارد في هذا الاتجاه على العناية بـ صور التشابه الثقافي بين الثقافات المختلفة أكثر من الخصوصيات الثقافية لكل ثقافة وعلى ذلك فهو محاولة لتطوير تصنيف لأنماط الثقافية عن طريق المقارنات المركز بين أنواع التراث الثقافي في مختلف أنحاء العالم لمحاولة التوصل إلى بعض الأحكام أو القوانين ذات الدلالة العامة لفهم طبيعة التطور الثقافي من خلال التعرف على السمات المشتركة بين الثقافات والتي تمثل أنماطاً ثقافية متعددة يتم اكتشافها من خلال الأنثروبولوجية الإمبريقية خلاصة القول أن التغيير ظاهرة اجتماعية ثقافية عامة وأن معدلات هذا التغيير تتفاوت من ثقافة إلى أخرى، كما تتسم بعض عناصر التراث الثقافي بالثبات بنفس القدر وتعكس لنا النظريات السابقة صور التفاعل الذي يمكن أن يحدث بين مختلف عناصر الثقافة على متصل Continuum الثبات والتغيير في الثقافة.

خامساً: ثقافة الفقر

يعتبر مفهوم ثقافة الفقر The cultural of poverty مفهوماً حديثاً نسبياً وقد اقترحه أوسكار لويس D.Lewis لأول مرة في كتابه بعنوان: خمس أسر (دراسات حالة لأسر مكسيكية) في ثقافة الفقر في عام ١٩٥٩ ومنذ ذلك التاريخ أصبح مفهوم ثقافة الفقر يستخدم على نطاق واسع نظراً لجاذبية هذا المفهوم.

وقد بدأ لويس دراسة حالة هذه الأسر الفقيرة دراسة متعمقة حيث كان ينظر إلى ثقافة الفقر في مجتمع محلي باعتبارها ثقافة فرعية Sub-culture لثقافة المجتمع الكبير، ولكنه توسع بعد ذلك ليضع نموذج التصوري عن ثقافة الفقر كثقافة متكاملة Integrated culture فدرس علاقة ثقافة الفقر بالترتيب الطبقي والأوضاع الاجتماعية للمجتمع التي تفرز ثقافة الفقر مثل مرحلة التحول من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي وفترات التغير التكنولوجي السريع والتحول من المجتمع القبلي إلى المجتمع القروي والاستعمار.

ومما يذكر أن أوسكار لويس قد أجرى دراساته على بعض أسر وقرى المكسيك والهند وكوبا وبورتوريكو مستخدماً عدداً من المداخل لدراسة ثقافة الفقر من أهمها علاقة الثقافة الفرعية للفقر بالمجتمع الأكبر وسمات المجتمع المحلي المتخلف Slumcommunity وطبيعة الأسرة والاتجاهات والقيم السائدة في المجتمع المحلي وسمات الناس في ظل ثقافة الفقر التي حددها في القدرية وانخفاض مستوى الطموح وضيق الأفق والافتقار إلى البصيرة والخيال وضآلة المعرفة بالتاريخ وانعدام الوعي الطبقي والانغلاق على ظروفهم المحلية ومتاعبهم الذاتية وافتقار الأيديولوجية وبلورة التوجه نحو الغايات لحل مشكلاتهم، ويؤكد لويس أن هذه السمات متحدة ومتساندة وظيفياً مما يميز ثقافة الفقر^(١) نتيجة لوجود علاقات متداخلة وظيفياً بين هذه السمات التي تشكل كل طائفة منها في عناقيد أو مجموعات مترابطة.

(١) محمد صلاح بسيوني: الثقافة والشخصية، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٧٩م، ص ١٣٣.

ومن أهم ما أوضحه لويس عن ثقافة الفقر أنه لاحظ خطأ واضحاً بين الفقر وثقافة الفقر لدى كثير من الباحثين أدى إلى تناقض ملموس إذ يصور البعض الفقراء على أنهم فاضلون ومستقيمون وسعداء وأحرار وكرماء، بينما وصفهم آخرون بأنهم يتميزون بالوضاعة والقسوة والحقد والإحساس بالدونية ومن ناحية أخرى يؤكد البعض على حاجة الفقراء للمساعدة والقيادة وتوجيه طاقاتهم الكبيرة ويدعو هذا الفريق إلى القضاء على الفقر نظراً لإشارة الهدامة التي يتعذر محوها من شخصية الفرد الذي يحيا تحت وطأته⁽¹⁾ وعلى جانب هذا الخلط الذي لاحظته لويس نجد أن معظم الباحثين قد ركزوا كل اهتمامهم على شخصية الفرد الفقير أكثر من اهتمامهم بدراسة المجتمع المحلي المتخلف وثقافته.

بيد أن لويس قد عني بدراسة ثقافة الفقر من واقع دراسته للمجتمعات المحلية المتخلفة وما يسودها من ثقافات فرعية وترتكز نظريته على فكرة محورية مفادها أن ثقافة الفقر ليست حرمانا اقتصاديا أو تفككا اجتماعيا أو غيابا لمستلزمات مادية وإنما هي أسلوب حياة Way of life تعيش في محيطه الطبقات الدنيا في المجتمع في أغلب الأحوال وينتقل من جيل إلى جيل آخر عبر خطوط الأسرة وهي لذلك ثقافة متميزة تتجاوز الحدود الإقليمية والفروق الريفية الحضرية والقومية ومما يؤكد ذلك وجود أوجه تشابه ظاهرة في بناء الأسرة والعلاقات الشخصية وتوجه عنصر الزمن ونسق القيم وأنماط الانفاق وغيرها من السمات

(1) Michael Harrington the other America, New York, Macmillan, 1962, p120.

المشتركة بين مختلف المجتمعات والثقافات وتزدهر ثقافة الفقر في المجتمعات التي تتميز بالاقتصاد النقدي وارتفاع نسبة البطالة وخاصة بين العمال غير المهرة وانخفاض مستوى الأجور وفشل النظام الاجتماعي والسياسي في توفير الخدمات الاجتماعية والاقتصادية للسكان أصحاب الدخل المنخفض ويقترح لويس أن التخلص من ثقافة الفقر يقتضي وضع الجيل تحت ظروف اجتماعية واقتصادية تختلف تماما عن الظروف التي يعيش فيها⁽¹⁾ وقد واجهت نظرية أوسكار لويس عن ثقافة الفقر نقداً من بعض علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أمثال هيلان لويس Hylan Lewis والتر ميلر Walter miller، مارشال كلينارد Marchall clinard حيث ينتقد هيلان لويس خطأ الاعتقاد بتشابه استجابات الفقراء في المواقف الاجتماعية المختلفة إذ تشير الدراسات أن الفقراء يختلفون فيما بينهم في مدى استجاباتهم مثل ما يختلف أيضاً الأغنياء في استجاباتهم ويرى أن الفقراء يستخدمون القيم التي يتصفون بها للدفاع عن الخبرات التي اكتسبوها في ظل الحرمان مما يعوقهم عن تبني فرص جديدة، كما يرى أن الفجوة بين معايير السلوك ومعايير الطموح كبيرة لدى الفقراء ذلك لأن فرص الاختبار أمام الفقراء محدودة، إذ يؤدي انخفاض مستوى الدخل وعدم توافر الأمان الاقتصادي إلى زيادة التباعد بين معايير الطموح ومعايير السلوك في جوانب الحياة المختلفة.

(1) Lewis Oscar: five families, New York, Basic Books, 1969, p40.

إلى جانب ذلك انتقد والتر ميلر نظرية ثقافة الفقر إلى عملية التكيف الثقافي لأعضاء الطبقة الدنيا والمنظور الثقافي في عملية التغيير إذ يرى مؤيدو نظرية ثقافة الفقر أن الفقراء في وسهم أن يشاركوا أعضاء المجتمع قيمهم وطموحاتهم إذا ما أتيحت لهم أعمال تتلاءم مع قدراتهم مع توافر المصادر الاقتصادية الملائمة فهم يستجيبون للفرص والإمكانيات المتاحة التي تناسبهم ويؤدي ذلك إلى تغير في السلوك تبعاً لهذه الإمكانيات بينما يرى ميلر Miller أن الفقراء يقاومون التغير بسبب القيم الموجودة لديهم وأيضاً بسبب اتجاهات ونظرة المجتمع إليهم وأن التغيرات التي تحدث هي التي تتلاءم مع ثقافتهم.

أما مارشال كلينارد M.Clinard فإنه يرى أن مفهوم ثقافة الفقر يحيطه غموض كبير نتيجة للخلط بين المفاهيم التي تستخدم في دراسة أنماط من الجماعات الفقيرة مثل ما يعرف بالثقافات الفرعية والثقافات الاثنية أو العرقية الفرعية^(١)، وبصفة عامة فإن نظرية أوسكار لويس عن ثقافة الفقر قد أثارت انتباه الباحثين إلى أهمية النظر بعين الاعتبار لمكانة الطبقة الدنيا في التدرج الطبقي للمجتمع حيث تنمو بينها ثقافة الفقر وعلاقتها بالطبقة الوسطى والطبقة العليا وباقي ثقافة المجتمع والوعي الطبقي، كما تثير تساؤلات أكبر عن مدى إمكانية الادعاء بقيام ثقافة

(١) محمد حسن غامري: ثقافة الفقر، دراسة في أنثروبولوجيا التنمية الحضرية، الإسكندرية، المركز العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م، ص ٩١ - ٩٥.

مماثلة تسمى ثقافة الغنى واعتبار مجالها البشري الطبقة العليا في المجتمع مقابل ثقافة الفقر التي تحمس لها بعض الأنثروبولوجيين أمثال العالمين لي راين ووتر Lee Rainwater، أوسكار لويس O. Lewis وعلى أي حال فإن نظرية ثقافة الفقر ما زالت تحتاج إلى أسانيد وبراهين كثيرة ومزيد من البحوث الأنثروبولوجية الحقلية التي تدعمها ولكنه برغم كل ذلك فإنها تعبر مدخلاً تحليلياً هاماً لدراسة مكثفة للطبقة الدنيا في المجتمع وجماعات الفقراء فيه تفيد خبراء التنمية والتخطيط لاختيار النماذج التنموية الأنسب للدول الفقيرة والبلاد النامية لضمان نجاح برامج وخطط ومشروعات التنمية الشاملة فيها بعيداً عن مواجهة التحديات الثقافية التي تثيرها ثقافة الفقر.

الفصل العاشر

الإسكان العشوائي

أولاً: مشكلة الدراسة

ترتبط التنمية بأنواعها المختلفة في أي مجتمع بما تقدمه للإنسان من رعاية وخدمات في المجالات الحياتية المتنوعة (تعليم، صحة، ثقافة إسكان... الخ) وذلك لتوفير حياة كريمة أكثر رضا للإنسان باعتباره وسيلة وهدف التنمية في ذات الوقت.

ويعتبر تزايد السكان في العالم الثالث بصفة عامة وفي جمهورية مصر العربية بصفة خاصة من أهم معوقات التنمية بما يشكله هذا التزايد من خطورة في التهامه لأي ارتفاع في معدلات التنمية وبالتالي يضعف تأثير كل الجهود والخطوات المجتمعية التي تسعى إلى تحسين أوضاع وظروف المجتمع وأفراده للوصول بهم إلى مستوى لائق من الحياة.

ولقد أفرزت قضية التزايد السكاني في مصر العديد من الأوضاع والمشكلات المجتمعية ومن أبرز هذه المشكلات سكن العشوائيات باعتبارها أحد أنماط الإسكان الذي يأخذ شكلاً غير قانونياً أو غير رسمياً *Informal housing* ذلك النمط الذي ظهر نتيجة الزيادة السكانية الهائلة أو لزيادة حجم الأسرة بما لا يتناسب مع المكان الذي تعيش فيه الأسرة مما جعلها تضطر إلى البحث عن مسكن بديل آخر لمواجهة زيادة حجمها حتى لو كان هذا البديل غير قانوني أو غير رسمي.

وتعتبر مشكلة الإسكان في مصر من المشكلات التي لم يتوفر لها حلاً جذرياً حتى الآن فضلاً عن أنها أنتجت مشكلة أصبحت مصدراً لمعاناة المجتمع ألا وهي مشكلة سكان العشش والإسكان العشوائي ذلك النوع من الإسكان الذي تضخم وتزايد بشكل مستمر مما يمثل خطراً شديداً على المجتمع خاصة من الناحية الأخلاقية^(١).

وحرى بنا أن نشير إلى أن الإسكان العشوائي في مصر يعتبر إسكاناً غير قانوني لأنه يناقض سواء بالنسبة لقوانين المناطق بصفة عامة التي تحرم إقامة المباني السكنية على الأرض الزراعية أو القوانين بصفة خاصة^(٢)، وإذا كنا نعتبر الإسكان العشوائي هو إسكان غير قانوني فهو في الوقت عينه إسكان فقير تلك التي تعد إحدى إشكاليات السكن في بلدان العالم الثالث أو حسبما أشار إليه السيد الحسيني فهو واحدة من أخطر وأعقد المشكلات التي نواجهها فهي ليست مجرد مشكلة اقتصادية يمكن مواجهتها من خلال تدبير مزيد من الاستثمارات وتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية كما أنها ليست مجرد مشكلة هندسية فنية يمكن حلها بتصميمات معمارية أفضل وتكنولوجيا أكثر تقدماً وإنما هي مشكلة بالغة التعقيد تتداخل فيها شبكة ضخمة من العوامل والمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية وحتى المكانية، كما يرى إنه إشكالية تعكس

(١) ممدوح الولي: سكان العشش والعشوائيات، الخريطة الإسكانية للمحافظات، نقابة المهندسين،

القاهرة، ١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق.

طبيعة التطور الاجتماعي والاقتصادي بما تتضمنه من قوى وتفاعلات أي أن سوء الأحوال السكانية أو تقدمها والتفاوت في الأوضاع السكنية من طبقات المجتمع تعبر جميعاً عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية لبد ما^(١).

ويشير تقرير للمجلس القومي للخدمات والتنمية عام ١٩٩٢م على أن زيادة الطبيعة في معدلات السكان في مصر هي المسئولة عن تضخم سكان المدن بالإضافة إلى عامل الهجرة إلى المدن، ويشير التقرير أيضاً إلى أن كل من العاملين السابقين: الزيادة الطبيعية في السكان والهجرة خلقا ما يسمى بالمأزق الاقتصادي والاجتماعي والذي يتمثل في عدم توفر متطلبات السكن اللائق والهبوط إلى مستوى من الإيواء غير المقبول إنسانياً، ولقد ساهم هذا المأزق الاقتصادي والاجتماعي في وجود ثلاث ظواهر فرضتها الحاجة الضاغطة للسكة أولها ما يسمى بعشش الصفيح Shanty town وثانيهما الإسكان الهامشي Marginal وثالثها نشوء أحياء بطريقة عشوائية على هوامس المدن أو بداخلها.

أن تقاوم ما يسمى بالأزمة الحضارية نتيجة الظواهر التي أشرنا إليها تعد نتيجة أساسية لمجموعة من التغيرات التي طرأت على المجتمعات الإنسانية التي غيرت من مقاييس البناء الحضري والنمو الذي شهدته هذه المجتمعات والواقع أن ذلك لا ينطبق على المناطق الداخلية للمدن فحسب

(١) السيد الحسيني: الإسكان والتنمية الحضرية، دراسة للأحياء الفقيرة في مدينة القاهرة، مكتبة غريب الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١م.

بل أيضاً على الضواحي والأطراف الحضرية وجددير بالأمر أن مفهوم الأزمة الحضرية لا يقف عند التصور السابق فقط بل ينعكس أيضاً على النقص في فرص الحياة وتوفير السكن الملائم وتوفير الخدمات اللازمة تلك التي تتناقص من منطقة إلى أخرى فضلاً عن ظهور كثير من المشكلات المجتمعية والتدهور في الأحياء المختلفة.

مما سبق عرضه يتضح أن مشكلة البحث تكمن في ظاهرة قيام المناطق العشوائية غير القانونية بالمدن مما يؤدي إلى ظهور جيوب سكنية متخلفة في المدينة والتعدي على الأرض الزراعية الخصبة نتيجة لكونها مراكز جذب المهاجرين من القرية إلى المدينة نظراً لتدني مستويات الحياة الاجتماعية فيها حيث يتم إقامة هذه المساكن دون مراعاة للقواعد والأسس الصحية والاجتماعية والعمرانية فيها هذا إلى جانب انعدام خدمات البنية الأساسية فيها عند بداية نشأتها وانعدام التخطيط العمراني لها مما يؤدي غلى تحويلها في كثير من الأحيان إلى عشش واحياء متخلفة Slum Areas تكون بؤراً ومراكز للجريمة والأمراض الاجتماعية الأخرى، وتجلب هذه المجتمعات غير القانونية العديد من المشكلات باعتمادها على فرض سياسة وضع اليد وضع الحكومة أمام الأمر الواقع بما تحمله هذه الظاهرة من أخطاء مما يضطر الحكومة تحت ضغط المطالبة الجماهيرية إلى إدخال بعض المرافق وخدمات البنية الأساسية في ظل هذا النمط الإسكاني المشوه وما ينتج عنه من آثار سيئة.

لذا فإن هذا البحث يسعى إلى دراسة ظاهرة النمو الحضري غير المخطط وتناميها بشكل لافت للنظر في عدد من الأحياء الشعبية الفقيرة التي تمثل أطراف مدينة الفيوم معتمدة على الامتداد العمراني العشوائي في كل من حي دار الرماد في شرق الفيوم، حي الشيخ حسن غرب المدينة مما أدى إلى نمو مجتمعات محلية غير قانونية في ظل التخطيط العمراني الذي يضع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والصحية والعمرانية موضع الاعتبار.

ثانياً: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١- التعرف على الأسباب التي أدت إلى نشأة المناطق العشوائية وتناميها.
- ٢- التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مجموعها لسكان المناطق العشوائية وهذا تشمل:
 - اقتصادياً: الملكية- فرص العمل- ساعات العمل- الادخار- مستوى السكان- متوسط الأجر- تكنولوجيا الإنتاج- الدوافع إلى الهجرة- العمل السابق- المواطن السابق
 - اجتماعياً: توزيع وشكل المنازل- طبيعة المسكن- العلاقات الاجتماعية- المعايير- الطموح- وقت الفراغ- الصراع الطبقي- الخدمات- مدة الإقامة بالمجتمع الجديد- الحاجة إلى روابط إقليمية.
- ٣- وضع تصور مقترح لمواجهة ظاهرة الإسكان العشوائي.

تساؤلات الدراسة

سعت الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:-

- ١- ما ملامح الشخصية الهامشية؟
- ٢- ما طبيعة الظروف الاقتصادية للتجمعات الهامشية؟
- ٣- ما طبيعة الظروف الاجتماعية للتجمعات الهامشية؟
- ٤- ما التصور المقترح لمواجهة ظاهرة الإسكان العشوائي؟

ثالثاً: الإجراءات المنهجية

ينطلق هذا البحث من استراتيجية منهجية تتسم بالشمول والتكامل إذ تتبنى مجموعة من المداخل التي تستند على استخدام عدد من المناهج العلمية مثل المنهج الأنثروبولوجي والمسح الشامل، منهج الدراسات الكشفية الاستطلاعية تحت إشراف فريق عمل من الباحثين المتخصصين في الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس.

ولقد مر البحث بثلاثة مراحل رئيسية على النحو التالي:-

- ١- المرحلة التمهيديّة: وشملت التعرف على المجتمعات المحلية ومقابلة القيادات المحلية (الرسمية وغير الرسمية) دراسة خطة العمل الميداني، اختيار وإعداد أدوات البحث المناسبة وتصميمها وتدريب الباحثين الميدانيين على تلك الأدوات عن طريق لعب الأدوار وتبادلها بين المتدربين مرة كباحث ومرة كصاحب منزل.

٢- **المرحلة التنفيذية:** وشملت تجريب أدوات البحث، توزيع العمل على مجتمعات البحث ورفع المنطقة وترقيم المنازل، تعديل استمارة البحث بعد اختيارها، والتأكد من درجة الصدق والثبات لها، وجمع البيانات عن طريق المسح الشامل لجميع أسر مجتمعات الإسكان غير القانوني في كل من حي دار الرماد والشيخ حسن.

٣- **مرحلة تفرغ البيانات وتحليلها وإعداد التقرير النهائي للبحث.**

وفيما يلي وصف لبعض ما تم من إجراءات في الخطوات التنفيذية للبحث.

مجتمع البحث وجمع البيانات

تمشياً مع المنهج العلمي العام للبحث وما تنبأه من استراتيجية منهجية متعددة المداخل تركز على الشمول والتكامل سواء في الأطر النظرية الموجهة للبحث أو للأدوات التي يعتمد عليها الباحثين في جمع المادة العلمية، انطلقت رؤية الفريق البحثي أيضاً من وقائع مجتمع البحث ومن خلال العديد من الزيارات الميدانية تكونت فناعة مؤداها ضرورة تنوع المناهج المستخدمة حتى يمكن الوصول لرؤية شاملة لكل خلفيات موضوع البحث والاستفادة بالميزات النسبية لكل منهج أو أداة إذا ما استخدمت منفردة ومن ذات المنطق كان التعامل مع قضية مجتمع البحث وكيفية جمع المادة العلمية من الميدان.

وفي الصفحات القادمة سنحاول التعرض لوصف كيفية تحديد مجتمع البحث التحديد الأمثل والتعامل مع مفرداته المختلفة والخطوات والإجراءات التي تمت لرفع هذا المجتمع على خرائط استرشادية لتنظيم عملية جمع البيانات.

تحديد مجتمع البحث مكانياً (المجال المكاني)

بداية كانت هناك إجراءات عديدة لفتح قنوات الاتصال والحوار على الجاني الرسمي أو الشعبي للمساعدة في تحديد المناطق العشوائية في مدينة الفيوم، حيث قامت لجنة الاتصالات والاستطلاع المشكلة من بين فريق أعضاء البحث بعدة مقابلات مع الجهات المختصة والجهات العليا في المحافظة، استهدفت بذلك الحصول على القوانين المنظمة للإسكان والإحصائيات الخاصة بتطور الإسكان غير القانوني بمدينة الفيوم وكذلك الإجراءات التي اتخذتها تلك الجهات وتحديد المناطق المنتشر فيها الإسكان العشوائي.

قامت اللجنة العامة التي تضم كل فريق البحث باستعراض نتائج هذه الزيارات والمقابلات وكذلك آراء الجهات التي تعاونت مع هيئة البحث في هذا الشأن وهي مجلس المدينة متمثل في الإدارة الهندسية حيث أجمعت آرائهم حول تركيز هذه الظاهرة في أحياء دار الرماد وحي الشيخ حسن بصفة أساسية.

ومن هنا كانت قرار هيئة البحث بتحديد المجال المكاني للبحث

بالمنطقتين التاليتين:-

١- أرض جعفر بحي دار الرماد

٢- منقطة الحاكرة بحي الشيخ حسن

وبناء عليه تمت الخطوات التالية:

قامت لجنة الاتصال والاستطلاع بالاتصال بمصلحة المساحة وهيئة التخطيط العمراني بالفيوم للحصول على خريطتين للمنطقتين العشوائيتين موضعاً الموقع الجغرافي لها وتكشف في الوقت نفسه عن الحدود الجغرافية لهاتين المنطقتين قبل أن يتحوّل إلى منطقة للسكن العشوائي.

ثم الحصول على خريطة لأرض جعفر موضعاً عليها الشوارع الرئيسية والفرعية أما بالنسبة لمنطقة الحاكرة فلم تستطع لجنة البحث الحصول على خريطة لها فقامت بمساعدة مجموعة من الباحثين بعمل خريطة كروكية للمنقطة موضعاً عليها الكتلة السكنية بمختلف مبانيها ومرافقها بعد زيارة ميدانية عدة مرات تمت تحت إشراف مقرر البحث.

تلي ذلك قيام لجنة البحث بجولتين تفقديتين بمنطقتي البحث بهدف جمع مجموعة من الملاحظات من حيث الشوارع والحياة فيها وكذلك التعرف على بعض القيادات غير الرسمية في المنطقة والتحدث معهم

بشأن البحث حتى يكونوا عوناً للباحثين الميدانيين وفي الوقت ذاته يعتبر
أعلام عن البحث في المنقطة وكانت مجموعة من الإخباريين من بين
سماسة الأرض والبقالين وأصحاب المخابز.

وبناء على ما سبق واستناداً إلى الخرائط تم تكثيف فريق من
الباحثين الميدانيين برفع أسماء الشوارع والحارات والأزقة وتسجيلها على هذه
الخرائط وذلك بغية تحقيق قدر من التحكم بالنسبة لفريق العمل الميداني
بحيث ييسر تقسيم الباحثين وتوزيعهم على الشوارع المختلفة استعداداً
للتطبيق الميداني.

وبعد ذلك قامت لجنة البحث ومعها مجموعة من الباحثين
الميدانيين بعمل ترقيم للمنازل في جميع شوارع المنطقتين وفعلاً بلغ عدد
المنازل في أرض جعفر بحي دار الرماد ٣٢٦ منزلاً موزعة على الشوارع
الرئيسية والفرعية بالمنطقة، وبلغت عدد المنازل بمنطقة الحاكرة بحي
الشيخ حسن ٣٥٦ منزلاً في جميع الشوارع الرئيسية والفرعية.

وتبين أيضاً أن حوالي ٧٨٪ من المنازل بالمنطقتين لها واجهة
واحدة وحوالي ١٨٪ لها واجهتان وقليل جداً لها ثلاث جهات مما يدل على
عشوائية البناء وعدم الخضوع للتخطيط والتنظيم.

- وبمناقشة نتائج الترقيم والعينة قررت هيئة البحث أن يكون البحث
بطريقة المسح الشامل لمنطقتي البحث في المنطقتين ٦٨٢ منزلاً.

- وبذلك أضحي مجتمع البحث محددًا مكانياً تحديداً دقيقاً بالنسبة للباحثين الميدانيين وهيئة البحث ومهد الطريق للخطوات الإجرائية التالية والتي تمثلت في تجديد المجال البشري للبحث.

المجال البشري للبحث

التساؤل الذي طرح أمام هيئة البحث تمثل فيما إذا كان تنفيذ البحث بطريق المسح الشامل لمنطقتي البحث؟ أم سيكون عن طريق العينة العشوائية أو العمدية من مفرداته، حسم الموقف بقرار هيئة البحث بأن يكون بطريقة المسح الشامل لمنطقتي البحث، لأنه يحقق وفرة في المعلومات والبيانات ويلئم طموح هيئة البحث في الوصول إلى نتائج صادقة تعبر عن الواقع المعاش وتظهر الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة والتي لا يمكن الوصول إليها كهدف بطريقة جيدة إلا عن طريق المسح الشامل لمجتمع البحث.

ومن هنا بلغت عينة البحث في المنطقتين ٦٨٢ منزلاً حيث اتفق على أن تكون المفردة في مجتمع البحث هي المنزل.

وتبين أن نسبة ٩٣٪ من أصحاب المنازل بالمنطقتين يسكنون نفس المنازل بالحي وأن ٧٪ فقط من أصحاب المنازل هم الذين يسكنون خارج الحي.

الاتجاهات النظرية للعشوائية

بادئ ذي بدء ينبغي الإشارة إلى أن ثمة تباين واضح بين المعنى النظري لمفهومى التحضر urbanization والنمو الحضري undan Growth فالأول يشير إلى الظاهرة نفسها أما الآخر فيعني بالكيفية التي تنتج ظاهرة التحضر أو بالأحرى عن الأسباب التي تدفع إلى تنامي ظاهرة التحضر بل وتفجرها ويقول آخر أن النمو الحضري يعني زيادة أحجام المدن بل التضخم في زيادة أحكام عدد السكان ما يسمى بالتحضر والنمو الحضري فلا مندوحة أيضاً من أن تفرق بين ما يسمى مستويات التحضر، أو ما يطلقون على بدرجة التحضر في المجتمع Urbanization Degree of أو زيادة درجات التحضر الناتج عن زيادة أعداد السكان والمفهوم الأول، أقصد مستويات التحضر فإنه يشير إلى ثلاثة مستويات أساسية هي:

١- التحضر المتوازن Balanced Urbanization

٢- التحضر غير المتوازن Unbalanced Urbanization

٣- التحضر الحديث Modern urbanization

ويجدر بنا أن نشير في هذا إلى أن المستويات الثلاثة السابقة التحضر تأتي في ظروف خاصة وتصاحبها بالتالي ظروف خاصة أيضاً لذا فإنه بإمكانها إقامة التفرقة بين المجتمعات الإنسانية من حيث مدى تحضرها.

ولكن في هذا الإطار ينبع تساؤل عام مفاده ما المقصود بهذه المستويات الثلاث.

وبإطلاء سريعة يمكن القول أن النوع الأول أقصد التحضر المتوازن يسود عندما تتوازن فرص الحياة والمعيشة والعمل في المدينة مع سكانها والمهاجرين إليها من الريف أو من هوامش المدن أو من الخارج ويتميز هذا المستوى بسيادة الاستقرار والثبات، ناهيك عن عدم وجود اختلافات بين الناس وفرص الحياة ومن المهم أن نوضح هنا إلى هذا النوع من التحضر يسود المجتمعات التي تتسم بالتخطيط الدقيق الذي تسيطر فيه الدول على عمليات الهجرة سواء من الداخل أو من الخارج.

أما النوع الثاني أعلى التحضر غير المتوازن فإنه ينقسم إلى نوعين الأول هو ما يطلق عليه بالتحضر الزائد Over Urbanization ويقصد به زيادة سكان دول ما عن الفرص المتاحة على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية حينما تزداد عملية الزيادة السكانية إما بسبب الزيادة الطبيعية أو عن طريق عملية الهجرة الداخلية والخارجية، أما النوع الآخر يقصد به التحضر الناقص Under Urbanization الذي يعني وجود اختلافات حضرية نتج حينما تعجز الدولة عن إتمام مشروعات حضرية أو بمعنى آخر أن التحضر الناقص يشير إلى وجود اختلافات في عمليات التوازن الريفي الحضري ناهيك عن وجود تناقص في عدد السكان أمام عمليات استيعاب الفرص الحضرية المتاحة.

وإذا كنا فيما سبق قد أشرنا إلى مستويين من مستويات التحضر فينبغي لنا هنا الإشارة إلى النوع الثالث والأخير ألا وهو التحضر الحديث وذلك الذي يقصد به التحضر العصري الذي يعد مرحلة لاحقة للتحضر ويقصد به الأخذ بالأساليب العصرية والحديثة في استيعاب السكان في كل الفرص المتاحة وتحقيق التكافؤ بين ما هو متاح من فرص وبين عدد السكان^(١).

وغنى عن البيان أن تقدم البشرية وقدرتها على شغل الحيز المكاني المتاح ساهم في اتساع المدينة وامتدادها تلك التي تعد نتاجاً لتطور البشرية ونموها وزيادة إعدادها.

إن نمو المدن نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية سمح بوجود نوعين من النمو الأول ما يطلق عليه بالنمو العشوائي التراكمي أما الآخر فيشير إلى النمو العشوائي متعدد النويات Ploy Nuclear Expansion ويقصد بالنمو العشوائي التراكمي ذلك النوع الذي يتم دون خطة موضوعة عن طريق ملء الأرض الفضاء داخل حدود المدينة أو بإقامة المباني عند أطرافها.

(١) وليد عبد الله عبد العزيز المنسي: جغرافية الحضر عند المدارس الغربية، دراسة منهجية، حوليات كلية الأدب، جامعة الكويت، ٩٢-١٩٩٣م، ص ٤٩.

إن النمو العشوائي التراكمي يعد امتداداً للمدينة واتساعاً لرفعها اعتماداً على الفرص المتاحة والمبادرات الفردية حيث ابتلاع الأراضي المجاورة والتوسع في الأراضي الخالية.

إن عملية الامتداد غير الطبيعية وغير الخاضعة للتخطيط هي المسؤولة عن ظهور ما يسمى بالمناطق العشوائية أو ما يسم في أدبيات التحضر بأحياء أو عشش الصفيح Shanty Town التي تقام في العادة على أطراف المدن دون وجود أي نوع من الخدمات مثل المياه أو المجاري أو الكهرباء فضلاً عن تمتعها بكثير من الأمراض والظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة.

أما النوع الثاني من نمو المدن فإننا نعني به كما سبق أن أشرنا في السطور السابقة بالنمو العشوائي متعدد النويات ذلك النوع الذي يخالف النوع الأول ويتناقض معه إن هذا النوع يقوم حينما توجد نواه عمرانية جديدة تحاول الانفصال عن إحدى المدن القديمة نتيجة لعمليات الانفصال العرقي أو حتى للتمايزات الاجتماعية^(١).

إن عمليات التحضر السريع في فترات ما بعد الحرب العالمية الثانية خاصة في بلدان العالم الثالث فقد شكلت كوكبة من المشكلات الاجتماعية في محيط الحياة الحضرية فإذا كانت مشكلة العشوائية هي

(١) فتحي أبو يعانة: جغرافية العمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٢٠٤.

إحدى صورها فإنه لا ينبغي أن نغفل عمليات التكديس السكاني وترييف المدينة Ruralization of city الناتجة عن عمليات الخروج الريفي إلى أطراف المدينة وإقامة المناطق العشوائية وإنشاء مناطق العشش والأكوخ عن طريق وضع اليد على الأطراف.

والجدير بالذكر أن هذا النمط من السكان يأخذ أشكالاً متباينة

نعل أبرزها ما يلي:

١- المعسكر الانتقالي وهو عبارة عن مأوى مؤقت للقادمين الجدد والذي يكشفون عن درجات عالية من الانتقال والتحرك كقفرة سريعة نحو التكامل الحضري.

٢- المستوطن الثابت أو الدائم نسبياً لأشكال معينة من العمالة التي ترتبط بالمناطق الحضرية المجاورة مثال ذلك جمع وتنصيف وإعادة بيع النفايات والخردة وفي بعض الأحيان قد يكون الاقتراب وسهولة الوصول إلى مناطق الأعمال والالتحاق بأعمال عارضة في مجال الخدمات من العوامل التي تثبت الإقامة في هذه المناطق.

٣- أما النمط الثالث فيتمثل في إقامة بعض المصانع الصغيرة والورش والمحلات التي يمكن أن تعمل وسط ظروف صعبة وفقيرة وقد يرتبط بعضها بالإحياء والمناطق التجارية والصناعية.

٤- وأخيراً يتميز النمط الرابع بنشاطاته الخاصة وغير المشروعة كالعدارة وبخاصة من بالقرب من المعسكرات الحربية والتسول والسرق وبيع المعدات الحربية والأدوات المسروقة والمنهولة أو المهربة وهناك بطبيعة الحال أنماط أخرى مختلفة.

ولا يغيب عن أذهاننا أن نشير في هذا المقام إلى ما يسمى بالتكاثر الحضري Undan Sprawl ذلك النمط الذي يخالف مناطق الأكواخ أو عشش الصفيح والذي يعد في نفس الوقت عينة ونمطاً سكانياً خالصاً للجماعات الاجتماعية العليا وعلى الرغم من أن هذا النمط السكاني الأخير يتباين عن الأنماط التي ذكرها لها قبل قليل إلا أنه يثير مجموعة من المخاوف لا تقل خطورتها عما يرتبط بمناطق الأكواخ تلك التي تتمثل في ارتفاع أسعار الأرض وتمزيق وحدة المنظر الطبيعي العام وارتفاع النفقات الاجتماعية في مجال الخدمات الاجتماعية الحضرية وازدحام حركة المرور .

إن انتشار الأحياء العشوائية في بلدان العالم الثالث تعد من أكبر المشكلات الحضرية حيث إن سوق الإسكان يستوعب كل مخرجات الانفجار السكاني ومن ثم فلا يقوي على استيعاب الخروج الريفي الحضري كله وعميلات الزيادة الطبيعية أن الاختلالات الحضرية الناتجة عن عمليات عدم استيعاب المدن لأبنائها أو حتى لأبناء المناطق المجاورة ساهم في نشأة المناطق العشوائية غير الخاضعة للتخطيط أو قل غير

الخاضعة لأملاط الدولة وعلى الرغم من اختلاف الأسماء التي تطلق على هذه المناطق في العالم الثالث إلا أنها تؤدي نفس الوظائف التي تؤديها في كل مكان فهي تأوي أصحاب الموارد القليلة الذي يلجأون إليها ويقومون في أماكن تبني من قطع الاخشاب والمعادن ويقل فيه الخدمات والمرافق والبنية الأساسية وتزدحم بكثير من الإشكاليات البنائية التي تهدد حياتهم ويهم أن نوضح هنا إلى أنه على الرغم من افتقار هذه المناطق للاحتياجات الأساسية والخدمات وكذا اعتمادها على اغتصاب الأراضي المملوكة للدولة إلا أنها تضم ما ينوف عن ثلث عدد السكان الحضريين.

وإذا كنا هنا نركز بصورة أساسية على الأحياء العشوائية وسكانها فينبغي الإشارة إلى أن هذه الأحياء غالباً ما توصف بالمناطق المتخلفة السيئة الذي يرى بعض العلماء أنها تشير إلى المناطق غير المنتظمة Gist، أو كما يرى آخرون أنها تشير إلى المناطق الفاسدة Bergel أو حيث يراها فريق ثالث بأنها غير قانونية Unlegal وبغض النظر عن هذه المفهومات أو حتى الوصف والخصائص فإنه يمكن القول أن هذه الأحياء تتصف بسيادة أحوال سكنية متدنية وغير ملائمة حرى بنا أن نوضح هنا أن هذه الأحياء تعد انعكاساً حقيقياً لمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة.

وفي هذا الإطار ينبغي الإشارة إلى أن ثمة تقسيمات لهذه

الأحياء ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الأحياء المتخلفة الأصلية Original

وهي تعد أحياء ذات مساحة متخلفة بالأساس وتتكون من مجموعة من المباني غير الملائمة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال تحسينها لذا يحتاج الأمر إلى إبادتها أو قل إنهاء وجودها.

ثانياً: احياء مختلفة جديدة

وهي الأحياء التي نشأت نتيجة بعض الهجرات إليها مثل هجرة أبناء الطبقة الوسطى وهي أحسن حالاً من النوع السابق ولكنها تتسم بالفساد سواء في منظرها الخارجي أو حتى في وجود بعض الخدمات الضعيفة فيها وهي دائماً ما تنتظر من الدولة النظر إليها حيث توفير ما تحتاجه من خدمات أساسية.

ثالثاً: الأحياء المتخلفة البائسة Slums

وهي الأحياء الأكثر فقراً وتوحشاً حيث سيادة الحرمان على كافة الأصعدة فضلاً عن انتشار الفساد بشتى صوره فإذا كان النوع السابق ينتظر الإصلاح فإن النوع الراهن يتحدى الإصلاح بل يدير له ظهره خاصة وأنه يضم الفئات المنبوذة من السكان والمشردون والشحاذون والسكرارى والعاشرات والمشتغلون بالأعمال الخدمية المتدنية⁽¹⁾.

1) (Bergel E: Urban spciology Mac Grw- Hill, New Yprk, pp420- 423.

إنه وفقاً لما سبق يمكن القول أن الأحياء العشوائية أو قتل المتخلفة تمثل في مجملها مناطق البأس Slums of Despair تلك التي تعتبر موطناً لكثير من السكان الذي لفظتهم المدينة والتي في الوقت نفسه يعتبرون من العاجزين اجتماعياً عن إيجاد مكان يسعهم في المدينة أو بقول آخر أنهم الفئات الاجتماعية الذين هزمتهم وأدارت لهم ظهرها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية وجعلت أيدهم مغلولة أمام الحصول على سكن مناسب لهم في المدينة الأصلية⁽¹⁾.

ويجدر أن نشير إلى أنه في إطار التعرض لدراسة الإقامة العشوائية فهناك من يحاول الربط بين السكن أو الإقامة العشوائية والفقير.

ثمة رؤية أن الأحياء العشوائية التي تعد من أكثر المناطق الحضرية تخلفاً تعد مأوى لكثير من الأسر الفقيرة فإذا كان مانجن قد حاول التعرض لهذه القضية من خلال نقص الخدمات الحضرية الضرورية واللازمة للإقامة في هذه المناطق، فهناك أيضاً من حاول التعرض إليها من خلال ما يسمى بثقافة الفقر أو الهامشية أو الازدواجية الحضرية أو القطاع غير الرسمي.

1) Stokes C: A theory of slums in desai- A- and pillais S: slums and Urbanization, Bombay1970.

لقد حاول ربط السكن العشوائي بالمفاهيم التي ذكرناها توأً لذا نجد هناك أربعة مداخل أكاديمية تهتم بدراسة هذا النوع من الإقامة وهذه المداخل هي:

١- مدخل ثقافة الفقر

٢- مدخل الهامشية

٣- المدخل الراديكالي

٤- المدخل الأنثروبولوجي

وبالنظر إلى المداخل الثلاثة الأولى نجد أن هناك إسهامات اجتماعية هامة لربط السكن العشوائي بقضية الفقر إذ من خلال ذلك استطاعوا تقديم إسهامات نظرية هامة في الإطار لقد نفت هذه المداخل ارتباط عملية التحضر بالأحياء المتخلفة والهجرة ومشكلاتها فضلاً عن ارتباطها بالكثافة السكانية والحراك والتنوع العرقي والتناسب الديموجرافي والتباين الاقتصادي^(١) أما المدخل الأخير فقد حاول دراسة الأحياء العشوائية من خلال وجود ثقافة خاصة بهم^(٢).

(١) إسماعيل طيرة: الهامشية بين الخرافة والواقع، المستقبل العربي (مجلة) العدد ١٥٣، بيروت ١٩٩١، ص ٣٠.

(٢) حول هذا المدخل راجع: محمد لجوهري وسعاد عثمان: دراسات في الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص ٥٤ - ٥٥.

وإذا كنا بصدد الحديث عن المداخل النظرية التي أولت قضية العشوائية اهتماماً خاصاً فإنه يمكن غض الطرف عن أحد المداخل الهامة الأخرى ألا وهو مدخل اللارسمية الذي يرى أن هناك قطاعاً غير رسمي أو غير شرعي يتواجد بجانب النمط الرسمي ويتمثل هذا النمط في التركيز على أساليب الإنتاج غير الرسمية التي تنغمس مع الأنماط الرسمية^(١) أو بمعنى آخر أن هناك نمطاً رسمياً يتواجد مع النمط غير الرسمي ذلك الذي يمثل نمطاً غير متجانس أن هذا النمط يتواكب مع نمط رسمياً يتواجد مع النمط غير الرسمي ذلك الذي يمثل نمطاً غير متجانس أن هذا النمط يتواكب مع نمط الإنتاج الكبير الذي تتميز به مجتمعات العالم الثالث حيث يتعايش ويتواجد ويتحاور مع أنماط الإنتاج القديمة مع الحديثة جنباً إلى جنب.

إننا أمام ما سبق يمكن القول أن هذه المجتمعات كما أنها تشهد نمطاً إنتاجياً أو تطوراً رثاً فإنها تشهد أيضاً تحضراً رثاً سواء في معدلاته أو في العوامل التي تشكله، أن هذا التحضر وفق معانيه النظرية المتباينة يشير إلى الحديث أو النمو أو التقدم الاقتصادي فإذا كان هذا التعريف لا ينطبق على أوضاع العالم الثالث ومن ثم لا ينطبق على العالم المتقدم وحسب فإننا أمام ذلك يمكن القول أن التحضر في العالم الثالث ومن ثم مصر يشير إلى وجود أزمة حضرية تلك التي تتعلق بمعدلات النمو والاختلالات الهيكلية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي.

(١) انظر في ذلك عادل عازر، ثروت إسحاق: المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، ١٩٨٧م.

ثانياً: السكن العشوائي في مصر: حقيقته ودلالته

بداية يمكن التأكيد مرة أخرى على أن الأحياء العشوائية ترتبط بشكل مباشرة بالحركة المتسارعة للتحضر وبظاهرة الفقر الحضري ووجود بعض المواقع المتخلفة والميؤوس منها داخل المناطق الحضرية.

إذا كانت هذه الأحياء تضم من الأكواخ أو ما يسمى بمدن الصفيح أو أحياء واضعي اليد فإن هذه المناطق يعج بها معظم دول العالم الثالث (بلدان أمريكا اللاتينية وآسيا، أفريقيا).

وتوضح الإحصائيات أن أحياء واضعي اليد في مدن أمريكا اللاتينية قد تضخمت بصورة ملحوظة كما أنها أضحت أهمية إشكالية حضرية تعاني منها هذه القارة ففي مدينة ليما بلغ عدد سكان أحياء واضعي اليد في عام ١٩٥٨ نحو ١٠٠ ألف نسمة أي حوالي ١٠٪ من المجموع الكلي لسكان المدينة ثم تفاقم هذا العدد في عام ١٩٦٤م إلى نحو ٤٠٠ ألف نسمة أي حوالي ٢٠٪ من مجموع سكان المدينة، وفي مدينة ريودي جانيرو ارتفع عدد سكان أحياء واضعي اليد من ٢٠٣ ألف نسمة في عام ١٩٥٠ إلى حوالي ٦٠٠ ألف نسمة أي من ٨.٥٪ من مجموع السكان إلى نحو ١٦.٥٪.

وفي مدينة سنيتاجو وصل عدد الأسر التي تقطن أحياء واضعي اليد نحو ١٢.٥ ألف أسرة وذلك في عام ١٩٥٢ وبعد تسع أعوام بلغ عدد الأسر حوالي ١٦.٥ ألف نسمة أي بزيادة تقدر بنحو ٢٤.٢٪ أن المطلع على الدراسات يستطيع أن يستدل على أن أحياء واضعي اليد يمثل النمط المتخلف في مدن العالم الثالث، فضلاً عن تجسيدها للظروف الحضرية شديدة القسوة في دول أمريكا اللاتينية، أن هذه الأحياء تعتبر جيوباً ريفية داخل المدن لذا نجدها برغم أنها يسودها عمليات الاستقرار الاجتماعي بسبب وجود روابط الجيرة والقربى بين سكانها أن الطابع الغالب عملياً هو سيادة عملية التفكك الاجتماعي^(١).

وتشير الدراسات التي أجريت على الأحياء المتخلفة في ريود جانيرو إلى أن معظم سكانها تعود أصولها إلى الريف كما أن جزءاً منهم ينتمون إلى المدن أو المراكز الحضرية الصغيرة أن وجود هذه الأحياء لعلامة على رفض سكان المدن لها باعتبارها أحياء مؤقتة.

وإذا كنا قد تحدثنا عن المدن العشوائية في أمريكا اللاتينية فإننا نجد أن في آسيا نفس الخصائص إذا تشترك في معظم مشكلاتها الحضرية فعلى أطراف المدن تنمو أحياء الصفيح والخشب والكرتون أو قل من المواد البنائية المؤقتة فنجد في مانيل ما يزيد على ١٣٠ ألف نسمة يعيشون في هذه الأحياء وهم يمثلون ربع عدد سكان المدينة وأن هذه الأحياء تمتد لنحو

(١) السيد الحسيني، المدينة...مرجع سابق، ص ١٧٨ - ١٧٩.

أربعين كيلو متر على حدود مانيفلا بين أكوام الفضلات والنفايات والبرك وتعد مدينة سايجون أيضاً حالات ذات دلالة بالنسبة لمدن شرق آسيا إذ أصبحت من أكثر مدن العالم الثالث التي تعج بالمشكلات الحضرية فعلى أطرافها تنمو أحياء الخشي والكرتون التي تعكس أهم قضايا التخلف الحضري ومن ثم العشوائية^(١).

وإذا كنا قد عرضنا فيما سبق من سطور على بعض مشاهد السكن العشوائي بالقارة الآسيوية فلا يجوز لنا في هذا الإطار أن نتغافل التجربة الهندية التي تتمتع بنصيب وافر بالعشوائية أن أحياء الباسطى أو مناطق السكن الهامشي أو عبر القانوني أو واضعي اليد في الهند مثلها مثل المدن الأخرى في آسيا إذ تقع على الحدود الخارجية للمناطق الحضرية وعلى طول الطرق الرئيسية وجوار المشاريع البنائية أو في المناطق المتخلفة أو في المناطق القضاء البعيدة عن المدينة غالباً ما تضم هذه الأحياء السكان الجدد الوافدين على المدينة نتيجة عملية الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر الأمر الذي جعل أهم خاصية تتميز بها هو وجود كثافة سكانية مرتفعة فضلاً عن افتقارها إلى الخدمات الحضرية^(٢).

(١) محمد الجوهري وعلياء شكري: علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٦م، من ص ٢٠٨ وأيضاً السيد الحسيني، المدينة، مرجع سابق، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٢) السيد الحسيني: السكان الفقير من حضر العالم الثالث بين التشخيص والمواجهة في مجلة الوثائق والدراسات الإنسانية، السنة الأولى، العدد الأول، جامعة قطر، ١٩٨٩م، ص ١٥٩ - ١٠٠.

وراجع أيضاً نفس المؤلف: الإسكان والتنمية الحضرية، دراسة الأحياء الفقيرة في مدينة القاهرة، مكتب غريب، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

أن ما سبق يمثل إطلالة سريعة على أوضاع السكان العشوائى فى بعض مدن العالم الثالث ولما كان المجتمع المصرى يمثل إحدى تكوينات هذا العالم المتخلف فإنه من الواجب أن نفرء الجزء الغالب للحديث عن أوضاع العشوائية فى المجتمع المصرى بشكل عام ومجتمع الفيوم بشكل خاص.

فى إطار المجتمع المصرى نجد أن هناك ثمانى محافظات من بين محافظات الجمهورية تتمتع بوجود رقم هائل من المناطق العشوائية والذى فى الوقت عينه تعج بالكثير من السكان فعلى سبيل المثال نجد أن محافظة القاهرة تحوى نحو ٢١٩٣ ألف نسمة وأن الجيزة تضم نحو ٢٢٥٩ ألف نسمة والإسكندرية ١١٣ ألف نسمة والقليوبية ٩٣٨ ألف نسمة والدقهلية ٦٤٨ ألف نسمة، والغربية ٥٨٨ ألف نسمة والبحيرة ٤٠٤ ألف نسمة، أما أسيوط فتصيب هذه المناطق من السكان بلغ نحو ٤٠١ ألف نسمة وبالنظر إلى ٤٠١ ألف نسمة وبالنظر إلى نفس هذه المحافظات نجد أن عدد المناطق العشوائية فيها كانت على التوالى ٧٩، ٣٢، ٤٤، ٦٧، ١٠٩، ٤٧، ٦٦، ٤٩.

أما بالنسبة إلى عدد السكان بالمناطق العشوائية إلى نسبة عدد السكان بالمدن فى المحافظات فنجد أن محافظة دمياط بلغت نحو ٣٦.٧% والجيزة ٥٩.٩% ومطروح ٥٩.٦% وسوهاج ٥٦.٤% والمنيا ٤٨.٩% والقليوبية ٤٥.٩% والبحيرة ٤٢.٧% والإسماعيلية ٣٧.٢%.

وبإلقاء الضوء على إحدى صور العشوائية ألا وهي سكن العشش فإنه يتضح من خلال تعداد ١٩٨٦ أن عدد سكان العشش بلغوا نحو ٤٦٠، ٢٢٠ ألف نسمة أو نحو ٥١.٧٢٢ أسرة (انظر الجدول التالي) ويتوزع هؤلاء السكان على محافظات الجمهورية نجد أن نصيب محافظة شمال سيناء من إجمالي عدد سكان العشش بلغ نحو ١٩.٢ وسوهاج ١١.٨ وبورسعيد ٤.٨% وأسسيوط ٨.٣% وقنا ٦.٥% والإسكندرية ٦.٤% والقاهرة ٦.٣% والجيزة ٤.٨% والمنيا ٣.٢% وجنوب سيناء ٢.٨% والبحيرة ٢.٤% والغربية ٢.٣% والبحر الأحمر ١.٧% والدقهلية ١.٥% والمنوفية ١.٢% والفيوم ٠.٩% وبني سويف ٠.٩% وكفر الشيخ ٠.٨% ودمياط ٠.٨% وأسوان ٠.٧% والسويس ٠.١% والوادي الجديد ٠.٣%.

• يشترك مع هذا النوع من السكن مجموعة من أنواع السكن المبنية مثل الوحدات المشتركة، الحجرات المستقلة، المقابر وإسكان الإيواء، إسكان قبوات السلام والذكاكين والمخابئ والمساجد الأثرية.

جدول رقم (١) عدد سكان العشش على مستوى الجمهورية^(١).

العدد	المحافظة	العدد	المحافظة
٤.٢٥٣	مرسى مطروح	٤٢.٦٣٢	شمالى سيناء
٤.١١٦	الإسماعيلية	٢٥.٩٥١	سوهاج
٣.٩٣٨	البحر الأحمر	١٨.٦٢٦	بورسعيد
٣.٢٢٩	الدقهلية	١٨.٤٠٦	أسيوط
٢.٦٠٥	المنوفية	١٤.٢٤٦	قنا
٢.١٥٨	الفيوم	١٤.١٨٧	الإسكندرية
١.١٤٦	بنى سويف	١٣.٩٥٢	القاهرة
١.٩٨٤	كفر الشيخ	١٠.٧٧٢	الجزيرة
١.٨١٦	دمياط	٧٠.١٩	المنيا
١.٧٣٨	أسوان	٦.٠٧٩	جنوب سيناء
٠.٣٦٤	السويس	٥.٤٩٤	البحيرة
٠.٠٦٩	الوادي الجديد	٥.٢٠٤	الغربية
		٥.٠٦٢	الشرقية
٢٢٠.٤٦٠	المجموع		

(١) ممدوح الولي: سكان العشش والعشوائيات، الخريطة الإسكانية للمحافظات، نقابة المهندسين،
اقلاهرة ١٩٩٣م، ص ٤٣.

وإذا كنا قد أوضحنا بعض ملامح العشوائية على مستوى الجمهورية فإنه بالنظر إلى حجم المناطق العشوائية في الفيوم لوجدنا أنها بلغت نحو ٢٧ منقطة عشوائية يقطنها نحو مائة ألف نسمة ويمثلون نحو ٢٣٪ من سكان هذه المحافظة إذ يقيمون على مساحة خمسة كيلو مترات مربعة وتتوزع هذه المناطق على مدن المحافظة نجد أن مدينة الفيوم كان نصيبها نحو عشرة مناطق ومركز إيشواي أربع مناطق ومركز إطسا خمس مناطق وفي طامية أربع مناطق أما في سنورس فكان نصيبها نحو أربع مناطق فقط، إذا أردنا توزيع هذه المناطق على مدن المحافظة فإنه يتضح من الجدول التالي أن مركز الفيوم يحتل نسبة متقدمة بالنسبة إلى بقية المراكز حيث نجده يضم نحو ٤١.٥ ألف نسمة، ونجد مركز إيشواي يحوي نحو ١٣ ألف نسمة ومركز إطسا نحو ٦ آلاف نسمة ومركز طامية ٨.٧٪ ألف نسمة أما مركز سنورس فإنه يضم نحو ٢٤.٢ ألف نسمة وإذا ما أردنا ترتيب هذه المراكز من حيث أعداد سكان العشوائيات لكان مركز الفيوم في المركز الأول ثم يأتي مركز سنورس ثم إيشواي ثم طامية وأخيراً مركز إطسا.

جدول رقم (٢) المناطق العشوائية وأعداد السكان^(١).

المركز	المناطق العشوائية وعدد السكان بالآلاف
الفيوم	دار الرماد (٧) الكباين(٢)، قحافة الجديدة (٨)، الحادقة الجديدة (٤) عزبة جبيلي(٣)، الساحل (١.٥) الصيفية (٥) العلاوي(٩)، الحاكرة(٣) الشيخة شفا (١٣)
سنورس	سيدي عبد الكريم (٤)، ٦ أكتوبر (٤.٧)، أبو شعبة (٥.١) بطرة الزيني ٤.٤٪.
إبشواي	الشيخ صخر (١.٥) أبو صايم (٤)، العزبة (٦)، القماش (١.٥)
إطسا	الجبلي (١)، ميض (١.٥)، العابد (١)، السلام (١.٥)، الشراوة (١).
طامية	أبو جويد (١.٤)، الجلالية (٥.٣)، الصعايدة (٠.٥)، الشريف (١.٥).

وبالنظر إلى حجم سكان المناطق العشوائية في مدينة الفيوم نجدها بلغت نحو ٤١.٥٠٠ ألف نسمة أي بواقع ١٩.٣٪ من حجم عدد سكان المدينة الذي بلغ نحو ٢١٣ ألف نسمة وإذ كان ما سبق يمثل حجم سكان المناطق العشوائية فإنه بالنظر إلى السكان الذين يشتركون في نفس الظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى السكنية فنجد أن هناك حوالي ٢١٨ ألف أسرة تقيم في بيوت ريفية ٧١٠ في عشش وخيام وحوالي ١١١ في أنماط إسكانية متدنية وإذا ما أردنا أن نقف على توزيع هؤلاء وفقاً

(١) ممدوح الولي الدين: العشش.... مرجع سابق، ص ٢٩٥.

لتواجدهم الأيكولوجي، لوجدنا أن حوالي ٥٣ ألف أسرة من سكان البيوت الريفية تقطن بمركز إيشواي وأكثر من ٤٩ ألف أسرة بمركز إطسا و ٣٨ ألف أسرة بمركز سنورس وحوالي ٣٧ ألف أسرة بمركز الفيوم وحوالي ٢٩ ألف أسرة بمركز طامية، ١١ ألف أسرة بمدينة الفيوم وإذا ما انتقلنا إلى توزيع سكان الحجرات الشرك بالوحدات السكنية في مراكز الفيوم لوجد أنه نحو ٧٣٨٤ أسرة يقيمون بمركز إيشواي وحوالي ٣٩٦٧ بمدينة الفيوم و ٣٣٤٥ بمركز إطسا و ٣٢٤١ بمركز سنورس، ٢٦٦١ بمركز الفيوم و ٢٥٢٣ بمركز طامية، أما عن سكان المناطق المستقلة فنجد أنها بلغت نحو ٣٥٤٦ أسرة بمركز إيشواي ٢٧٤٩ بمركز سنوري ٢١٦٦ بمدينة الفيوم، ١٧٦٦ بمركز إطسا، ١٤٤٠ بمركز الفيوم، ١٠١٩ أسرة بمركز طامية.

أما عن سكان العشش والخيام فنجدها بلغت نحو ٢١٦ أسرة بمركز إيشواي ١٥٨ بمدينة الفيوم، ١٤١ بمركز إطسا، ٨٤ أسرة بمركز سنورس، ٦٥ أسرة بمركز الفيوم، ٤٦ أسرة بمركز طامية^(١) وفي ختام هذا الفصل يمكن القول وفقاً لما سبق أن السكن العشوائي دائماً ما يقام على تقسيمات غير القول وفقاً لما سبق أن السكن العشوائي دائماً ما يقام على

(١) هناك أنماط أخرى من الأنماط السكنية المتدنية التي كان نصيبها نحو ٢٥٨ أسرة بمركز الفيوم ٢٥٣ أسرة مركز إيشواي ٢٣٠ أسرة مركز إطسا، ١٨٧ أسرة مركز سنورس، ١٥٣ مركز أسرة طامية، ٣٠ أسرة مدينة الفيوم، حول طبيعة هذا السكن. يمكننا الرجوع إلى: ممدوح ولي الدين: سكان العشش والعشوائيات، مرجع سابق، ١٩١-١٩٢.

تقسيمات غير معتمدة ودون أي ترخيص وعلى الأرض الزراعية أو الصحراوية المحيطة بالمدن أو في الفراغات التي كانت قائمة بين الأحياء السكنية وفي أغلب الأحوال فإن هذه المناطق تم الاستيلاء عليها بوضع الجيد لإقامة هذه الانماط من الإسكان غير الرسمي وغير المخطط أيضاً.

أن عدم خضوع هذا النمط من السكن لعملية التخطيط جعل هذه المناطق التي تفتقر إلى كثير من الخدمات وحتى الاحتياجات الأساسية للسكان فضلاً عن خضوعها لعمليات التشويه في البناء والنظام، إن إقامة هذه الأحياء تعكس فوضى حضرية واضحة المعالم ليس على صعيد النظام البنائي والتخطيطي لهذه الأحياء بل أيضاً في انتشار السلبات الاجتماعية والسلوكية وهذا ما توضحه مجموعة من الدراسات السابقة التي سوف نعرض لها في الفصل القادم.

وصف مجتمع البحث

أولاً: وصف المنطقة الأولى: منطقة أرض جعفر بدار الرماد

تعتبر منطقة أرض جعفر منطقة زراعية ويعود تسميتها بهذا الاسم نتيجة لوجود أحد كبار الملاك الذي يدعي جعفر محمد إبراهيم جعفر الذي كان يملك معظم أراضي هذه المنطقة وقد تمت تصفية صاحب الأرض بعد ثورة ١٩٥٢ نتيجة لحركات التغيير التي مر بها المجتمع المصري وصدور قوانين الإصلاح الزراعي أدى تفتت ملكية الأرض الزراعية وظهور طبقتي متوسطي الملاك.

وتضم المنطقة أنماط مختلفة من البناء حيث تضم بنايات متميزة تلك التي شيدتها الطبقات الميسورة وكذلك تضم بنايات تشير إلى وجود المستويات الدنيا أيضاً أن طبيعة الازدواجية في البناء تعكس طبيعة البناء الاجتماعي لقاطني هذه المنازل وبالرغم من ازدواجية البناء إلا أن المنطقة بصفة عامة تقتدر إلى كثير من الخدمات فضلاً عن أنها تقام بطريقة عشوائية وغير مخططة على الأراضي الزراعية وتنتشر بها كثير من الأمراض والأوبئة.

ويجب أن تذكر أن هذه المنطقة تعد من أكبر المناطق العشوائية المتطرفة بمدينة الفيوم إذ يسودها علاقات غير متكافئة مع المدينة ونسق قيمي مزدوج يجمع بين قيم الريف وقيم الحضر.

وتقع أرض جعفر (دار الرماد الجديدة) في الجزء الشرقي من مدينة الفيوم ويحدها من جميع الاتجاهات المناطق الزراعية بواجهة الغرب يحدها بحر يوسف وقد امتدت هذه المنطقة أكثر من ضعف مساحتها نتيجة لعمليات تبوير الأرض الزراعية ذاتها.

ويبلغ عدد سكان هذه المنطقة وفقاً لتعداد ١٩٨٦ نحو ١٨٠٥٢ نسمة حتى يبلغ عدد الإناث نحو ٨٦١٢ وأما عن أنماط المساكن فيمكن تقسيمها إلى أربعة يمثل النمط الأول وهو المساكن المبنية من الطوب الأحمر والأعمدة الخرسانية التي تضاء بالكهرباء ويتوفر بها مصادر المياه العذبة فضلاً عن وجود جزء قليل بها صرف صحي وأما بالنسبة للمساكن التي لا يتوفر بها صرف صحي فتستخدم ما يسمى بالبكابورت أو الطرنشات.

وتتسم هذه البيوت بطبيعة السكن المشترك حيث تسكن الأسرة الممتدة أو الكبيرة ونجد أن معظم البيوت تتكون من حجرتين ويوجد في قليل منها دورة مياه مستقلة ومكان مخصص للطهي.

أما النمط الثاني من المساكن فيختلف عن النوع الأول إذ يتم بناؤها من الطوب اللبن ويتكون من طابقين نمط فقط ويتسم بالاتساع النسبي عالي الطراز الريفي التقليدي ويعيش في هذا النوع كل من الإنسان والحيوان فيوجد بها حظيرة للطيور ومكان للماشية ومأوى للإنسان.

أما النمط الثالث فيكون المنزل فيه من حجرة واحدة وغالباً ما يتم بناؤه من الطوب اللبن والطين وهي على طراز العشش ولا يوجد بها دورات مياه ولا مكان للطهي ويتم بناء سقفها من النخيل والجريد وهذا النوع من السكن يعد مصدراً لكل شيء فهي مكان للمأوى ومزاولة كل الأنشطة كزراعة وتربية الحيوان والطيور وقليلاً من هذه المساكن يوجد بها مكان لقضاء الحاجة.

أما النمط الأخير من المساكن هو ما يعرف بمساكن العشش أو الأكواخ ويعاني هذا النوع من تدهور واضح في البيئة الفيزيائية والاجتماعية ولا يوجد بها كهرباء ولا مياه ولا مجاري ولا يوجد بها أماكن مخصصة لقضاء الحاجة والاستحمام.

أما عن الشوارع فتتسم بالضيق وعدم التخطيط والالتواء وعدم الاستواء ويمكن وصفها بأنها حواري وأزقة وتظهر فيها بوضوح علاقة الوجه بالوجه من المكان وما ينتج عنها من إباحة للخصوصيات فضلاً عن ازدياد حدة الصراع والشجار.

إضافة إلى ما سبق فإن الشوارع ذات طبيعة ترابية سرعان ما تتحول إلى طين عند سقوط الأمطار في فصل الشتاء.

أما عن التعليم فتعتبر هذه المنطقة من المناطق المحرومة من مؤسسات التعليم الرسمي متمثلة في المدارس بأنواعها المختلفة حيث توجد مثل هذه المؤسسات كحزام محيط بها لذا فمن الطبيعي أن نجد ثلث السكان من الأميين إذ بلغت نسبتهم نحو ٣٦.٥٪.

ويبلغ عدد سكان هذه المنطقة وفقاً لتعداد ١٩٨٦ حوالي ١٨٠٥٢ نسمة ويبلغ عدد الإناث ٨٦١٢ نسمة وعدد الذكور ٩٤٤٠ نسمة أي بواقع ٤٧.٧٥ على ٥٣.٥٪.

وعن النشاط الاقتصادي نجد أن اشتغال نسبة كبيرة من أعضاء المجتمع بالقطاع الخدمي يلي ذلك نسبة ممن يعملون بالنشاط الزراعي ونقل نسبة ممن يعملون بالأعمال التجارية.

وما يتعلق بالموصلات فنجد أن شبكة الموصلات داخل مدينة الفيوم تغطي تلك المنطقة وتوجد خطوط سير تربط المنطقة بعضها من المناطق الأخرى بمدينة الفيوم.

أما بالنسبة للنسق لصحي تقدم الخدمات الصحية داخل مجتمع أرض جعفر بدار الرماد بشكل متنوع وذلك من خلال أنشطة صحية عامة وقطاع صحي خاص يضم العيادات الخاصة ليمثلا الجانب الأكاديمي من الطب الرسمي الذي يمارس داخل المنطقة وإلى جانبها الحي الشعبي الذي ما يزال منتشراً بشكل كبير على الرغم من تطور الخدمات الصحية العامة والخاصة.

ويجب أن نشير إلى انتشار الطب الشعبي بدرجة كبيرة فيوجد المعالجون بالأعشاب والمعالجون بالسحر والشعوذة والعلاج بالقرآن الكريم والداية والمجبراتي والحلاق.

ثانياً: وصف المنطقة الثانية: منطقة الحاكرة بالشيخ حسن

يرجع تاريخ ظهور منقطة الحاكرة إلى النصف الثاني من القرن الحالي وبالتحديد في الستينات إذ كانت عبارة عن أرض غير صالحة للزراعة تقع على أطراف مدينة الفيوم.

وتقع منطقة الحاكرة بالشيخ حسن في جنوب غريب مدينة الفيوم ويحدها من الشمال مصرف إطسا وطريق بطل السلام ومن الجنوب مستشفى الحميات ومن الشرق طريق السلخانة ومن الغرب أرض زراعية.

وتتعدد أنماط لبناء بمنطقة الحاكرة إذ تعكس لنا التفاوت الطبقي بين سكن هذه المنطقة وهذا النمط الحديث من الطراز المعماري يعتبر نتيجة للهجرة العائدة من دول النفط ويوجد أيضاً نمط الإسكان الشعبي المتمثل في إحدى العمارات التي قامت الحكومة ببنائها وكلا الشكلا السابقين يتمتعان بوجود الكهرباء والمياه العذبة والصرف الصحي ويمكن أن نميز بين أنواع مختلفة من البناء في منطقة الحاكرة فيما يلي:-

النمط الأول: يتمثل في المساكن المبنية من الطوب الأحمر والحوائط الحاملة مع أعمدة خرسانية وتوجد بها كهرباء ومياه عذبة وصرف صحي.

النمط الثاني: يضم المساكن الأهلية المبنية من الطوب الأحمر وتضم بداخلها نمطين للسكن، نمط سكني مستقل وهو يكون ملطاً لأصحاب السكن ونمط آخر للسكن المشترك التي تضم أكثر من أسرة تشترك في الموافق الواحدة للوحدة السكنية ويوجد ببعضها كهرباء والبعض الآخر ما زال يستعمل الكيروسين كوسيلة للإضاءة.

ويتمثل النمط الثالث في الإسكان المتدني مثل العيش المبنية من الطين وهذا النمط لا يوجد به كهرباء ولا مياه عذبة ولا صرف صحي ولا يوجد بها مكان للطهي ولا مكان لقضاء الحاجة.

أما ما يتعلق بالمواصلات فهناك سيارات ميكروباس لنقل الركاب داخل المدينة وقسمت إلى خطوط سير متعارف عليها بأرقام محددة لكل منطقة.

وبخصوص التعليم بالرغم من توافر التعليم ومصادر التعليم الرسمي إلا أن المستوى الاقتصادي لسكان تلك المنطقة لا يمكنهم من تعليم أبنائهم ومساعدتهم على استكمال دراستهم لذلك تمثل ظاهرة تسرب الأطفال من المدارس وعدم إتمام الحلقة الأولى من التعليم الأساسي نسبة كبيرة نسبياً ومن هنا ترفع في هذه المنطقة نسبة الأمية وخاصة بين الإناث.

وأما ما يتعلق بالنشاط الاقتصادي فنجد أن غالبية السكان يعملون بالنشاط الصناعي إذ تعمل نسبة كبيرة من السكان في النشاط الصناعي ويظهر ذلك في الصناعات التالية:-

- حنج القطن

- مصانع غزل القطن

- الورش

ويعتبر النشاط الزراعي للنشاط الرئيسي الثاني من حيث الأهمية الاقتصادية للسكان نظراً لأن الأرض الزراعية توجد على حدود هذه المنطقة فهي تجذب نسبة كبيرة من العمالة للعمل في معظم الأنشطة الزراعية وأيضاً رعاية الحيوانات.

ويمكن الإشارة إلى النسق الصحي بحي الحاكورة من خلال محورين:

المحور الأول: للقطاع الصحي العام حيث يوجد بالمنطقة

مستوصف عام واحد هو المتوصف الشيخ حسن ومستشفى الحميات.

المحور الثاني: ويتمثل في الخدمات الصحية الرسمية والخاصة

كالعيادات الصحية الخاصة والصيدليات وهي قليلة العدد داخل هذه المناطق.

كذلك نجد نوع آخر من الطب وهو الطب الشعبي الذي يعتمد

على المعالجة بالأعشاب والسحر والشعوذة والمعالجة بالقرآن الكريم والداية

والمجبراتي.... الخ.

مشكلات منطقتي البحث بعيون أنثروبولوجية

تكتشف الدراسة الأنثروبولوجية المتعمقة أن منطقتي الدراسة تتخذ

نفس صفات المناطق المتخلفة على مستوى العالم الثالث بوجه عام

والمجتمع المصري بوجه خاص وإذا كنا قد أبرزنا خصائص وصفات

الإسكان العشوائي في منطقتي الدراسة وكذلك طبيعة الحياة فإنه ينبغي لنا

إلقاء الضوء على بعض الإشكاليات التي تواجهها لقد أبرزت الدراسة عن

وجود عدة مشاكل كثيرة تواجه هذه المناطق تلك التي تتركز في خمس

مشكلات رئيسية متفرع منها أو ينتج عنها عدة مشاكل كثيرة تواجه هذه

المناطق تلك التي تتركز في خمس مشكلات رئيسية متفرع منها أو ينتج

عنها عدة مشاكل وهي كالتالي:

١- مستوى النظافة المتدني جداً.

٢- غياب الصرف الصحي.

٣- اختناق الطرق وضيقها والتوائها وعدم تسويتها.

٤- الازدحام الشديد في المساكن.

٥- نقص المرافق والخدمات داخل المجتمع بصورة كبيرة.

وسيتم عرض هذه المشاكل بالتفصيل:

١- تدني مستوى النظافة

غالباً ما تكون المناطق غير نظيفة فالمجاري يتم صرفها في مصارف أو طرنشات مفتوحة ذات روائح كريهة ومناظر مؤذية أيضاً توجد النفايات والزباله داخل الأزقة وفي الشوارع كما أن معظم الأطفال وبعض الكبار يقضون حاجتهم أي يتبرزون على جوانب الشوارع والأزقة الضيقة أصلاً وينتج عن ذلك عدة مشاكل صحية ونفسية أهمها انتشار الأمراض خاصة الأمراض المعدية مثل الالتهاب الكبدي الوبائي وأمراض الروماتيزم وأمراض الكلى وأمراض الصدر، كما ينتج عن ضيق الشوارع والازدحام زيادة الحدة في ضياع ذلك المجتمع ووجود كثرة من المشاجرات والمشاحنات بصفة مستمرة حتى أصبحت طبيعة عامة للمجتمع.

٢- الصرف الصحي

نظراً لأن من هذه المناطق الخاصة بالدراسة نمت بطريقة غير منظمة وعشوائية دون وجود مرافق حكومية في معظم هذه المناطق لا يوجد بها صرف صحي وإنما تتوافر مصارف مكشوفة بدائية للصرف الصحي أو يتم صرف المجاري لكل منزل على حدة عن طريق ما يعرف باسم الطرنش الذي يتم نزحه بطريقة بدائية بواسطة عربات كارو بدائية تسرب ما بداخلها في الشارع أثناء النقل وعادة ما تطفح هذه الطرنشات بالشوارع مسببة قدراً كبيراً من التلوث والأمراض خاصة للأطفال.

وننتقل في ذلك مع إحدى الدراسات التي تشير إلى أن هناك كثير من المدن في غرب أفريقيا مثل ليجوس وأبادانكو وغرب آسيا مثل بومباي بالهند وبعض مناطق داخل هونج كونج وغيرها لا يوجد فيها نظم للمجاري والناس يعيشون في مناطق متخلفة صعبة شديدة الزحام، وأن كمية المراحيض غير كافية فهناك أكثر من أسرة تشترك في مرحاض واحد ولا يجد معظم الأطفال وبعض الكبار غير الشوارع لقضاء حاجاتهم واستخدام الشوارع والأزقة كمراحيض.

٣- اختناق الطرق داخل هذه المناطق

نظراً لعدم التخطيط في بناء هذه المساكن فالبناى يتم بصورة عشوائية وتتلاصق ولا يوجد أي تخطيط للشوارع فتكون الشوارع ضيقة جداً

وبدون نظام أو استقامة للطرق حتى وإن كثيراً من الشوارع الجانبية لا تستطيع العربات الدخول بها ولا تستطيع عربات الخدمة العامة أو الإسعاف أو المطافي الدخول إلى هذه الشوارع ألا سيراً على الأقدام أو الدرجات التجارية، ويدعم ذلك قول أحد الإخباريين حتى الكارو ولا مؤاخذه منعرفش نعيده والواحد منا يشرب المر علشان يدخل حاجة ولا يطلع حاجة من بيته ويتحول الحاجات بتاعتنا على رؤوسنا لحد ما تطلع بيها على الشارع الرئيسي كمان الواحدة العيانة ممكن تموت لأن مفيش إسعاف تدخل لحد عندنا يقصد حالات الوضع ولازم الحكومة تشوف ليها صرفة في كده قبل الناس ما تطق.

٤ - الازدحام الشديد داخل المساكن

تتسم مساكن منطقتي الدراسة في جزء كبير منها بالشيق وشدة الازدحام الأمر يدفع بكثير من السكان من هذه الحجرات إلى الشوارع وخاصة الصبية والأطفال ليلتقطهم الشارع وتضيق بهم الأماكن ليلجأوا لأول يد تمتد لهم، يكون من السهل التأثير عليهم وزرع الأفكار بداخلهم بعيداً عن الرقابة الأسرية التي غالباً ما يكون القائم عليها هانم على وجهه مشعول في سعي دائم من أجل توفير القوت الضروري الذي يسد رمق باقي أعضاء الأسرة وينتج عن ذلك عدة مشاكل أهمها انتشار التطرف سواء على المستوى الديني أو على المستوى الاجتماعي.

التطرف

ونقصد بكلمة التطرف نوعين منه أولاً: التطرف الديني وهو في مجال الأفكار والسلوك نتيجة الفهم الخاطئ لتعاليم الدين الذي قد يصل أحياناً إلى حد لعنف في تطبيق هذه الأفكار المتطرفة وانتشارها بين عدد كبير من هذه المجتمعات العشوائية.

أما النوع الثاني من التطرف وهو التطرف في مجال الخروج على القوانين وتقاليد وأعراف المجتمع أي بمعنى السلوك المنحرف والجريمة.

وبالنسبة لمنطقة دار الرماد ينتشر السلوك الاول من التطرف الديني ولكن بدرجة بسيطة أو بمعنى أدق تعتبر المنطقة منطقة تفريغ لهذه النوعية يستقروا بعد ذلك في مناطق أخرى أما النوع الثاني وهو التطرف الأخلاقي والاجتماعي فيظهر بصورة كبيرة في منطقة الحاورة الشيخ حسن بسبب مستوى المعيشة وانخفاضه الذي يؤدي إلى كثير من هذه الأمراض الاجتماعية.

وفي الواقع نجد أن هناك مجموعة من الأسباب ظلت تعمل لفترة غير قصيرة أدت في النهاية إلى جعل هذه المنطقة منطقة لتفريغ كثيراً من الأمراض الاجتماعية وأهمها التطرف وأهم هذه المشاكل، الازدحام وزيادة السكان والظروف غير الإنسانية في المعيشة مما يزيد الحدة في الطباع ويفجر العنف.

أيضاً هناك أسباب ثقافية تتصل بعدم وصول المجتمع إلى عدالة توزيع المعرفة بين أفراده حيث أنه في ظل هذا الواقع الاجتماعي من السهل لأفكار كثيرة أن تخرق وتعشش داخل عقول أعضاء ذلك المجتمع.

أيضاً هناك التراجع الأخلاقي وانتشار سوء الخلق والسلوك الجائح إلا ان ذلك يعد بشكل نسبي قليل بمقارنته بالسلوك المنحرف داخل المناطق العشوائية في المحافظات الحضرية وأيضاً في المناطق العشوائية على مستوى العالم إلا أنها موجودة وأشار إليها أهالي المنطقتين في أكثر من موضوع في سياق المناقشات معهم وفي هذا الصدد يقول أحدهم عند مناقشة في توافر الخدمات الأمنية ما يلي.

الحارس هو الله دا العسكري يبقى واقف وأولاد الحتى يبقوا قاعدين في الحتة دي (ويشير إلى مكان به آثار زرع ومملوء بالقاذورات والنفايات ومحافظ بالمجاري) ويلعبون القمار ويشربون السجائر الملقوفة ويضربوا الحقن المليانة ب..... وهو يمشي ولا أكنه شايف حاجة، وعلى شرط هو جاي علشان الشكاوي الكثيرة التي بتروح القسم علشان كده، طبعا هما موكلينه كويس وهنا يعكس مدى التراخي في أداء الواجب وينقل صورة أو بأخرى نفس الرشوة بين قلة منحرفة بين صغار رجال الأمن مما يؤدي إلى استفحال هذه الظاهرة بين العاطلين والفقراء داخل المنطقة.

٥- نقص الخدمات والمرافق المجتمعية

تعاني منطقتي الدراسة كغيرها من المناطق المتخلفة والعشوائية من نقص الخدمات والمرافق مقل المؤسسات الثقافية والتعليمية والمياه والكهرباء والأمن وفرص العمل والخدمات الصحية.

وليس ذلك بغريب أن نجد أن هناك كثير من العيش والمنازل المشتركة والتي بنيت حديثاً بدون مياه نقية أو كهرباء ويعاني سكانها من الانحطاط على المستوى الطبيعي والاجتماعي وتدني مستوى المعيشة، فالحكومة تعتبرها وليد غير مرغوب فيه للمجتمع يأخذ حقوقه منها وتقدم له المرافق والخدمات وتلفظ هذه المناطق ولا تقدم لها أدنى الخدمات فمن الناحية الطبيعية وجد أن منازل هذه المناطق تعيش حالة من الفوضى والتناقض، فهناك المنازل الحديثة الواسعة إلى جوار المنازل القديمة المتهالكة إلى جوار العيش ليعش سكانها حالة في التفاوت الاجتماعي داخل شوارع غير مخططة ولا ممهدة أما من الناحية الاجتماعية فتميز هذه المناطق بفقر معظم سكانها وتفش الأمية بينهم وسوء الخلق وزيادة الحدة واضطراب الحياة الأسرية والمهنية وانتشار التسكع والبطالة وفي ذلك تتفق الدراسة الحالية مع تعريف إبراهيم مذكور وآخرون للمناطق المتخلفة في معجم العلوم الاجتماعية إلا أن الدراسة تختلف في أن هذه المناطق تتجمع فيها الأقليات الدينية، كما ذكرنا من قبل في بيان حالة السكان والأحوال الدينية وجد أن المنطقة كغيرها من المجتمع المصري تجمع ما بين المسيحية ودين الإسلام ويعيشون في حالة من التوافق وتحقيق المصالح المشتركة فيما بينهم.

يتضح من العرض السابق أن هذين المجتمعين يمثلان نموذجاً بمناطق الإسكان العشوائي بمحافظة الفيوم والتي تعاني من التخلف وتتسم بالتدهور والتأخر والتدني من الناحية الفيزيائية والاجتماعية، وقد لاحظنا أن المساكن تتسم بأنها ضيقة وغير نظيفة وغير صحية وتتسم الشوارع بعدم النظافة والتعرجات وعدم الاستواء وانتشار علاقة الوجه للوجه بين السكان داخل الحواري والشوارع وكثرة المشاحنات بين السكان ونشوء المشكلات الاجتماعية وتقشي بعض الأمراض الانحرافات الأخلاقية والتطرف الديني والاجتماعي وإذا كان ما سبق يمثل أهم سمات مجتمعي الدراسة من الناحية الاجتماعية فإنه من الناحية الاقتصادية يشهد أيضاً تدنياً واضحاً إلى الحد الذي يكاد يصل في بعض الأحيان إلى تحت مستوى الفقر والعوز والحاجة.

وعدم تقديم أدنى أنواع الخدمات لغالبية السكان الأمر الذي يشعرون معه بأنهم أبناء غير شرعيين أفرزهم مخاص المجتمع العام الذي يعيش بفضل خدماتهم ويضم في أعماقه كثيراً من حالات الظلم والاضطهاد لكثير من الأسر الفقيرة من صغار العمال والحرفيين والمستخدمين وصغار الموظفين الذين يعانون من قسوة الفقر ويدبرون أمورهم بصعوبة في كثير من الأوقات ويتحايلون على المعاش مع أجل توفير القوت اليومي من أجل البقاء على قيد الحياة وتربية الأبناء والحفاظ على الحد الأدنى الضروري لحياة الإنسان.

نتائج الدراسة الميدانية

لقد ركزت معظم الدراسات السابقة عن الإسكان العشوائي على رصف القاطنين لهذه الأحياء ألا أن البحث الراهن جاء ليلقي الضوء على احتياجات من يسكن هذه الأحياء ودراسة أحوالهم كذلك يركز على عناصر العملية العشوائية بدءاً من صاحب المنزل وطبيعة المنزل والأرض التي تم البناء عليها وكذلك البيئة الجديدة التي تحيط بمنطقة الإسكان العشوائي.

وخلال الصفحات التالية سوف نقوم بإلقاء الضوء على أهم

النتائج التي توصل إليها البحث:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسكان

١- أكدت الدراسة أن المناطق العشوائية في مدينة الفيوم تختلف عن المناطق العشوائية في مدينة القاهرة مثل منشية ناصر وغيرها من أحياء القاهرة حيث الزحام في وسط المدينة وارتفاع سعر الأرض كان عاملاً هاماً في الفيوم دفع بكثير من الأفراد إلى التحرك إلى أطراف المدينة لذلك فغالبية السكان في هذه المناطق من داخل مدينة الفيوم نفسها بعكس الأحياء العشوائية في مدينة القاهرة التي جذبت المهاجرين من المحافظات الأخرى خاصة جنوب الوادي وبعض محافظات الشمال.

٢- يعتبر انخفاض أسعار أرض الأحياء العشوائية دافعاً أساسياً لجذب الأفراد إلى هذه المناطق.

٣- تؤكد النتائج أن غالبية قاطني هذه المجتمعات العشوائية من أصحاب المهن الحرفية والزراعية والموظفين من محدودي الدخل والتي لم لا تسمح حالتهم الظروف الاقتصادية بالسكن في المدينة.

٤- تؤكد النتائج على قلة وانخفاض الدخل وعدم كفايته لغالبية الأسر في هذه المناطق.

٥- تؤكد النتائج على ارتفاع نسبة الأمية وتفاوت نسبة الحاصلين على شهادات أخرى لذلك لا بد من ضرورة الاهتمام بتوفير الخدمات التعليمية لهذه المجتمعات وفصول محو الأمية لأن انعدام هذه الخدمات مع زيادة الأميين يساعد على زيادة مشكلات هذه المجتمعات وتفاقمها بصورة كبيرة مما يؤثر على كافة خطط التنمية.

٦- يعتبر نمط الأسرة هو أكثر الأنماط شيوعاً في مجتمع الدراسة وإخفاء الأسرة التي تضم الجد والجددة والأبناء والأطفال.

٧- تؤكد النتائج على عدم وجود وعي بتنظيم الأسرة في مجتمع الدراسة حيث تؤكد البيانات على ارتفاع معدل المواليد وزيادة الكثافة السكانية في المناطق العشوائية.

٨- تؤكد النتائج أن غالبية الأسر يوجد بها أفراد في الفئة العمرية ٢١ سنة فأكثر يتراوح عددهم بين فرد واحد وستة أفراد فأكثر وهذا يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالمناطق العشوائية وتوفير الخدمات والمرافق الضرورية اللازمة لإشباع احتياجات سكانها.

٩- تؤكد النتائج حاجة المناطق العشوائية إلى الخدمات التعليمية المختلفة وتمثل في إنشاء المدارس والصحة المدرسية وغيرها من المؤسسات.

١٠- أكدت النتائج عزوف غالبية الأسر عن تعليم أبنائها في مرحلة التعليم الثانوي وذلك لتشغيل أبنائها في بعض الحرف وهذا يعكس الواقع الثقافي الاقتصادي لهذه الأسر.

١١- غالبية الأسر المبحوثة ليس لديها أبناء في مرحلة التعليم الجامعي وهذا يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تعيش فيه هذه الأسر.

١٢- وعن العمالي في المناطق العشوائية مجتمع الدراسة تؤكد النتائج أن نسبة عمالة الإناث أقل بكثير من عمالة الأبناء المذكور وأن غالبية الأسر بمجتمع الدراسة ذات أصول ريفية ولا زالت متمسكة بقيم المجتمع الريفي التي ترى أن عمل المرأة يمثل خروجاً عن قيم المجتمع وتقاليد.

١٣- تؤكد النتائج على أن غالبية الأسر لديها أبناء متزوجون يتراوح عددهم من ١-٥ فرد متزوج ويبدو ذلك منطقياً لأن غالبية المبحوثين يتسمون بخصائص وسمات ريفية تحبذ الزواج الكبر وهذا بدور يزيد من أزمة الإسكان ويساعد على انتشار العديد من المشكلات والجرائم بمختلف أنواعها نتيجة تكس عدد كبير في منزل صغير.

١٤- تؤكد النتائج أهمية وضرورة الاهتمام بخدمات الرعاية الصحية في المجتمعات العشوائية وخدمات التأهيل المهني حيث لوحظ زيادة كبيرة في المعدمين وهذه الزيادة تعتبر من العوامل المؤثرة على كافة عمليات البيئة والتحضر إذ لم يتم وضع الخطط والبرامج التي تحول هذه الفئات إلى فئات منتجة.

ثانياً: النتائج المتعلقة بمواصفات المنزل الذي أقامه الفرد في الحي العشوائي

١- تؤكد النتائج أن مصادر تمويل بناء الفرد لمسكنه في الحي العشوائي يمكن ترتيبها كما يلي:

- عن طريق بيع عقارات
- عن طريق بيع المواشي
- عن طريق الحصول على قروض من البنك
- عن طريق مدخرات من الخارج
- عن طريق بيع أراضي زراعية

• عن طريق الاستدانة

• عن طريق جمعيات التعاون المالي

وعن خضوع البناء للتنظيم والتقسيم تؤكد النتائج أن غالبية المساكن التي تقام في هذه المجتمعات لا تخضع للتنظيم وبعيده عن التقسيم الإداري والحكومي ومن ثم يعتمد على تقسيم أصحاب الأراضي وكذلك التراضي بين الأهالي فهي تقتصر للتقسيم والتخطيط العمراني.

- تشير النتائج إلى أن هذه المجتمعات أصبحت واقع ولا يمكن إغفاله كما أن حصول الجهات الحكومية على هذه المساكن يعطيها الشرعية مهما كانت مخالفة وغير مطابقة للشروط الصحية والهندسية.

- تشير النتائج إلى أن العشوائيات في محافظة الفيوم لم تكن نتيجة الهجرة كما في المناطق العشوائية في المدن الكبرى ولكن نتيجة الحركة من داخل المدينة إلى الأطراف.

- تؤكد النتائج على أن غالبية قاطني هذه المناطق يتمتعون بالصفات الريفية التي تحتم عليهم الميل للعيش في منازل مستقلة ولا توجد عمارات شاهقة في هذه المناطق.

- تؤكد النتائج أن السكن العشوائي لا يهتم بالشكل الجمالي والذوق العام والخضوع للتقسيم والتنظيم الإداري والحكومي لذلك تبدو المنازل كأنها كتل متراففة صفاً واحداً وبالتالي تنتفي الشروط الواجب توافرها في المسكن الصحي الملائم وهذه سمة من سمات المجتمعات العشوائية.

- تؤكد النتائج ضيق المساحات التي بنيت عليها المنازل وعدم ترك أي مساحة دون استغلالها وعدم مراعاة وجود مساحات خضراء.
- تؤكد النتائج عدم توافر الشروط الصحية والهندسية في معظم المباني.
- تشير النتائج السابقة إلى أن غالبية أهالي مجتمع البحث يعيشون في منازل على الطوب فقط والمحار الحير وهذا يرجع إلى انخفاض المستوى الاقتصادي لقاطني هذه المجتمعات وضعف الدخل الأسري.
- تؤكد النتائج على عدم اكتمال المرافق الخدمية ووجود دورات مياه مشتركة وهذا يساعد على انتشار الجرائم الأخلاقية.
- تشير النتائج إلى أهمية زيادة الاهتمام من قبل الحكومة بالمناطق العشوائية وتزويدها بالمرافق الحيوية.
- تشير النتائج إلى حاجة مجتمع البحث إلى تدعيم شبكة مياه الشرب باعتبارها من خدمات البنية الأساسية.
- تشير النتائج إلى اهتمام الحكومة بتزويد مناطق البحث بالكهرباء.
- تشير النتائج إلى اهتمام الحكومة في السنوات الأخيرة بتوصيل الصرف الصحي للمساكن.

ثالثاً: النتائج المرتبطة بطبيعة الأرض التي أقيمت عليها المباني العشوائية والشوارع المحيطة بها

تشير النتائج إلى أن المباني العشوائية أقيمت على:

- الأراضي الزراعية في المقام الأول
- الأراضي البور
- مباني مشتراه كاملة البناء
- مباني مشتراه مبنية جزء منها
- تشير إلى أن غالبية الشوارع بمنقطة البحث غير مرصوفة كما تؤكد على الحالة المتردية التي توجد عليها المجتمعات العشوائية من نقص البنية الأساسية من رصف طرف وصرف صحي وخطوط موصلات.
- تشير النتائج إلى ضرورة إعادة النظر في شوارع المناطق العشوائية وتخطيطها لأهمية الشوارع عند خدمات الطوارئ مثل الإسعاف والأمن والمطافئ.

رابعاً: النتائج المرتبطة بالبيئة

الوسط البيئي الذي يؤثر في الفرد الذي يقوم بالبناء العشوائي

الوسط التعليمي:

- تؤكد النتائج أن غالبية المبحوثين لا يعانون من مشكلة بالنسبة لموقع المدرسة الابتدائية.
- تشير النتائج إلى قرب المدرسة الإعدادية نسبياً لمجتمع الدراسة بمعنى عدم وجود مشكلة خاصة ببعد المدرسة الإعدادية من مقر إقامة الأسر في مجتمع البحث.
- تشير النتائج إلى انتشار الدروس الخصوصية مما يظهر عدم قيام المدرسة بدورها التعليمي على الوجه الأكمل لذلك فلا بد من الاهتمام بالمدارس بتلك المناطق العشوائية وإمدادها بالإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لقيامها بدورها.

الوسط الطبي:

- تشير النتائج إلى إقبال اهالي مجتمع البحث على المستشفيات العام مما يعطس انخفاض المستوى الاقتصادي ويدعو المسئولون إلى الاهتمام بتلك المستشفيات وإمدادها بالإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لكي تقوم بدورها.
- تشير النتائج إلى ارتفاع نسبة التردد على الطبيب الخاص نسبياً وذلك بسبب انخفاض مستوى الخدمة الطبية في المستشفيات العامة.

- تشير النتائج العامة للدراسة إلى قرب مناطق الخدمات الطبية والتي تم بنائها بالقرب من أطراف المدينة في مجتمع البحث.

- تشير النتائج العامة للدراسة إلى تأكيد غالبية المبحوثين على قرب الصيدليات من أماكن سكنهم وهذا يعني توافر الخدمات العلاجية نسبياً لمجتمع البحث.

المواصلات:

باستقرار النتائج المتعلقة بالمواصلات يتضح أن مجتمع البحث مجتمع محروم من المواصلات وكافة الأتوبيسات وتلك صفة تتصف بها معظم المجتمعات العشوائية مما يدعو إلى الاهتمام بالمواصلات التي ترتبط تلك المناطق بالمجتمع المحلي ككل.

تؤكد النتائج على أن المواصلات لا تمر داخل هذه المناطق ولكن تقتصر على أطرافها فقط.

خامساً: النتائج المتعلقة بالمشروعات

- تشير النتائج على انتشار الورش كإحدى المشروعات القائمة بالمناطق العشوائية فالورش تعتبر من المشروعات الخاصة التي يقيمها الأهالي في منازلهم للاستفادة من وجود الدور الأرضي مما يؤكد على انتشار الحرف المهنية التي تتصل بوجود هذه الورش من أهم ما يميز هذه المناطق العشوائية كأنماط للسكن العشوائي.

سادساً : الوسط الأمني

- تؤكد النتائج الدراسة إلى أن المناطق العشوائية تحتاج للخدمة الأمنية حيث لا يوجد بها نقطة شرطة كما أنها لا تأخذ الاهتمام بمرور شرطة الدورية في هذه الأحياء بالليل أي أن المناطق العشوائية لا تأخذ اهتمام من الخدمات الأمنية لعدم تقسيم أو تنظيم إداري أو أمني بالمدينة ويترتب على ذلك أن تصبح هذه المناطق أنسب الأماكن في المدينة لتفريغ الجرائم والسلوك الغير سوي.

- تشير النتائج على انتشار جريمة سرقة المنازل بدرجة كبيرة في منطقتي الدراسة.
- تشير النتائج إلى انتشار ظاهرة لعب القمار في مناطق الدراسة وفي حي دار الرماد أكثر من حي الشيخ حسن حيث أن المستوى الاقتصادي في حي دار الرماد أعلى من حي الشيخ حسن.
- تشير النتائج إلى انتشار ظاهري تعاطي المخدرات في مناطق الدراسة وما يترتب عليه من جرائم أخلاقية وبالمثل تنتشر المخدرات بحي دار الرماد أكثر من الشيخ حسن.

سابعاً: الترفيه وسهولة الحياة

- تشير النتائج العامة للدراسة أن عدم خضوع المناطق العشوائية لعملية التخطيط اللازمة جعل هذه المناطق تفتقر إلى كثير من الخدمات وخاصة أماكن الترفيه مثل دور السينما أو قصور الثقافة أو نواد

رياضية تساعد في قضاء وقت الفراغ وقد اقتصررت أماكن الترفيه على انتشار المقاهي فقد بينما تقع أماكن الترفيه الأخرى داخل مدينة الفيوم وبعدياً عن المناطق العشوائية ذاتها.

وعن وجود الأجهزة الكهربائية تشير النتائج على أن الأجهزة رخيصة الثمن احتلت أكبر نسبة والأجهزة مرتفعة الثمن كالفديو احتلت أقل نسبة ونظراً لأن غالبية المبحوثين سافروا للخارج من قبل فقد ساعدهم ذلك على اقتناء الكثير من الأجهزة الكهربائية.

تحليل إحصائي ارتباطي بين أهم البيانات التي اشتمل عليها البحث

يتضح من نتائج الدراسة الحالية وهذا أيضاً ما أكدته نتائج الدراسات السابقة أن المناطق العشوائية يتسم قاطنيها بالعديد من السمات والخصائص التي تحدد في الآتي:

١- مستوى التعليم

٢- مستوى الدخل

٣- موقف أفراد الأسرة الزوجي

٤- الحالي العملية

وبالنظر إلى نتائج الدراسة الحالية وتحليل النتائج وبالمعالجة الإحصائية لمتغيرات الدراسة الحالية أكدت هذه النتائج أن هناك العديد من العلاقات الارتباطية بين متغيرات الدراسة والتي تؤكد على أن المناطق

العشوائية وكما أكدت الكتابات النظرية ونتائج الدراسات السابقة بميل أفرادها إلى عدم الاهتمام بالتعليم وكذلك يتجهون إلى ممارسة الأعمال الحرفية ويمكن لنا تناول هذه العلاقات الارتباطية بين متغيرات الدراسة من خلال ما يلي:

أولاً: التعليم

هناك علاقة بين الحالة التعليمية للفرد وبين كونه يعيش في أسرة نووية أو ممتدة فكما نال الفرد قسطاً وافراً من التعليم كلما كانت ميوله لأن يعيش في أسرة نووية عنه في أسرة ممتدة وكذلك ترتبط الحالة التعليمية مع حجم الأسرة حيث أن الأسرة التي ينال ربها أو ربها قسطاً وافراً من التعليم يكون حجمها صغيراً والعكس صحيح، وهذا ما أسفرت عنه أيضاً مثيراً من الدراسات السكانية وكذلك وجدت علاقات دالة إحصائياً بين الحالة التعليمية لأفراد الأسرة وبين إصابة أحدهم بأمراض مزمنة أو عادية وكذلك كانت هناك علاقة إيجابية بين تعليم الفرد وبين تفكيره في كيفية بناء منزله، فالفرد كلما نال قسطاً وافراً من التعليم كانت لديه الرغبة في بناء منزله بالطرق الحديثة بمعنى أن يكون المنزل بالخرسانة المسلحة وأن يكون هناك مهندس يقوم على رسمه وتنفيذه وأن يتم البناء بترخيص من الحي، كما كانت هناك علاقة بين التعليم وبين الرغبة في الاستمرار في السكن، فكما كان الفرد على درجة عالية من التعليم كلما كانت لديه الرغبة في عدم الاستمرارية في السكن في الحي العشوائي والبحث عن أفضل منه وكذلك بالنسبة للرضا عن السكن فالأفراد الأكثر تعليماً أقل رضا عن المسكن فهم دائماً يبحثون عن الأفضل.

إلى جانب هذا لم يكن هناك علاقة بين الحالة التعليمية ووجود مشاكل داخلية بين أعضاء الأسرة ومشاكل مع الزوجة مع الوالدين بمعنى أن وجود مثل هذه المشكلة لا يفرق بين متعلم وغير المتعلم فكل منهم له مشاكله الداخلية بالأسرة وكذلك لا توجد علاقة بين تعليم الفرد ورأيه في المشكلات والجرائم التي تحدث في الحي والمشكلات التي عاني منها الحي ولا مع كيفية حل هذه المشكلات.

وسوف نعرض لمثل هذه النتائج بالتفصيل كما يلي:

١- أن هناك ارتباط بين مستوى التعليم في المناطق العشوائية ونوع الأسرة في هذه المناطق، ويتضح ذلك أن قيمة كا^٢ المحسوبة بين مستوى التعليم في هذه المناطق العشوائية ونوع الأسرة السائد في هذه المناطق تساوي ٨٩.٦٠٩ وهي أكبر من كا^٢ الجدولية وذلك فإن قيمة كا^٢ المحسوبة دالة إحصائية عند مستوى معنوية ٠.٠١ وهذا يعني وجود علاقة بين مستوى التعليم ونوع الأسرة بمعنى أنه كلما وصل الفرد إلى مستويات تعليمية أعلى كلما كانت لديه الرغبة في الحياة في أسرة فردية.

٢- أن هناك علاقة ارتباطية أيضاً بين مستوى التعليم وحجم الأسرة في المناطق العشوائية ويتضح ذلك من أن قيمة كا^٢ المحسوبة بين مستوى التعليم وحجم الأسرة في هذه المناطق العشوائية تساوي ٢١٩.١٢١ وهي أكبر من كا^٢ الجدولية وهي دالة إحصائياً عند مستوى ٠.٠١

وهذا يؤكد وجود علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم وحجم الأسرة في المناطق العشوائية بمعنى أنه كلما زاد مستوى التعليم كما أدى ذلك إلى ميل الفرد أن تكون أسرته صغيرة الحجم، وهذا ما يوضحه معامل جاما أيضاً للعلاقة بين مستوى التعليم وحجم الأسرة فلقد كانت قيمة جاما ٠.٤٧٦ ودلالاتها الإحصائية ١٢٣.٩ وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١ .

٣- أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم ونوعية المواد المستخدمة في البناء في المناطق العشوائية ويتضح ذلك من أن قيمة χ^2 المحسوبة بين مستوى التعليم ونوعية المواد المستخدمة في البناء في المناطق العشوائية كانت تساوي ٨٦.٤٧١ وهي دالة عند مستوى دلالة ٠.٠٠١ بمعنى أنه كلما ارتقى الفرد في تعليمه كلما أدى ذلك إلى ميله إلى بناء منزل بالخرسانة المسلحة والعمدان.

٤- أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم وكيفية أو أسلوب بناء المنزل بالمناطق العشوائية ويتضح ذلك من أن قيمة χ^2 المحسوبة بين مستوى التعليم والأسلوب المستخدم في بناء المنازل كانت تساوي ١١٦.٢٦٧ وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١ ومعنى وجود علاقة بين الحالة التعليمية وكيفية بناء المنزل، فالأفراد الأكثر تعليماً يميلون إلى الاستعانة بالمهندسين الفنيين لرسم المنزل وهذا ما يوضحه معامل جاما حيث كانت قيمته ٥٢٥ بدلالة معنوية مقدارها ١٠.٢٥٧ وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١ .

٥- أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم وكيفية اتمام بناء المنزل (بترخيص- بدون ترخيص) ويتضح ذلك من أن قيمة ك^٢ المحسوبة كانت ٦٦.٠٩٧ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠.٠٠١ ومعنى وجود علاقة بين حالة الفرد التعليمية وكيفية إتمام بناء المنزل فكلما كان الفرد على درجة أعلى من التعليم كلما كان حريصاً على أن يكون البناء بترخيص من الحي.

٦- توجد علاقة بين تعليم الفرد وبين تعرضه للإصابة بأمراض مزمنة أو عادية فكلما ارتفع مستوى تعليم الفرد كلما كان أكثر حذراً ووقاية من الأمراض وقل احتمال تعرضه لأمراض مزمنة أو أمراض عادية حيث كانت قيمة ك^٢ المحسوبة بين التعليم وبين الإصابة بأمراض مزمنة وأمراض عادية على التوالي ١٢١.٧٤٨ ثم ٩٥.٦٥٣ وكلتاهما دالتان عند مستوى معنوية ٠.٠٠١.

٧- أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم والرغبة في الاستمرار في السكن بالمناطق العشوائية ويتضح ذلك من أن قيمة ك^٢ المحسوبة كانت ٧٤.٦٩٤ هي أكبر من ك^٢ الجدولية وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١ ومعنى وجود علاقة بين التعليم والرغبة في الاستمرار في السكن فكلما كان الفرد على درجة من التعليم كلما كانت لديه رغبة في عدم الاستمرار في السكن بالمناطق العشوائية.

٨- أن هناك علاقة ارتباطية بين مستوى التعليم ورضاء الأسرة عن السكن بالمناطق العشوائية ويتضح ذلك من أن قيمة كا^٢ المحسوبة كانت ٥٢.٠١٤ وهي أكبر من كا^٢ الجدولية وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١ وبمعنى وجود علاقة بين تعليم الفرد ورضاء عن السكن بالمنطقة العشوائية وهذا ما توضحه العلاقة المحسوبة بواسطة معامل جاما، حيث أنها كانت ٠.٤٩٣ ودلالاتها الإحصائية ٩.٥٣٧ وهي دالة عند مستوى ٠.٠٠١.

٩- التعليم ووجود مشاكل بين أعضاء الأسر مع الأبناء، مع الزوجة، مع الوالدين، أسفرت نتائج البحث عن عدم وجود علاقة بين تعليم الفرد وبين وجود أي مشاكل بين أعضاء الأسرة وهذا يتضح من قيم كا^٢ على التوالي (مع الأبناء - مع الزوجة - مع الوالدين) وهي ٣٥.٩٧٤ ثم ٤٥.٠٠ ثم ٤٠.٨٠١ وكلهم قيم غير دالة إحصائياً.

ثانياً: الدخل

الدخل كانت له علاقة مع كون الأسرة نووية أو ممتدة فالأسرة الممتدة أكثر دخلاً من الأسرة النووية وهذا طبيعي حيث أن احتمال وجود أكثر من فرد في الأسرة الممتدة يعمل يدر دخلاً على الأسرة ويمكن تطبيق نفس التفسير السابق، فكلما كبر حجم الأسرة كلما زاد احتمال وجود أكثر من شخص يدر دخلاً على الأسرة وكذلك كانت له علاقة على وجود إعاقة وذلك قد يرجع إلى أن الإعاقة قد تكون سبباً في قلة دخل الأسرة ونفس الشيء ينطبق على إصابة أحد أفراد الأسرة بمرض مزمن.

وكانت له علاقة أيضاً مع كيفية تدبير المبالغ التي بنى بها المنزل وكذلك مع شكل المنزل من الداخل وتفسير ذلك أنه كلما زاد دخل الفرد كلما اهتم بشكل منزله من الداخل وكذلك مدى كفاية دخل أسرته وهذا طبيعي فكلما زاد دخل الفرد كلما كان كافياً لاحتياجات الأسرة.

كذلك لم يكن للدخل علاقة مع كيفية بناء المنزل لأن ذلك يرتبط أساساً بالتعليم فالدخل لا يغير من مفاهيم وقيم الفرد إنما التعليم هو الأساس في ذلك ولا كيف تم البناء ولا مع الرغبة في الاستمرار في السكن ونفس السبب السابق ولا مع رضا الأسرة عن السكن ولا مع مرضى أفراد الأسرة ولا مع المشكلات التي تعاني منها المنطقة وملا مع كيفية حلها وسوف نلقي الضوء على ذلك تفصيلاً:

١- هناك علاقة ارتباطية بين دخل الأسرة المقيمة بالمناطق العشوائية ونوعها وتؤكد ذلك قيمة كا^٢ حيث كانت ١٧.١٢٧ ودالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠١ وهذا يعني أن هناك فروقاً دالة إحصائياً بين الأسرة النووية وبين الأسرة الممتدة من حيث الدخل وذلك لصالح الأسرة الممتدة بمعنى أن الأسرة الممتدة المقيمة بالمنطقة العشوائية أكثر دخلاً من الأسرة النووية وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن الأسرة يوجد بها أكثر من فرد يكون مصدراً للدخل ولكن إذا أخذنا الأمور من وجهة نظر أخرى وهي متوسط دخل الفرد فإننا قد نجد أن متوسط دخل الفرد في الأسرة النووية أعلى منه في الأسرة الممتدة.

٢- كما وجدت أن هناك علاقة ارتباطية بين دخل الأسرة وحجمها بالمناطق العشوائية ويتضح ذلك من حساب قيم كا^٢ بينهما فقد كانت كا^٢ المحسوبة بينهما ٤٧٨.٦٦٢ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة معنوية ٠.٠٠١ هذا يعني أن هنالك علاقة بين حجم الأسرة والدخل الشهري فكلما زاد عدد أفراد الأسرة كلما زاد الدخل الشهري للأسرة بالمناطق العشوائية ويتمشى ذلك مع تفسير الأسرة الممتدة التي تضم عدد أكبر للمساهمة في الدخل.

٣- وجد أن هناك علاقة بين انخفاض دخول الأسرة المقيمة بالمناطق العشوائية وبين تعرض أفرادها أو أحدهم للإعاقة أو الأمراض المزمنة والأمراض العادية وكانت هذه العلاقة دالة إحصائياً حيث كانت قيمة كا^٢ المحسوبة لهذه العلاقات على التوالي بين دخل الأسرة وتعرض أحد أفرادها للإعاقة أو الأمراض المزمنة والأمراض العادية ١١١.٣٤١ دالة عند مستوى معنوية ٠.٠٠٥، ١٣٦.٦١٨ دالة عند مستوى معنوية ٠.٠٠١، ١٦٣.٣٤ دالة عند مستوى معنوية ٠.٠٠١.

٤- وهناك علاقة بين دخول الأسرة المقيمة بالمناطق العشوائية وقدرتها على بناء أدوار المنزل مرة واحدة وكذلك بينها وبين أرضية المنزل وكونها من بلاط أو من أسمنت وكذلك شكل البيت من الداخل وهذه كلها أمور تحدد دخول الأسرة فكلما زادت دخول الأسرة كلما تمكنت من بناء المنزل مرة واحدة واهتمت أيضاً بأرضية المنزل وكذلك بشكله

من الداخلي فقد كانت قيمة كا^٢ المحسوبة لهذه المتغيرات مع الدخل على التوالي ٦٨.٤٥٩ دالة عند مستوى ٠.٠٥، ١٤.١١١ دالة عند مستوى ٠.٠١، ١٤٤.١٢٥ دالة عند مستوى ٠.٠١.

٥- العلاقة بين استجابة الأسر المقيمة بالمناطق العشوائية عن مدى كفاية دخلها وبين دخولها بديهي أن توجد علاقة دالة إحصائياً بين الاستجابة بكفاية أو عدم كفاية الدخل وبين دخل الأسرة فكلما قل دخل الأسرة كانت استجابتها لمدى كفاية الدخل تشير إلى أن دخلها لا يكفي فقد كانت قيمة كا^٢ المحسوبة ٩١.٠٢١ هي دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠١.

٦- أما العلاقة بين دخل الأسرة المقيمة بالمناطق العشوائية وبين الخطوات التي قامت بها قبل أن تأتي إلى هذه المناطق العشوائية وما تفعله في حالة مرض أحد أفرادها تذهب به إلى أين؟ المسافة التي تبعد عنها عن المنطقة العشوائية والمشكلات التي تعاني منها المنطقة من وجهة نظرهم وكيفية حل هذه المشكلات من وجهة نظرهم كل هذه العلاقات كانت غير دالة إحصائياً مع دخول الأسر.

ثالثاً: الحالة الاجتماعية لأفراد الأسر المقيمة بالمناطق العشوائية

١- كانت هناك علاقة ارتباطية دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠٥، بين عدد المتزوجين في الأسر وبين رضاهم عن المسكن وهذا يعني أنه كلما زاد عدد المتزوجين بالأسرة كلما قل رضاهم عن المسكن نظراً لازدحام السكن بالأفراد.

رابعاً: الحالة العملية

ارتبطت مهنة رب الأسرة (الحالة العملية) بكثير من متغيرات استمارة البحث حيث كانت لها علاقة دالة إحصائياً بكل من نوع الأسرة وحجمها والمادة التي بنى بها المنزل وأرضية المنزل أو شكل المنزل من الداخلي وكيفية بناؤه وهذا أمر طبيعي حيث أن مهنة الشخص تتعلق بنسق الاتجاهات لدى الشخص قيمة وقد وجد أن معظم الذين يمتنون مهنة فنية عليا يغلب عليهم الميل لأن يعيشوا في أسرة نووية حتى إذا تزوج ابن او ابنة له لا يتمسكون بأن يعيشوا معهم بل يشجعونهم على الاستقلال، وهناك على العكس من ذلك فالذين يتمنون مهنة الفلاحة والزراعية يميلون أن يكونوا في أسرة ممتدة حيث أن العمل لدى هذه الأسر تحتاج إلى تعاون أفرادها مع بعضهم البعض حتى أنك ترى المرأة في الأسرة لها وظيفة داخل العملية الزراعية كالآب.

وحين يزوج الفلاح ابنه نجد أن الأم ترغب في أن يعيش ابنها معها حتى تساعد زوجته ومن الطبيعي أن ترتبط الحالة العملية برأي رب الأسرة في كفاية الدخل فكلما ارتقت المهنة لرب الأسرة كما كان دخلها مرتفعاً وبالتالي كان كافياً وكلما تدنت المهنة وكانت الأسرة كبيرة قل الدخل وبالتالي عدم كفاية للمعيشة الحياتية.

وكذلك ارتبطت الحالة العملية بالرأي في الجرائم والمخالفات التي تحدث في الحي وهذا طبيعي أيضاً لارتباط هذا الرأي بالاتجاهات والقيم لدى الشخص وارتباط الأخيرة بالمهنة فيما يراه الموظف مخالفة أو جريمة قد لا يراه الفلاح أو العامل مخالفة أو جريمة.

ومن ناحية أخرى لم تكن هناك علاقة دالة إحصائياً بين الحالة العملية وإعاقة أحد أفراد الأسرة وكذلك بالنسبة لمرض أحد أفراد الأسرة بمرض مزمن أو مرض عادي وكذلك الرغبة في الاستمرار في السكن لارتباط هذه الرغبة بعوامل أخرى آخرها المهنة منها على سبيل المثال قرب السكن من عمل الزوج قربه من مدارس الأولاد وقربه من المجمعات الاستهلاكية والأسواق، وينبع ذلك أيضاً رضا الأسرة عن السكن حيث أن ذلك لا تحدده المهنة فقط وإنما تحدده عوامل كثيرة هي نفس العوامل تحدد الرغبة في الاستمرار في السكن وعوامل أخرى كثيرة.

وكذلك لم تكن هناك علاقة بين الحالة العملية وبين رأي رب الأسرة في المكان الذي يذهب إليه في حالة مرض أحد أفراد أسرته ولا توجد علاقة أيضاً بين الحالة العملية وبين رأيه في المشكلات التي يعاني منها الحي ولا بكيفية حل هذه المشكلات.

وسوف نناقش هذا تفصيلاً فيما يلي:

١- الحالة العملية مع نوع الأسرة قيمة كا^٢ = ٨٢.٨٢٩ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دالة ٠.٠١ وبمعنى أن توجد علاقة بين مهنة الرجل وبين نوع أسرته نووية أو ممتدة.

٢- الحالة العملية (حجم الأسرة) قيمة كا^٢ = ٤٠٢.٤٠١ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دالة ٠.٠١ وبمعنى أنه توجد علاقة قوية ارتباطية بين حالة الفرد العملية وحجم الأسرة وقد بلغ معامل الأنساق ٦٠٩٠ بين متغير الحالة العملية وحجم الأسرة.

٣- الحالة العملية مع إعاقة أحد أفراد الأسرة، قيمة كا^٢ = ١٠٣.٦٥٨ وهي غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين أن يكون أحد أفراد الأسرة معاقاً أو غير معاق.

٤- الحالة العملية مع وجود أمراض مزمنة عند أحد أفراد الأسرة قيمة كا^٢ = ٩٥.٨٨٤ وهي غير دالة إحصائياً ونفس التفسير السابق.

٥- الحالة العملية مع وجود الأمراض العادية لدى أحد أفراد الأسرة قيمة $K^2 = 102.933$ وهي غير دالة إحصائياً ونفس التفسير السابق.

٦- الحالة العملية مع بنيت منزلك بأنه مواد البناء، قيمة $K^2 = 273.649$ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دالة ٠.٠١ وهذا يعني وجود علاقة ارتباطية بين حالة الفرد العملية وبين مواد البناء التي بنى بها منزله، ويدل على ذلك حساب معامل الاتساق الذي بلغ ٠.٥٣٥.

٧- الحالة العملية مع اختيار أرضية المنزل قيمة $K^2 = 111.106$ وهي دالة عند مستوى ٠.٠١ وهذا يعني وجود علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين الكيفية التي تتكون عليها شكل أرضية منزله وكان معامل الاتساق = ٠.٣٧٤.

٨- الحالة العملية مع شكل البيت من الداخل قيمة $K^2 = 132.295$ وهي دالة عند مستوى دالة ٠.٠٥ وهذا يعني وجود علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين شكل بيته من الداخل ويؤكد ذلك معامل الأنساق المحسوب ٠.٤٠٣.

٩- الحالة العملية مع كفاءة بناء المنزل قيمة $K^2 = 149.396$ وهذه القيمة دالة عند مستوى دالة معنوية ٠.٠١ وهذا يعني وجود علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين كفاءة بنائه لمنزله، ويؤكد هذه العلاقة الارتباطية معامل الأنساق المحسوب = ٠.٤٢٤.

١٠- الحالة العملية مع الرغبة في الاستمرار في السكن، قيمة $K^2 = 70.123$ وهي غير دالة إحصائياً وتعني عدم وجود علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد ورغبته في الاستمرار في السكن أم لا.

١١- الحالة العملية مع رضا الأسرة عن السكن، قيمة $K^2 = 69.459$ وهي قيمة غير دالة إحصائياً تعني أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين رضا أسرته أو عدم رضاها عن السكن في هذا الحي.

١٢- الحالة العملية مع العمل السابق قبل المجيء إلى الحي العشوائي قيمة $K^2 = 273.615$ وهي دالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠.٠١ وتعني أنه توجد علاقة ارتباطية قوية بين الحالة العملية للفرد وبين عمله السابق قبل أن يأتي إلى هذا المكان وهذا يتمشى مع الواقع التجريبي فالفرد تقريباً يمتن نفس المهنة التي كان عليها في المكان القديم يمتنهما في المكان الجديد ويؤيد ذلك معامل الاتساق المحسوب إذا بلغت قيمته ٠.٠٠٨٤٧.

١٣- الحالة العملية مع كفاية دخل أسرته قيمة $K^2 = 84.876$ وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠.٠١ وتعني وجود علاقة ارتباطية، قيمة معامل الاتساق المحسوب ٠.٠٣٣٣.

١٤- الحالة العملية مع تصرف الفرد في حالة مرض أحد أفراد الأسرة، قيمة $\text{كا}^2 = ٧٩.٠٠٠٨$ وهي غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين حالة الفرد وبين تصرفه فيما إذا كان أحد أفراد الأسرة مريضاً.

١٥- الحالة العملية مع رأي الفرد في طبيعة الجرائم والمخالفات التي تحصل في الحي من وجهة نظره، قيمة $\text{كا}^2 = ١٣٢.٤٩٧$ وهي دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠١ وتعني أنه توجد علاقة ارتباطية قوية بين الحالة العملية للفرد ورأيه في طبيعة الجرائم والمخالفات التي تحصل في الحي، معامل الاتساق $٠.٠٠.٤٠٤$.

١٦- الحالة العملية مع وجهة نظر الفرد في نوع المشكلات التي تعاني منها المنطقة، قيمة $\text{كا}^2 = ١٢٠.١٨٨$ وهي غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وجهة نظره في المشكلات التي تعاني منها المنطقة.

١٧- الحالة العملية مع وجهة نظر الفرد في كيفية حل المشكلات، قيمة $\text{كا}^2 = ٨٦.٣٢$ هي قيمة غير دالة إحصائياً وتعني أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الحالة العملية للفرد وبين رأيه في كيفية حل هذه المشكلات.

ثالثاً: محل الميلاد

محل الميلاد لم تكن له أي علاقة دالة إحصائياً بالمتغيرات التي تم حسابها معه مثل نوع الأسرة- حجم الأسرة- الرغبة في الاستمرار في السكن- الرأي في الجرائم والمخالفات التي تحصل في الحي- ولا مع وجهة نظره في كيفية حل هذه المشكلات.

وسوف نناقش هذا تفصيلاً فيما يلي:

١- محل الميلاد مع نوع الأسرة، قيمة $K^2 = 6.319$ وهي قيمة غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة بين محل ميلاد الفرد ونوع أسرته.

٢- محل الميلاد مع حجم الأسرة، قيمة $K^2 = 41.841$ وهي قيمة غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين محل ميلاد الفرد وحجم أسرته.

٣- محل الميلاد مع الرغبة في الاستمرار في السكن في هذه المنطقة قيمة $K^2 = 16.261$ وهذه القيمة غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة بين محل ميلاد الفرد ورغبته في الاستمرار في السكن في هذه المنطقة.

٤- محل الميلاد مع نوع الجرائم والمخالفات التي تحدث في الحي من وجهة نظر الفرد، قيمة $K^2 = 14.493$ وهي غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد علاقة بين محل ميلاد الفرد ورأيه في الجرائم والمخالفات التي تحصل في الحي.

٥- محل الميلاد مع المشكلات التي تعاني منها المنطقة، قيمة $\chi^2 = 28.526$ وهي قيمة غير دالة إحصائياً بمعنى أنه لا توجد أي علاقة ارتباطية بين محل ميلاد الفرد والمشكلات التي يرى من وجهة نظره أن المنطقة تعاني منها.

ثبت المصطلحات الإنجليزية المستخدمة

المصطلحات الإنجليزية

Abitat	العلاقة الاجتماعية الوثيقة والإرث بين الفرد وعمته
ABO (A.B.O.AB)	مجموعات فصائل الدم الرئيسية
Absolute	مطلق
Absolute existence	الوجود المطلق
Absolute space	المكان المطلق
Abstract	مجرد
Abstraction	تجريد
Absurdity	المحال عقلا
Acculturation	التحضير - التغير الحضاري بمؤثرات
Acculturation, Antagonistic	تبني صفة حضارية وافدة من مجتمع غاز كوسيلة لمقاومة زحفه
Actiob, act	فعل
Activities	مناشط
Adhesion	مبدأ الارتباط بين المظاهر الحضارية تايلور، ميل العناصر الحضارية إلى الترابط أثناء عملية الانتشار الحضاري

Adobe	لبن - قوالب الطوب المجففة في الشمس
Adoption	التبني
Adultery	الزنا بين المتزوجين
Aesthetic values	القيم الجمالية
Affinity	روابط التصاهر، العلاقة التصاهرية
African thropus	حفريات لنوع من سلالات الإنسان الواقف
Age area	منطقة العمر، في تصنيف الإقليم الحضاري
Age grades	طبقات السن، نوع من التنظيم الاجتماعي
Age-set distance	المسافة ما بين طبقات العمر
Age-set	طبقة من طبقات العمر
Agnates	أقارب العصب، خط الذكور
Agnostic	لا ادري في نظرية المعرفة
Agnosticism	مذهب اللاإرادية
Alpine Race	السلالة الألبية " وسط أوروبا وشرقها"
Amalgamation	إدماج
Amazon	اسم عام للنساء المحاربات، تذكر أساطير الإغريق مملكة للأمازونيات طرد منها الرجال "آسيا الصغرى"

Amazonentum	الأمازونية- مرحلة سيادة المرأة بلخوفن
Ameind	الأميرند: سكان أمريكا الأصليين- اشتق الاسم ١٨٩٩ من الحروف الأولى لكلمتي هنود أمريكا، الهنود الحمر
Amorphesis	التحول: الاعتقاد بإمكان اتخاذ بعض الأشخاص والحيوان أو الأرواح أو الآلهة أشكالاً أخرى غالباً بواسطة قوى السحر
Amulet (= charm, talisman)	تميمة- حجاب
Anagenetic	التطور الكلي المؤدي إلى طفرات
Anology	مماثلة
Analysis	تحليل
Anatomy	علم التشريح
Ancestor	الأسلاف
Ancestor worship	عبادة الأسلاف
Ancestor worship	عبادة الأجداد- روح السلف، نوع من الديانة
Animatism	ألمانا- الاعتقاد بقوى روحية شاملة يمكن استخدامها للمساعدة في الأعمال والخطط
Animism	الإحياء- الاستحياء- مبدأ الاعتقاد بوجود أرواح لكل شيء حتى الجماد، نوع من الديانة البدائية

Anthropogeographie	الأنثروبولوججغرافيا - الجغرافيا البشرية
Anthropology Anthropologic	الأنثروبولوجيا - علم الإنسان
Anthropometry	الأنثروبومتريا - علم القياس السلالي
Anthropophagy (=cannibalism)	أكل لحوم البشر
Anthropos	الإنسان مصطلح إغريقي
Ape	القردة العليا، الغوريلا - الشمبانزري أورانج أوتانج - جيبون
Archaeology	الأركيولوجيا: الدراسة الأثرية للمخلفات الحضارية القديمة
Argedanken	التفكير البدائي: مرحلة كانت المجتمعات فيها
Aryan	أرى: مصطلح استخدم قديماً بديلاً للنوردي أو مجموعة اللغات الهندو أوربية ينطوي استخدامه على الروح العنصرية
Assimilation	التمثيل أو الانصهار الحضاري
Athletic	نوع من شكل الجسد: الجسد الرياضي عريض الأكتاف نحيل الوسط
Australopithecania	القرود الجنوبي، حفريات من عائلة الهوميسيديا اكتشفت في جنوب أفريقيا

Austronesian	مجموعة لغوية في جنوب شرق آسيا والباسيفيك
Avoidance	التجنب، تجنب وتحاشي محرم - تابو
Avunculate	العلاقات الاجتماعية الوثيقة والإرث بين القرد والخال
Avunculocal	إقامة الزوجين عند خال الزوج
Ax, hand	فأس، الفأس الحجرية
Barbarism	البربرية، المرحلة الثنائية من التطور الحضاري عند لويس مورجان
Bark cloth	نسيج لحاء الشجر
Barter	المقايضة
Basketry	صناعة الجداول من المواد النباتية، السلال - الأوعية.. الخ
Belief	المعتقد، العقيدة
Bellows	منفاخ كور الحداد
Biocal	إقامة الزوجين الجديدين متنقلين بين عائلتي الزوج والزوجة
Biology	البيولوجيا - علم الأحياء
Blood groups	فصائل الدم

Blow gun	قصبة النفخ، يرمي بواسطتها سهم صغير لصيد الطيور في المناطق المدارية عامة
Boomerang	بومرانج، عصا الرمي المرتدة
Branchycephalic	النسبة الرأسية العريضة
Bride price, wealth	المهر - الصداق / تستخدم حين يقدم العريس الصداق لأسرة الزوجة
Bronze age	عصر البرونز، مرحلة حضارية تكنولوجية
Cano	كانوا: قارب مصنوع من لحاء الشجر أو الجلد على هيكل من القصب
Carbon 14 (C 14)	كربون ١٤: وسيلة لقياس عمر الحفريات
Caste	طبقة اجتماعية اقتصادية دينية في الهند
Caucasic races	مجموعة السلالات القوقازية- البيضاء
Ceboids	قردة العالم الجديد
Cephalic index	النسبة الرأسية قياس انتروبومتري للسلالات
Cereopithicoid	قردة العالم القديم
Chaleolithic age	عصر النحاس، مرحلة انتقال من الحجري الحديث إلى استخدام المعادن - بدأ حول منتصف الألف الخامسة في الشرق الأوسط

Chancelade	إنسان شانسيلا، سلالة من الإنسان العاقل البائد
Change social	التغير الاجتماعي
Chaos	العماء مادة الكون قبل تكوينه - هيولي
Charm	تعويذة
Chellean	حضارة مثل: الاسم القديم لحضارة إيفيل الحجرية
Chief	زعيم أو رئيس القبيلة
Cholos	خلاسى: من مصطلحات السلالات المهجنة في أمريكا اللاتينية
Chronological	زمني
Cicisbeism	السماح للزوجة باتخاذ عشيق: نظام الأزواج الثانويين
Circumcision	الختان
Civilis, civitat	مدني: ساكن المدينة
Civilization	مدينة - حضارة عليا
Clactonian	الكلاكتونية: تكنيك في صناعة الأدوات الحجرية القديمة
Cladogenetic	التطور الجزئي عكس الكلي ولا يؤدي إلى طفرات
Clan	عشيرة
Clan	عشيرة: مجموعة قرابية أحادية النسب اغترابية الزواج، أموية

Class	طبقة في المجتمع
Class	فئة: في المنطق أو حساب الفئات
Class	طبقة اجتماعية
Classification	تصنيف
Classificatory kinship	القرباة الطبقية أو التصنيفية
Clubs	أندية: تجمعات مختلفة في المجتمع البدائي بعضها خاص بطبقة أو جنس
Collective	جمعي
Collective	جماعي - تشاركي
Collective representations	تصورات جمعية
Community	المجتمع المحلي - مجتمع المحلة - المحلة
Comparative	مقارن
Comparative method	المنهج المقارن
Concepts	أحكام
Conceptual space	المكان التصوري
Concubinage	نظام المحظيات والموالي نظام معترف به ويثبت البنوة

Conjugal family	العائلة الزوجية، غالباً الأسرة النووية
Consanguinity	روابط الدم - القرابة الدموية
Constitution	بنية - تكوين
Contact	احتكاك
Contagious magic	السحر الاتصالي
Content	مضمون - محتوى
Contiguity	التقارب
Continuity	تجاور
Copula	الرابطة في القضية المنطقية
Core industry	صناعة النواة: تكتيك في صناعة الأدوات الحجرية
Cosmic	كوني
Cosmology	الكوزومولوجيا - العلم الكوني
Cousins	أبناء العم والعمة والخال والخالة
Cousins, cross, parallel	أبناء العممة والخال، أبناء العم والخالة
Couvade	الكوفادة - مهد الرجل: نوع من الممارسة السحرية أثناء الولادة
Cowrie shells	أصداف الكوري: يستخدم كمنقود في أفريقيا وأندونيسيا

Cranial index	نسبة الجمجمة، في القياس الأنتروبومتري للسلالة
Cromagnon	أسنان كورومانيون، سلالة شهيرة من الإنسان العاقل البائد
Cult	عبادة، ديانة
Cults	عبادات
Cultural Anthropology	الأنثروبولوجيا الحضارية
Cultural contact	الاحتكاك الثقافي
Culture	ثقافة
Culture	حضارة، ثقافة في المعنى الخاص
Culture area	المنطقة الحضارية- الإقليم الحضاري
Culture change	التغير الحضاري
Culture circle	الدائرة الحضارية- في مدرسة فيينا
Culture complex	المجتمع الحضاري
Culture configuration	التضاريس الحضارية، كروبير
Culture contact	الاحتكاك الحضاري
Culture diffusion	الانتشار الحضاري
Culture integration	التكامل الحضاري

Culture norm	النمط الحضاري
Culture pattern	القالب الحضاري
Culture relativism	التناسب الحضاري
Culture traits	العناصر أو الصفات الحضارية
Cuniform	الخط المسماري، حضارة العراق القديمة
Data	بيانات، حقائق
Demography	الديموجرافيا، علم السكان
Descent	الانتساب والتسلسل البيولوجي
Descent, bilateral	النسب المتعدد: حساب النسبة والقرابة إلى عائلتي الأب والأم معاً
Descent, double	النسب المزدوج: انتساب الأبناء إلى خط الأب والبنات إلى خط الأم
Descent, unilineal	النسب الأحادي، انتساب إلى عائلة الأب أو الأم
Desirability	القابلة للرغبة
Determinism	الحتمية، الجبرية
Dialectic	المادية الجدلية
Diffusion of culture	مبدأ الانتشار الحضاري

Diffusion, diffusionist	انتشار، من أنصار مبدأ الانتشار الحضاري
Digging stick	عصا الحفر، أداة زراعية أقدم من الفأس
Discrimination, racial	تمييز عنصري
Divination	العرافة- التنبؤ
Divine	إلهي
Divine kingship	النظام الملكي المقدس
Divinity	الألوهية
Division of	تقسيم العمل دور كايم
Divorce	الطلاق
Dolicephalic	النسبة الرأسية الطويلة
Domestication, animal Domestication, plant	استئناس الحيوان، النبات، الزراعة
Dowry	مهر - صداق يحصل الزوج على صداق زوجته منها أو من أسرته
Driopithecus	سريوبيثكس: حفريات من نوع بروكونسول من أصول عائلة الهومينيدا - اكتشف في تلال سيفاليك في الهند
Drives	الحوافز
Dual organization	التنظيم المزدوج: تقسيم المجتمع إلى قسمين رئيسيين أو طبقتين تمارس الاغتراب في الزواج مثل التقسيم النصفى أو الشقي للقبيلة

Dualism	فكرة وجود مبدأين في الحياة كالخير والشر والنور والظلام
Dug out	القارب المحفور، المنحوت من جذع شجرة
Duolocal	إقامة الزوجين إقامة مزدوجة، يظل الزوج في بيت أبيه والزوجة في بيت أبيها - يسمى هذا زواج الزيارة
Ecological human	الأيكولوجية البشرية
Ecology	إيكولوجيا: التلاؤم بين الكائن ومحيطه الطبيعي
Economic Anthropology	الأنثروبولوجيا الاقتصادية
Education	التربية
Effect	المعلول
Ego	الذات - الأنا
Egoism	أنانية
Element	قبل المنطق، من أفكار أدولف باستيان
Emotions	انفعالات وجدانية
Empirical	إمبريقي - تجريبي
Empirical data	معطيات إمبريقية
Empiricism	النزعة الإمبريقية - المذهب التجريبي

Enculturation	التعليم الحضاري - هرسكوفتس
Endogamy	الأضواء: الزواج الداخلي - داخل العشيرة أو مع الأقارب
Enlightenment	حركة التنوير
Environment	البيئة - المحيط الطبيعي
Eolithic	فجر الحضارة الحجرية، سابقة على الحجري القديم
Epicanthic fold	الطية المغولية، تؤدي إلى العين المنحرفة
Epipalaeolithic	اسم آخر للحضارات العصر الحجري الأوسط
Ethics	الاخلاق
Ethno-centrism	التركيز الذاتي حول مجتمع الفرد باعتباره أحسن المجتمعات
Ethnography	الإثنوجرافيا
Ethnography	أثنوجرافيا: علم وصف الشعوب
Ethnolinguistics	دراسة اللغة أثنولوجيا
Ethnologic Ethnology	الإثنولوجيا - علم الإنسان الحضاري
Ethnos	شعب، لاتيني وإغريقي
Eugencis	دراسة عملية الوراثة والتغير في الصفات الجسدية
Evolution	تطور

Evolution evolutionist	التطور من أنصار مبدأ التطور الحضاري
Exchange	التبادل
Existence	الوجود
Exogamy	الاجتراب: الزواج خارج العشيرة أو الأقارب
Exterior	خارجي
Extra-empirical	فوق تجريبية
Extra-theoretical factors	عوامل فوق نظرية
Fable	خرافة
Facial index	نسبة الوجه، في القياس الإنثروبومتري للسلالة
Fact man	الإنسان الواقعي، عند ماكس شيلز
Factor	عامل
Factor social	عامل اجتماعي
Families, Linguistic	العائلات اللغوية
Family	العائلة في البيولوجيا والأنثروبولوجيا
Family	العائلة - الأسرة
Family, compound	العائلة المركبة

Family, joint	العائلة الممتدة
Family, nuclear	الأسرة النووية
Fatalism	القدرية
Feelings	مشاعر
Felting	عملية صنع اللباد
Fetish	فيتيش: صنم شيء له قوة خارقة غالباً روحية، أشياء منحوتة كالتماثيل يعتقد أنها مسكن مؤقت للأرواح
Fetishism	فيتيشية: مبدأ أن الأشخاص والأشياء قد تجسدهم أرواح وقوى خارجية
Feuds	النزعات والعداوات
Fiction	خيال
Field-work	الدراسة الحقلية
First cause	العلة الأولى
First principle	المبدأ الأول
Flake industry	صناعة الشظايا، تكتيك في صناعة الأدوات الحجرية
Folklore	فلكلور، الآداب الشعبية
Folklore	الفولكلور: الفنون والآداب الشعبية

Folkways	العادات الشعبية
Food gathering	اقتصاديات جمع الغذاء - الجماعون يؤدي إلى تكوين المجتمعات البسيطة
Formal	صوري
Formal sociology	علم الاجتماع السوري في ألمانيا
Formalism	النزعة الصورية
Formulas	صيغ
Formulas, Mathematical	صيغ رياضية
Fornication	العلاقة الجنسية بين غير المتزوجين
Fossil	حفريّة: أي شيء عضوي أو غير عضوي حفظ في الصخر أو التربة كالأدوات الحجرية أو العظام
Fossil man	الإنسان الحفري
Frontier societies	مجتمعات الحدود
Function	وظيفة
Function, social	الوظيفة الاجتماعية
Functionalism	المدرسة الوظيفية في الدراسات الحضارية
Genealogical system	الطريقة الجينالوجية

Genealogy	سلسلة الأنساب - شجرة الأنساب
Genealogy	شجرة النسب
Generalization	تعميم، في المنطق
Generalizations confined to	التعميمات القاصرة على
Genes	الجينات - المورثات
Genetics	علم الوراثة
Gens	العشيرة: تجمع قرابي أحادي النسب اغتراقي الزواج، أبوي؟ كان المصطلح شائعاً عند الرومان وهو شائع بين الدارسين الأمريكيين
Gerontocracy	حكم كبار السن - حكومة الشيوخ
Ghetto	الغنو - حي اليهود
Gigantropos	الإنسان العملاق، حفريات إنسانية؟ في الصين
Gigantipithecus blacki	القدر العملاق، نفس الحفريات السابقة
Global process	العملية الكلية
Gravetti	جرافيتي، حضارة من الحجري القديم الأعلى بشرق أوروبا
Grimaldi	إنسان جريمالدي، سلالة من الإنسان العاقل البائد
Group	جماعة

Group mind	العقل الجمعي
Gyhypsy	الفجر - النور، مجموعات وعشائر مهاجرة من شمال الهند والباكستان وصلت أوروبا من نحو ستة قرون
Habitat	السكن - البيئة
Head hunting	صيد الرؤوس لها أسباب سحرية خاصة
Heliolithic school	المدرسة الشمسية، مدرسة إنجليزية من مدارس الانتشار الحضاري تؤمن بأن مصر هي أصل الحضارة في العالم
Heredity	الوراثة
Hetaerism	نظام السراري عند الإغريق ويمكن أن تكون السرية من الرقيق أو سيدة حرة وصل بعضهم إلى مرتبة عالية في المجتمع
Hetaerismus	مرحلة من الشيوع في الزواج في الفكر التطوري
Hoch Kulturen	الحضارات العليا القديمة
Hoe, hoe cultivation	الفأس، زراعة الفأس - الزراعة الأولية
Hominidae	عائلة الهومينيديا، الإنسان آخر مراحل تطورها
Hominidization	مرحلة التأنس، بدايات الإنسان

Homo	الإنسان، أصل الكلمة إغريقي - لاتيني
Homo erectus	الإنسان الواقف، أول مراحل الإنسان
Homo faber	الإنسان الصانع، أطلق قديماً على إنسان نيندرتال
Homo habilis	الإنسان القادر، إنسان حفري من شرق أفريقيا
Homo heidelbergensis	إنسان هيدلبرج، إنسان حفري من سلالات الإنسان الواقف
Homo neandertalensis	أسنان نيندرتال أشهر وأكثر الحفريات انتشاراً
Homo sapiens	الإنسان العاقل
Homo soloensis	إنسان سولو، حفريات من جاوه
Homo, genus	جنس الإنسان
Hunters	القناصة- الصيادون نمط من النشاط الاقتصادي البدائي
Hybrid race	سلالة مهجنة
Idiograph	رمز مصور ينقل معنى كلمة بأكملها وليس صوتاً معيناً مثلاً الرمز الصيني بمعنى سعيد هو مصور امرأة وابنها لأن علاقة الولد والأم هي أعلى مراحل السعادة عند التقليد الصيني القديم

Igloo	إيجلو: بيت الثلج عند الإسكيمو
Implements	أدوات
Incest	نظام المحارم: العلاقة الجنسية بالمحرمات
Index	المقياس النسبي - النسبة
Indo- European	المجموعة الهندو أوربية اللغوية
Infanticide	قتل الأطفال - الوأد
Inheritance	الميراث: الوراثة المادية لصفات بيولوجية أو اقتصادية أو اجتماعية
Initiation	التكريس: الاحتفال ببدء مرحلة جديدة
Innate ideas	الأفكار الموروثة
Inorganic	لا عضوي
Insight	استبصار
Instinct	الغريزة
Institution	نظام
Institution	النظام، الاجتماعي مثلاً مؤسسة
Intensive studies	دراسات مركزة
Intentional	الأفعال القصدية

Interaction	تفاعل
Introspective social	التفاعل الاجتماعي
Introspective	استيطاني
Introspective, psychology	علم النفس الاستيطاني
Intuition	الحدس عند ديكارت
Invention (Erfinden)	مرحلة الاختراع مانهيام
Iron Age	عصر الحديد، مرحلة تكنولوجية وحضارية بدأت في الشرق الأوسط
Irrational number	الغدد الأصم
Jiddisch	يدي: لغة جرمانية مطعمة بالعبرية يتكلم بها يهود وسط أوروبا
Judengasse	حارة اليهود، مصطلح ألماني شائع
Judgement	حكم
Kayak	كايك: قارب الإسكيمو الجلدي
Kell	مجموعة جديدة من فصائل الدم
Khoisan	خويزان: اصطلاح يعبر عن البشمن والهوتنتوت بجنوب أفريقيا

Kin	أقرباء
Kinship	قربابة
Kinship systems	نظام القربابة
Kinship classificatory	القربابة التصنيفية أو الطبقيه
Kinship, descriptive	القربابة الوصفية
Kinship, fictive	القربابة التخيلية
KulturKreislehre	نظرية الدوائر الحضارية، مدرسة فيينا
Labour	العمل
Ladinos	لادينو: مصطلح يطلق على السلالات المهجنة في أمريكا الوسطى
Land ownership	ملكية الأرض
Land tenure	حيازة الأرض
Law	قانون
Law	القانون
Law primitive	القانون البدائي
Law sociological	القانون السوسولوجي
Laws of causation	قوانين النسبية، جون ستورات مير

Le (Lewis)	مجموعة جديدة من فصائل الدم
Legend	خرافة
Lemur	ليمور: أكثر الرئيسيات بدائية- نوع من النسانيس تطور في الزمن الجيولوجي الثالث، اليوسين/ ميوسين يوجد في مدغشقر وإندونيسيا
Leptosome	نوع من بناء الجسد، طويل نحيف ضيق الصدر طويل الأطراف
Levallois	الحضارة الفالوزاية من الحجري القديم
Levirate	الزواج بأرملة الأخ
Levirate anticipatory	الزواج المسبق بأرملة الأخ- السماح بعلاقة مع زوجة الأخ باعتبار الزواج يتم بعد وفاة الأخ
Lecirate junior	زواج الأخ الصغير بأرملة أخيه الكبير
Limnopithecus	ليمونوبتكس، نوع من النسانيس
Lineage	بدنة
Lineage	مجموعة نسب، تسلسل قرابي بدنة؟
Lineage distance	المسافة ما بين البدنات
Lineage matrilineal	مجموعة نسب أموية

Linguistic patrilineal	مجموعة نسب أبوية
Linguistic anthropology	الأنثروبولوجيا اللغوية
Linguistics	علم اللغات
Loom	نول
Lost Wax	الشمع المذاب: تقنية قديم لصب المعادن، قوالب تشكل من الشمع
Macrocosm	العالم الكبير - الكون
Macro- sociology	الدراسة الاجتماعية الشاملة للمجتمع الكبير
Magdalenian	الحضارة المجدلينية، الحجري القديم الأعلى
Magic	السحر
Magic, black	السحر الضار - السحر الأسود
Magic, contagious	السحر الاتصالي
Magic, homeopathic	السحر المثلي
Magic imitative	السحر التقليدي - سحر المحاكاة
Magic, popular	السحر الجماعي، اشتراك جماعة في طقوس سحرية
Magic, public	السحر العام، طقوس عامة الفوائد على المجتمع

Maladjustment	عدم التوافق - عدم التكيف
Mamalia	طبقة الثدييات أو اللبونات، جزء من المملكة الحيوانية
Mans	مانا: قوى روحية شاملة يمكن استخدامها في المساعدة ميلانيزيا
Mankind	الجنس البشري
Marginal	هامشي
Marginal area	منطقة هامشية
Marginal culture	ثقافة هامشية
Marginal structures	بنايات هامشية
Marriage adoptive	الزواج بالتبني
Marriage capture	الزواج بالأسر - الخطف
Marriage elopement	الزواج بالهرب، الخطيفة
Marriage exchange	الزواج بالتبادل
Marriage fictive	الزواج بالتخيلي
Marriage group	الزواج الجماعي
Marriage preferential	الزواج المفضل
Marriage service	الزواج بالخدمة

Marxism	المذهب الماركسي
Materialism	المذهب المادي
Mathematics	الرياضيات
Matriarchal	نظام القرابة من ناحية الأم
Matriarchate	النظام الأموي
Matrilocal	إقامة الزوجين عند عائلة الزوجة
Medelianism	النظرية المندلوية في الوراثة، جريجور مندل ١٨٦٠
Mediterranean races	السلالة الوسطية، بحر متوسط
Megalithic	الحضارة الميجاليتية، الأحجار الضخمة- الدولمن
Meganthropos	حفرية إنسان جاوة العملاق
Mesocephalie	النسبة الرأسية المتوسطة، التصنيف السلالي
Mesolithic	العصر الحجري الأوسط: الميزوليتي
Mestizos	المستيزوس: مصطلح للسلالة المجهنة في المكسيك
Meta- Anthropology	ما وراء الأنثروبولوجيا
Meta- sociology	ما وراء علم الاجتماع
Method of abstraction	منهج التجريد
Methodology	علم المناهج

Microolithic	الميكروليتية: صناعة الأدوات الحجرية الدقيقة في الحجري الأوسط
Micro- sociology	الدراسة الاجتماعية المركزة للمجتمعات الصغيرة
MN (s)	مجموعة من فصائل الدم
Moiety	التقسيم النصفى أو الشقي للقبيلة أو المجتمع
Molato	الملاتو: السلالات المهجنة في البرازيل
Monogamy	الزواج الأحادي، عكس تعدد الأزواج أو الزوجات
Monotheism	الوحدانية، الاعتقاد في إله واحد
Mores	أنواع السلوك والخلقيات التي يتطلبها العرف والمينولوجيا
Morphology	المورفولوجيا- دراسة الأشكال الاجتماعية
Morphology	علم الهيئة: مورفولوجيا
Mousterian	الحضارة الموستيرية، الحجري القديم الأوسط
Mutterrecht	حق الأم- النظام الأموي، باخوفن
Myth, mythology	أسطورة- الأساطير والميثولوجيا، عبارة عن تاريخ للأحداث القديمة مغلف وقوى وأحداث غامضة
Mythology	الميثولوجيا- علم الأساطير
Nasal index	النسبة الأنفية في القياس الانتروبومتري

Natural	طبيعي
Natural sciences	العلوم الطبيعية
Nature worship	عبادة الطبيعة
N- Dimensional	المكان المتعدد الابعاد والتي عددها ن
Neandertal	وادي نيندر، ألمانيا حيث وجدت أول حفرة لإنسان نيندرتال الشهير
Necessity	ضرورة
Needs	حاجات
Negation	السلب
Negrillo (Pygmies)	أقزام أفريقيا
Negrito	أقزام الفلبين وجنوب شرق آسيا
Negro	زنجي
Negro races, negroid	السلالات الزنجية، الزنجانيون
Neolithic	النيوليني: العصر الحجري الحديث
Neolocal	إقامة الزوجين الجديدين في مكان غير عائلة الزوج أو الزوجة
Njarasensis	اكتشفت ١٩٣٥ عند بحيرة إياسي- تنزانيا

Nomadism	الترحل والبدو، غالباً للرعاة
Nordic race	السلالة النوردية
Norm	معيار
Norm	نمط- معيار
Normative	معياري
Number	العدد
Numeration	عملية العد
Oath	قسم
Oecological space	المكان الفيزيقي
Ontology	الأنطولوجيا- علم الوجود مبحث من مباحث الفلسفة
Oracle	العرافة
Ordeal	الاختبار الإلهي
Organic	عضوي
Organic solidarity	التضامن أو التماسك العضوي
Organism	الكائن العضوي
Organization	التنظيم

Organization, social	التنظيم الاجتماعي
Origin	أصل
Originality	أصالة
Osteology	الدراسة العظمية للهياكل البشرية
Outrigger	قارب ذو عوامة أو اثنين لمنع الانقلاب، الباسيفيك
Pagan	وثني
Paganism	وثنية
Palaeonthropos	الإنسان العاقل القديم
Palaeontology	الباليونتولوجيا: دراسة الظروف الجغرافية والبيئة القديمة
Paleolithic	الباليوليتي: العصر الحجري القديم
Parallels, ethnographic	المتشابهات الحضارية
Parallels, origin	مبدأ توازي النشأة ضد الأصل الواحد
Paranthropos= Australopithecus robustus	أشباه الإنسان الجنوبي، القرد الجنوبي القوي
Parapithecus	بارابيثكس، حفريات قردة قديمة اكتشفت في الفيوم- مصر
Participation	مبدأ المشاركة
Pastoralism	النظام الاجتماعي الاقتصادي الرعوي

Patriarchal	السلطة الأبوية
Patriarchate	النظام الأبوي
Patrilineal	أبوي، الانتساب إلى عائلة الأب أو عشيرته
Patrilocal	إقامة الزوجين عند عائلة الزوج أو عشيرته
pattern	نمط
Pattern, cultural	قالب، القالب الحضاري
Pattern, systematic	القالب الحضاري الأصولي، كويبير
Pattern universal	القالب الحضاري العالمي، ويسلز
Pekinensis	إنسان الصين الحفري
Peppercorn hair	الشعر المفلفل، عند الأقزام والبشمن
Pereptions	الإدراكات
Perceptual	المكان الحي والإدراكي
Periods	الفترات
Phenomenal existence	الوجود الظاهري
Phenomenism	النزعة الظاهرية، مذهب الظاهريات أو الظاهرية
Phenomenon	ظاهرة
Phratry	اتحاد العشائر
Phratry	مساكن من الطوب ترتفع عدة طوابق عند مجتمع من الأمريند يعيش في جنوب غرب الولايات المتحدة أطلق عليه اسم هذه الأبنية المجموعة أو الزمرة الاخوية: ترابط عدة عشائر للقيام بأعمال معينة
Physical Anthropology	الأنثروبولوجيا الطبيعية- علم الإنسان الطبيعي

Physical space	المكان الفيزيقي
Pile dwelling	أكواخ ومساكن تبني على أعمدة خشبية مرتفعة
Pit house	مساكن الحفر: مساكن تبني داخل الحفرات الطبيعية وتغطي بأسقف
Pithecanthropus erectus= javanensis	إنسان جاوة الحفري
Planned thinking	التفكير المخطط
Planning	التخطيط
Plough cultivation	زراعة المحراث- الزراعة الدائمة
Political distance	المسافة السياسية
Polyandry	نظام تعدد الأزواج
Polygamy	نظام تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج
Polygyny	نظام تعدد الزوجات
Polygyny sororal	نظام التزود بعدة شقيقات دفعة واحدة
Polykoitie	تعدد المضاجع، العلاقة الجنسية دون تكوين أسرة
Polytheism	تعدد الآلهة
Position	الوضع

Positive	وضعي
Potassium argon	بوتاسيو- أرجون: وسيلة لقياس عمر الحفريات
Potlatch	بوتلاتش: حفل طقسي عند هنود الساحل الشمالي لأمريكا الشمالية وتبدد فيه ثروة الأغنياء في مقابل الحصول على المراكز الاجتماعية أو تأكيد وراثته مثل هذه المراكز
Pottery, potters wheel	الفخار، دولاب، عجلة الفخار
Prehistory	دراسات ما قبل التاريخ
Pre-logical	مرحلة ما قبل المنطق، مرحلة تخيلية للمجتمعات البدائية
Primates	رتبة الرئيسيات، جزء من التطور البيولوجي للحيوان
Primitive communism	مرحلة الشيوعية البدائية، الفكر التطوري
Primitive culture	الحضارات البدائية تكتولوجيا
Proconsul	بروكونسول، حفرة من أصول الهومينيدا من شرق أفريقيا
prognatism	بروز الفك الأعلى شائعة عند بعض الزوج
Promiscuity	العلاقات الجنسية المباحة- الإباحية
Property	الملكية
Rgeschichte	مدرسة، التاريخ الحضاري، مدرسة فيينا
Rial Culture	الحضارة المادية: الجوانب المادية في الحضارة